انتقل هذا الكتاب بالمبايعة الشرعية
الى العبد الضعيف المحتاج الى
رحمة ربه اللطيف محمد بن محمد الباكري
المفعمه عفا الله عنهما

كتاب الايضاح

١٧٢٥

صحيح لا شبهة فيه

برنكي سبحة بن معلّم ميكلم شوكت كبندارى
كه برورده آهو اينه اشن ازكسنك محابا
يعني ديش اولدرين بو سكيعه بته سر زكيعم
طبار يخم كورته طوء ايدر بونك محجوبك
اينه سى سنكدندر انكو انكون
هذا الايضاح
بورك بخت
سنكينه طيار
بوعلم
اه

انتقل هذا الكتاب بالمبايعة
الشرعية الي العبد الضعيف
المحتاج الي رحمة ربه اللطيف
حميد بن علاء الدين الباكري
غفر الله له ولوالديه واحسن
اليهما واليه

١٢١٧

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 1468

ط
١٧

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكلي

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله اجمعين

اما بعد فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالايضاح وجعلته
على ترتيب مختصري الذي سميته تلخيص المفتاح وبسطت فيه القول
ليكون كالشرح له فاوضحت مواضعه المشكلة وفصلت معانيه المجملة
وعمدت الى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم والى ما خلا عنه المفتاح
من كلام الشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه
دلايل الاعجاز واسرار البلاغة والى ما تيسر النظر فيه من كلام
غيرهما فاستخرجت زبدة ذلك كله وهذبتها ورتبتها حتى استقر كل
شيء منها في محله واضفت الى ذلك ما ادى اليه فكري ولم اجده لغيري
فجاء بحمد الله جامعا لاشتات هذا العلم واليه ارغب ان يجعله نافعا
لمن نظر فيه من اولي الالباب وهو حسبي ونعم الوكيل

مقدمة في الكشف
عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في علمي المعاني والبيان وما يتصل بذلك

في تفسير الفصاحة والبلاغة اقوال مختلفة لم اجد فيها ما يصلح
لتعريفهما به ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون
الموصوف بهما المتكلم فالاولى ان نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين
فنقول كل واحدة منهما تقع صفة لمعنيين احدهما الكلام كما في قولك قصيدة

فصيحة او بليغة ورسالة فصيحة او بليغة والثاني المتكلم كما في قولك شاعر
فصيح او بليغ وكاتب فصيح او بليغ والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد
فيقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة اما فصاحة المفرد فهي خلوصه من
تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي فالتنافر منه ما تكون الكلمة
بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها كما روي ان
اعرابيا سئل عن ناقته فقال تركتها ترعى الهعخع ومنه ما هو دون ذلك
كلفظ مستشزرات في قول امرء القيس غدائره مستشزرات الى العلى
والغرابة ان تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفته الى
ان ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة كما روي عن عيسى بن عمر النحوي
انه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم
على ذي جنة افرنقعوا عني اي اجتمعتم تنحوا او يخرج لها وجه بعيد كما
في قول العجاج وفاحما ومرسنا مسرجا فانه لم يعرف ما اراد بقوله مسرجا
حتى اختلف في تخريجه فقيل هو من قولهم للسيوف سريجية منسوبة الى قين
يقال له سريج يريد انه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي وقيل من السراج
يريد انه في البريق كالسراج وهذا يقرب من قولهم سرج وجهه بكسر الراء اي
حسن وسرج الله وجهه اي بهجه وحسنه ومخالفة القياس كما في قول
الشاعر الحمد لله العلي الاجلل فان القياس الاجل بالادغام وقيل

فاذكر ومن الكراهة في السمع بان تمج الكلمة ويتبرأ من سماعها كما
يتبرأ من سماع الاصوات المنكرة فان اللفظ من قبيل الاصوات و
الاصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ومنها ما تكره سماعه كلفظ الجرشى
في قول ابي الطيب ؎ كريم الجرشى شريف النسب ؎ اي كريم النفس
وفيه نظر ثم علامة كون الكلمة فصيحة ان يكون استعمال العرب الموثوق
بعربيتهم لها كثيرا او اكثر من استعمالهم ما بمعناها واما فصاحة الكلام
فهي خلوصه من ضعف التاليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها
فالضعف كما في قولنا ضرب غلامه زيدا فان رجوع الضمير الى المفعول
المتاخر لفظا ممتنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه الى ما هو متاخر
لفظا ورتبة وقيل يجوز كقول الشاعر ؎ جزى ربه عني عدي بن
حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ؎ واجيب عنه بان الضمير
لمصدر جزى اي رب الجزاء كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى اي
العدل والتنافر منه ما يكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على
اللسان وعسر النطق بها متتابعة كما في البيت الذي انشده الجاحظ
؎ وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر ؎ ومنه ما دون
ذلك كما في قول ابي تمام ؎ كريم متى امدحه امدحه والورى معي ؎ و
اذا ما لمته لمته وحدي فان في قوله امدحه ثقلا ما لما بين الحاء والهاء

٢

ثم سلم من التنافر والتعقيد ان لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به وله
سببان احدهما ما يرجع الى اللفظ وهو ان يختل نظم الكلام فلا يدري
السامع كيف يتوصل منه الى معناه كقول الفرزدق ؎ وما مثله في الناس
الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه ؎ كان حقه ان يقول ما مثله في الناس
حي يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه فانه مدح ابراهيم بن هشام
ابن اسمعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال
وما مثله يعني ابراهيم الممدوح في الناس حي يقاربه اي احد يشبهه في
الفضائل الا مملكا يعني هشاما ابو امه اي ابو ام هشام ابوه اي ابو
الممدوح فالضمير في امه للمملك وفي ابوه للممدوح ففصل بين ابو امه
وهو مبتدأ وابوه وهو خبره بحي وهو اجنبي وكذا فصل بين حي و
يقاربه وهو نعت حي بابوه وهو اجنبي وقدم المستثنى على المستثنى
منه فهو كما تراه في غاية التعقيد فالكلام الخالي عن التعقيد
اللفظي ما سلم نظمه من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الاصل من تقديم او
تاخير او اضمار او غير ذلك الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية او
معنوية كما سياتي تفصيل ذلك كله وامثلته اللائقة به والثاني ما يرجع
الى المعنى وهو ان لا يكون انتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثاني
الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقول العباس بن الاحنف ؎ ساطلب

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا
كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وأصاب لأن
من شأن البكاء أن يكون كناية عنه كقولهم أبكاني وأضحكني أي
ساءني وسرني وكما قال الحماسي أبكاني الدهر ويا ربما أضحكني الدهر
بما يرضي ثم طرد ذلك في نقيضه فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي
من السرور بالجمود لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من
غير اعتبار شيء آخر وأخطأ لأن الجمود هو خلو العين من البكاء في حال
إرادة البكاء منها فلا يكون كناية عن المسرة وإنما يكون كناية عن البخل
كما قال الشاعر ألا إن عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود
ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يدعى به
فيقال لا زالت عينك جامدة كما يقال لا أبكى الله عينك وذلك مما لا يشك
في بطلانه وعلى ذلك قول أهل اللغة سنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن
لها فكما لا تجعل السنة والناقة جمادا إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر
والناقة لا تسخو بالدر لا تجعل العين جمودا إلا وهناك ما يقتضي إرادة
البكاء منها وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت وإذا
لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضنت والكلام الخالي عن التعقيد المعنوي
ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهرا

... وفهمه من معاني اللفظ كما سيأتي من الأمثلة المختارة
... به وقيل فصاحة الكلام هي خلوصه مما ذكر ومن كثرة
... الإضافات كما في قول أبي الطيب سبوح لها منها عليها
... قول ابن بابك حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي وفيه نظر
... يفضي باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم
... لا تخل بالفصاحة وقد قال النبي عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم
... الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبرهيم قال الشيخ عبد القاهر
قال الصاحب إياك والإضافات المتداخلة فإنها لا تحسن وذكر أنها تستعمل
في الهجاء كقول القائل يا علي بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة في خيارة
ثم قال الشيخ ولا شك في ثقل ذلك في الأكثر لكنه إذا سلم من الاستكراه ملح
ولطف ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضا وظلت تدير الراح أيدي
جآذر عتاق دنانير الوجوه ملاح ومما جاء فيه حسنا جميلا قول
الخالدي يصف غلاما له ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على أن يزيد
مجتهد وصيرفي القريض وزان دينار المعاني الدقاق منتقد
وأما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ
فصيح فالملكة قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة
ولا نسبة وهي تختص بذوات الأنفس راسخة في موضوعه وقيل ملكة

ولم تقل صفة ليشعر بان الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبر
عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحا الا اذا كانت الصفة التي اقتدر بها
على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه وقيل يقتدر بها ولم تقل
يعبر بها ليشمل حالة النطق وعدمه وقيل بلفظ فصيح ليعم المفرد والمركب
واما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى
الحال مختلف فان مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف
ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التاخير
ومقام الذكر يباين مقام الحذف ومقام القصر يباين مقام خلافه ومقام
الفصل يباين مقام الوصل ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة
وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام
الى غير ذلك كما سياتي تفصيل الجميع وارتفاع شان الكلام في الحسن والقبول
بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له فمقتضى الحال هو
الاعتبار المناسب للمقام وهذا اعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو
الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم حيث يقول النظم هو توخي معاني
النحو فيما بين الكلم على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام فالبلاغة
صفة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى عند التركيب وكثيرا ما يسمى ذلك
فصاحة ايضا وهو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره في دلائل الاعجاز من

ان

ان الفصاحة صفة راجعة الى المعنى دون اللفظ كقوله في اثناء
فصل منه علمت ان الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما
اوصاف راجعة الى المعاني والى ما يدل عليه بالالفاظ دون الالفاظ
انفسها وانما قلنا مراده ذلك لانه صرح في مواضع من دلائل
الاعجاز بان فضيلة الكلام للفظه لا لمعناه منها انه حكى قول من ذهب
الى عكس ذلك فقال فانت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد اودع
حكمة وادبا او اشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر ثم قال والامر
بالضد اذا جئنا الى الحقائق وما عليه المحصلون لانا لا نرى متقدما
في علم البلاغة مبرزا في شاوها الا وهو ينكر هذا الراي ثم نقل
عن الجاحظ في ذلك كلاما منه قوله والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها
العجمي والعربي والقروي والبدوي وانما الشان في اقامة الوزن
وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك
ثم قال ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وان
سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه كالفضة
والذهب يصاغ منهما خاتم او سوار فكما انه محال اذا اردت النظر
في صوغ الخاتم وجودة العمل ورداءته ان تنظر الى الفضة الحاملة
لتلك الصورة او الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل كذلك محال اذا

اردت ان تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام ان تنظر الى مجرد معناه
وكما لو فضلنا خاتما على خاتم بان يكون فضة هذا اجود او فصه انفس
لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا
على بيت من اجل معناه ان لا يكون ذلك تفضيلا له من حيث هو شعر
وكلام هذا لفظه وهو صريح في ان الكلام من حيث هو كلام لا يوصف
بالفضيلة باعتبار شرف معناه ولا شك ان الفصاحة من صفاته الفاضلة
فلا تكون راجعة الى المعنى وقد صرح فيما سبق بانها راجعة الى المعنى دون
اللفظ فالجمع بينهما بما قررناه يحمل كلامه حيث نفى انها من صفات
اللفظ على نفي انها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب وحيث
اثبت انها من صفاته باعتبار افادتها المعنى عند التركيب وللبلاغة
طرفان اعلى اليه تنتهي وهو حد الاعجاز وما يقرب منه واسفل منه تبتدئ
وهو ما اذا غير الكلام عنه الى ما دونه التحق عند البلغاء باصوات الحيوانات
وان كان صحيح الاعراب وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة و
اذ قد عرفت معنى البلاغة في الكلام واقسامها ومراتبها فاعلم انه
تتبعها وجوه كثيرة غير راجعة الى المطابقة مقتضى الحال ولا الى الفصاحة
تورث الكلام حسنا وقبولا واما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها
على تاليف كلام بليغ وقد علم مما ذكرنا امران احدهما ان كل بليغ كلاما كان

تفريع على ما تقدم وتمهيد لبيان انحصار البلاغة
في المعاني والبيان واحضار مقاصد الكتاب
في الفنون الثلثة

اومشكلا فصيح وليس كل فصيح بليغا الثاني ان البلاغة في الكلام
لان الفصاحة ماخوذة في تعريف البلاغة على ما سبق
مرجعها الى الاحتراز عن الخطاء في تادية المعنى المراد والى تمييز الكلام
الفصيح من غيره والثاني اعني التمييز منه ما يبين في علم متن اللغة او
التصريف او النحو او يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوي وما يحترز
به عن الاول اعني الخطاء هو علم المعاني وما يحترز به عن الثاني اعني التعقيد
المعنوي هو علم البيان وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية
تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع وكثير من الناس يسمي
الجميع علم البيان وبعضهم يسمي الاول علم المعاني والثاني والثالث علم
البيان والثلثة علم البديع

الفن الاول علم المعاني

وهو علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال وقيل يعرف دون
يعلم رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة
ذلك المعنى الكلي او المركب ولذا يقال عرفت الله دون علمته
بالجزئيات كما قال صاحب القانون في تعريف الطب علم يعرف به احوال
بدن الانسان وكما قال الشيخ ابو عمرو رحمه الله التصريف علم باصول تعرف
بها احوال ابنية الكلم وقال السكاكي علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب
الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف
عليها عن الخطاء في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره وفيه نظر اذ
التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه فلا يصح تعريف شيء من العلوم به ثم قال

واعني بالتراكيب تراكيب البلغاء ولا شك ان معرفة البليغ من حيث هو
بليغ متوقفة على معرفة البلاغة وقد عرفها في صدر الكتاب بقوله البلاغة هي
بلوغ المتكلم في تادية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها
وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها فان اراد بالتراكيب
في حد البلاغة تراكيب البلغاء وهو الظاهر فقد جاء الدور وان اراد غيرها
فلم يبينه على ان لفظ غيرها مبهم لم يبين مراده به ثم المقصود من علم
المعاني منحصر في ثمانية ابواب اولها احوال الاسناد الخبري
وثانيها احوال المسند اليه وثالثها احوال المسند ورابعها احوال
متعلقات الفعل وخامسها القصر وسادسها الانشاء وسابعها
الفصل والوصل وثامنها الايجاز والاطناب والمساواة ووجه
الحصر ان الكلام اما خبر او انشاء لانه اما ان يكون لنسبته خارج
تطابقه او لا تطابقه او لا يكون لها خارج الاول الخبر والثاني
الانشاء ثم الخبر لا بد له من اسناد ومسند اليه ومسند واحوال
هذه الثلثة هي الابواب الثلثة الاول ثم المسند قد يكون له متعلقات
اذا كان فعلا او متصلا به او في معناه كاسم الفاعل ونحوه وهذا
هو الباب الرابع ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون اما
بقصر او بغير قصر وهذا هو الباب الخامس والانشاء هو الباب السادس

ثم الجملة اذا قرنت باخرى فتكون الثانية اما معطوفة على
الاولى او غير معطوفة وهذا هو الباب السابع ولفظ الكلام البليغ
اما زائد على اصل المراد لفائدة او غير زائد عليه وهو الباب الثامن

تنبيه اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب
فذهب الجمهور الى انه منحصر فيهما ثم اختلفوا فقال الاكثر منهم صدقه
مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه له هذا هو المشهور وعليه
التعويل وقال بعض الناس صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا
كان او خطأ وكذبه عدم مطابقة حكمه له وراجح له بوجهين احدهما
ان من اعتقد امرا فاخبر به ثم ظهر خلاف الواقع يقال ما كذب ولكنه
اخطأ كما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت فيمن شانه ذلك ما كذب
ولكنه وهم ورد بان المنفي تعمد الكذب لا الكذب بدليل تكذيب الكافر
كاليهودي اذا قال الاسلام باطل وتصديقه اذا قال الاسلام حق فقوله
ما كذب متاول بما كذب عمدا الثاني قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون كذبهم في قولهم انك لرسول الله وان كان مطابقا للواقع لانهم
لم يعتقدوه واجيب عنه بوجوه احدها ان المعنى نشهد شهادة مواطاة
فيها قلوبنا لالسنتنا كما يترجم عنه ان واللام وكون الجملة اسمية في
قولهم انك لرسول الله فالتكذيب في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة

لا في قولهم انك لرسول الله ولدفع هذا الوهم وسّط بينهما قوله والله يعلم
انك لرسوله وثانيها ان التكذيب في تسميتهم اخبارهم شهادة لان الاخبار
اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة وثالثها ان المعنى لكاذبون
في قولهم انك لرسول الله عند انفسهم لاعتقادهم انه خبر على خلاف ما عليه حال
المخبر عنه وانكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين وزعم انه ثلثة اقسام صادق
وكاذب وغير صادق ولا كاذب لان الحكم اما مطابق للواقع مع اعتقاد
المخبر له او عدمه واما غير مطابق مع الاعتقاد او عدمه فالاول اي المطابق
مع الاعتقاد هو الصادق والثالث اي غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب
والثاني والرابع اي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد
كل منهما ليس بصادق ولا كاذب فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع
اعتقاده والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده وغيرهما ضربان مطابقته
مع عدم اعتقاده وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده واحتج بقوله تعالى افترى
على الله كذبا ام به جنة فانهم حصروا دعوى النبي عليه السلام للرسالة في الافتراء
والاخبار حال الجنون بمعنى امتناع الخلو وليس اخباره حال الجنون كذبا لجعلهم
الافتراء في مقابلته ولا صدقا لانهم لم يعتقدوا صدقه فثبت ان من الخبر ما ليس
بصادق ولا كاذب واجيب عنه بان الافتراء هو الكذب عن عمد فهو نوع من
الكذب فلا يمتنع ان يكون الاخبار حال الجنون كذبا ايضا لجواز ان يكون نوعا

اخص من الكذب وهو الكذب لا عن عمد فيكون التقسيم للخبر الكاذب
الى الخبر مطلقا والمعنى افترى ام لم يفتر وعبر عن الثاني بقوله ام
به جنة لان المجنون لا افتراء له تنبيه آخر وهو مما يجب ان يكون
على ذكر الطالب لهذا العلم قال السكاكي ليس من الواجب في صناعة وان
كان المرجع في اصولها وتفاريعها الى مجرد العقل ان يكون الدخيل فيها
كالناشئ عليها في استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة
مستندة الى تحكمات وضعية واعتبارات الفية فلا على الدخيل في صناعة
علم المعاني ان يقلد صاحبه في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك
الى ان يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق وكثيرا ما يشير الشيخ
عبد القاهر رحمه الله في دلائل الاعجاز الى هذا الذي ذكره موضحا له حيث يقول
هذا اعلم انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا
يجد لديه قبولا حتى يكون من اهل الذوق ومن تحدثه نفسه بان لما يومي
اليه من الحسن اصلا فيختلف الحال عليه عند تامل الكلام فيجد الاريحية
تارة ويعرى عنها اخرى واذا عجبته تعجب واذا نبهته لموضع المزية
انتبه فاما من كانت الحالان عنده على سواء وكان لا يتفقد من امر النظم
الا الصحة المطلقة والاعراب الظاهر فليكن عندك بمنزلة من عدم الطبع
الذي يدرك به وزن الشعر ويميز به مزاحفه من سالمه في انك لا تتصدى

لتعريفه لعلمك انه قد عدم الاداة التي بها يعرف واعلم انه لو لا هو وان
كان نوام الآفة العظمى في هذا الباب فان من الآفة ايضا من زعم انه لا سبيل
الى معرفة العلة في شيء مما يعرف المزية فيه ولا نعلم الآن لو موقعا من النفس
حظا من القبول فهذا اشتوا بنية في حكم التابل الاول واعلم انه ليس اذا لم يمكن
معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل وان تعرف العلة في بعض الصور فتجعله
شاهدا في غيره احرى من ان تسد باب المعرفة على نفسك وتعوده الكسل
قال الجاحظ وكلام كثير جرى على السنة الناس وله مضرة شديدة وثمرة
مرة فمن اضر ذلك قولهم لم يدع الاول للآخر شيئا فلو ان علماء كل عصر
مذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عمن
قبلهم لرايت العلم مختلا

القول في احوال الاسناد الخبري

من المعلوم لكل عاقل انه قصد المخبر بخبره افادة المخاطب اما نفس الحكم
كقولك زيد قائم لمن لا يعلم انه قائم ويسمى هذا فائدة الخبر واما كون المخبر عالما
بالحكم كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم انك تعلم ذلك زيد عندك ويسمى هذا لازم
فائدة الخبر قال السكاكي والاولى بدون هذه تمتنع وهذه بدون الاولى
لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة اي يمتنع ان يحصل العلم الثاني من
الخبر بسبب عند حصول الاول منه لامتناع حصول الثاني قبل حصول الاول مع
ان سماع الخبر من المخبر كاف في حصول الثاني منه ولا يمتنع ان يحصل الاول من

الخبر بسبب عند حصول الثاني منه لجواز حصول الاول قبل حصول الثاني والامتناع
حصول الحاصل وقد ينزل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل لعدم
جريه على موجب العلم فيلقى اليه الخبر كما يلقى الى الجاهل باحدهما قال السكاكي
ان شئت فعليك بكلام رب العزة ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة
من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون كيف تجد صدره يصف
اهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي وآخره ينفيه عنهم حيث
لم يعملوا بعلمهم ونظيره في النفي والاثبات وما رميت اذ رميت و
قوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر
انهم لا ايمان لهم هذا لفظه وفيه ايهام ان الاية الاولى من تنزيل العالم بفائدة
الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل بهما وليست منها بل هي من امثلة تنزيل
العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم والفرق بينهما ظاهر
واذا كان غرض المخبر بخبره افادة المخاطب احد الامرين فينبغي ان يقتصر من التركيب
على قدر الحاجة فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم باحد طرفي الخبر على الآخر
والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم كقولك جاء زيد وعمرو ذاهب فيتمكن
في ذهنه لمصادفته اياه خاليا وان كان متصور الطرفين مترددا في اسناد
احدهما الى الآخر طالبا له حسن تقويته بمؤكد كقولك لزيد عارف او ان زيدا
عارف واذا كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الانكار فتقول اني صادق

على شكه فيؤكد ولا يبالغ في الكاذب ما لا يبالغ الصادق لمن يبالغ في انكاره وعليه
قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا
اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما
انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون حيث قالوا في المرة الاولى انا اليكم مرسلون وفي
الثانية انا اليكم لمرسلون ويؤيد ما ذكرناه جواب ابي العباس للكندي
عن قوله اني اجد في كلام العرب حشوا يقولون عبد الله قائم وان
عبد الله قائم وان عبد الله لقائم والمعنى واحد بان قال بل المعاني
مختلفة فعبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب
عن سوال سائل وان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر وسمي
النوع الاول من الخبر ابتدائيا والثاني طلبيا والثالث انكاريا و
اخراج الكلام على هذه الوجوه اخراجا على مقتضى الظاهر وكثيرا ما
يخرج على خلافه فينزل غير السائل منزلة السائل اذا قدم اليه ما يلوح له
بحكم الخبر فيستشرف له استشراف المتردد الطالب كقوله تعالى
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقوله وما ابرئ
نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقول بعض العرب فغنها
وهي لك الفداء ان غناء الابل الحداء وسلوك هذه الطريقة

شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض روى عن الاصمعي انه قال كان
ابو عمرو بن العلاء وخلف الاحمر يأتيان بشارا فيسلمان عليه
بغاية الاعظام ثم يقولان يا ابا معاذ ما احدثت فيخبرهما وينشدهما
ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان
فأتياه يوما فقالا ما هذه القصيدة التي احدثتها في ابن قتيبة
قال هي التي بلغتكما قالا بلغنا انك اكثرت فيها من الغريب قال
نعم ان ابن قتيبة يتناصر بالغريب فأحببت ان اورد عليه ما
لا يعرف قالا فانشدناها يا ابا معاذ فانشدهما بكرا
صاحبي قبل الهجير ان ذاك النجاح في التبكير حتى فرغ منها
فقال له خلف لو قلت يا ابا معاذ مكان ان ذاك النجاح بكرا فالنجاح
كان احسن فقال بشار انما بنيتها اعرابية وحشية فقلت ان ذاك
النجاح كما تقول الاعراب البدويون ولو قلت بكرا فالنجاح كان
هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة
قال فقام خلف فقبل بين عينيه فهل كان ما جرى بين خلف وبشار
بمحضر من ابي عمرو بن العلاء وهم من فحول هذا الفن الا للطف المعنى في
ذلك وخفائه وكذلك ينزل غير المنكر منزلة المنكر اذا ظهر عليه شيء
من امارات الانكار كقوله جاء شقيق عارضا رمحه ان بني عمك
فيهم رماح

فإن مجيئه هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رمحه عرضا دليل على إعجاب
شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد كأنهم كلهم عزل ليس
مع أحد منهم رمح وكذلك ينزل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه ما إن
تأمله ارتدع عن الإنكار كما يقال للمنكر الإسلام حق وعليه قوله تعالى في حق
القرآن لا ريب فيه ومما يتفرع على هذين الاعتبارين قوله تعالى ثم إنكم بعد
ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون أكد إثبات الموت تأكيدين
وإن كان مما لا ينكر لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت
لتماديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده ولهذا قيل ميتون
دون تموتون كما سيأتي الفرق بينهما وأكد إثبات البعث تأكيدا
واحدا وإن كان مما ينكر لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديرا بأن لا
ينكر بل إما أن يعترف به أو يتردد فيه فنزل المخاطبون منزلة
المترددين فيه تنبيها لهم على ظهور أدلته وحثا على النظر فيها
ولهذا جاء تبعثون على الأصل هذا كله اعتبارات الإثبات وقس عليها
اعتبارات النفي كقولك ليس زيد أو ما زيد منطلقا أو بمنطلق ووالله
ليس زيد أو ما زيد منطلقا أو لمنطلق وما ينطلق أو ما إن ينطلق
زيد وما كان زيد منطلقا وما كان زيد لينطلق ولا ينطلق زيد ولن
ينطلق زيد ووالله ما ينطلق أو ما إن ينطلق زيد

فصل الإسناد

منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي أما الحقيقة فهي إسناد الفعل أو
معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر
واسم الفاعل وقولنا في الظاهر ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق
والمفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظرف
الواقع وما لا يطابقه فهي أربعة أضرب أحدها ما يطابق الواقع واعتقاده
كقول المؤمن أنبت الله البقل وشفى الله المريض والثاني ما يطابق الواقع
دون اعتقاده كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه الله
خالق الأفعال كلها والثالث ما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل
شفى الطبيب المريض معتقدا شفاء المريض من الطبيب ومنه قوله تعالى حكاية
عن بعض الكفار وما يهلكنا إلا الدهر ولا يجوز أن يكون مجازا والإنكار
عليهم من جهة اللفظ لما فيه من إيهام الخطأ بدليل قوله تعالى عقيبه وما لهم
بذلك من علم إن هم إلا يظنون والمتجوز المخطئ في العبارة لا يوصف بالظن
وإنما الظان من يعتقد أن الأمر على ما قاله والرابع ما لا يطابق شيئا منهما
كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب وأما
المجاز فهو إسناده أي إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول وللفعل
ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان
والسبب فإسناده إلى الفاعل إذا كان مبنيا له كما مر وكذا إلى المفعول
إذا كان مبنيا له حقيقة وقولنا ما هو له يشملهما وإسناده إلى غيرهما
فعد

لمشابهته ما هو له في ملابسة الفعل مجازا كقولهم في المفعول به عيشة راضية
بسة الفعل
ومآء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وفي الزمان
نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار وفي السبب
بنى الامير المدينة وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها وقولنا في المفعول
ليتناول نحو قول الجاهل شفى الطبيب المريض فان اسناده الشفاء
الى الطبيب ليس بتاول ولهذا لم يحمل نحو قول الشاعر الحماسي اشاب الصغير
وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي على المجاز ما لم يعلم او يظن
ان قائله لم يرد ظاهره كما استدل على ان اسناد ميز عنه الى
جذب الليالي في قول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي
علي ذنبا كله لم اصنع من ان رأت رأسي كرأس الاصلع ميز عنه
قنزعا عن قنزع جذب الليالي ابطئي او اسرعي مجاز بقوله عقيبه
افناه قيل الله للشمس اطلعي حتى اذا واراك افق فارجعي
وسمي الاسناد في هذين القسمين من الكلام عقليا لاستناده الى العقل
دون الوضع لان اسناد الكلمة الى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون
واضع اللغة فلا يصير ضرب خبرا عن زيد بواضع اللغة بل بمن قصد اثبات
الضرب فعلا له وانما الذي يعود الى واضع اللغة ان ضرب لاثبات الضرب
لا لاثبات الخروج وانه لاثباته في زمان ماض وليس لاثباته في زمان مستقبل

فاما تعيين من يثبت له فانما يتعلق بمن اراد ذلك من المخبرين ولو كان
لغويا لكان حكمنا بانه مجاز في مثل قولنا خط احسن مما وشى الربيع من
جهة ان الفعل لا يصح الا من الحي القادر حكما بان اللغة هي التي اوجبت
ان يخص الفعل بالحي القادر دون الجماد وذلك مما لا يشك في بطلانه و
قال السكاكي الحقيقة العقلية هي الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه
قال وانما قلت ما عند المتكلم دون ان اقول ما عند العقل ليتناول كلام
الجاهل اذا قال شفى الطبيب المريض رائيا شفاء المريض من الطبيب
حيث عده منه حقيقة مع انه غير مفيد لما في العقل من الحكم فيه وفيه نظر
لانه غير مطرد لصدقه على ما لم يكن المسند فيه فعلا ولا متصلا به كقولنا الانسان
حيوان مع انه لا يسمى حقيقة ولا مجازا ولا منعكس لخروج ما يطابق الواقع
دون اعتقاد المتكلم وما لا يطابق شيئا منهما مع كونهما حقيقيين
عقليين كما سبق وقال المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما
عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التاول افادة للخلاف لا بواسطة وضع
كقولك انبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة الكعبة
قال وانما قلت خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه دون ان اقول خلاف ما عند
العقل ليلا يمتنع طرده بما اذا قال الدهري عن اعتقاد جهل او جاهل
غيره انبت الربيع البقل رائيا انباته من الربيع فانه لا يسمى كلامه ذلك
الا معتقدا كان من الدهري

مجازا وان كان خلاف العقل في نفس الامر واحتج ببيت الحماسة وقول ابي
النجم على ما تقدم ثم قال وليلا تمتنع عكسه مثل كسا الخليفة الكعبة وهزم
الامير الجند فليس في العقل امتناع ان يكسو الخليفة نفسه الكعبة ولا ان
يهزم الامير وحده الجند ولا يقدح ذلك في كونهما من المجاز
العقلي وانما قلت لضرب من التاول ليحترز به عن الكذب فانه
لا يسمى مجازا مع كونه كلاما مفيدا خلاف ما عند المتكلم وانما قلت
افادة للخلاف بواسطة وضع ليحترز به عن المجاز اللغوي في نحو
وهل اذا اوعى ان انبت موضوع لاستعماله في القادر المختار وفي
وضع لذلك وفيه نظر لانا لا نم بطلان طرده بما ذكر لخروجه بقوله
لضرب من التاول ولا بطلان عكسه بما ذكر اذ المراد بخلاف ما عند
العقل ما في نفس الامر وفي كلام الشيخ عبد القاهر اشارة الى ذلك
حيث عرف الحقيقة العقلية بقوله كل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد
بها على ما هو عليه في العقل واقع موقعه فان قوله واقع موقعه معناه
في نفس الامر وهو بيان لما قبله وكذا في كلام الزمخشري حيث عرف
المجاز العقلي بقوله ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في
الحقيقة له فان قوله في الحقيقة معناه في نفس الامر ونحو كسا الخليفة
الكعبة اذ الاصل ان الاسناد فيه مجازا لكونه ثم القول بان الفعل موضوع

اي عكس الحد وهو منع عدم الحد عدم المحدود

لان الكاذب لا يبني كلامه على التاويل بل يدعي ان كلامه محمول على الظاهر

اي جريه مساوي ما الحكم فيه على ما هو عليه

لاستعماله في القادر ضعيف وهو معترف بضعفه وقد رده في
كتابه بوجوه منها ان وضع الفعل لاستعماله في القادر وفيه لم ينقل
عن احد من رواة اللغة وترك القيد دليل في العرف على الاطلاق
فقوله افادة للخلاف لا بواسطة وضع لا حاجة اليه وان ذكر فينبغي الا
يذكر الا بعد ذكر الحد على المذهب المختار وعلى ان مثله بقول الجاهل
انبت الربيع البقل بيانا في هذا الاحتراز تنبيه قد تبين مما
ذكرنا ان المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي على ما ذكره السكاكي
هو الكلام لا الاسناد وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر في
مواضع من دلائل الاعجاز وعلى ما ذكرناه هو الاسناد لا الكلام و
هذا ظاهر ما نقله الشيخ ابو عمرو بن الحاجب عن الشيخ عبد القاهر
وهو قول الزمخشري في الكشاف وقول غيره وانما اخترناه لان نسبة
المسمى حقيقة او مجازا الى العقل على هذا التفسير بلا واسطة شيء وعلى
الاول لاشتماله على ما ينسب الى العقل اعني الاسناد ثم المجاز
العقلي باعتبار طرفيه اعني المسند والمسند اليه اربعة اقسام لانهما
اما حقيقتان كقولنا انبت الربيع البقل وعليه قوله فنام ليلي
وتجلى همي وقوله شيب ايام الفراق مفارقي وقوله و
نمت وما ليل المطي بنائم واما مجازان كقولنا احيى الارض شباب

واما مختلفان كقولك انبت البقل شباب الزمان وكقولك احيى الارض الربيع وعليه قول الرجل لصاحبه احيتني رؤيتك اى آنستني وسرتني فقد جعل الحاصل بالرؤية من الانس والمسرة حيوة ثم جعل الرؤية فاعلة له

ومثله قول ابى الطيب وتحيى له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيى التبسم والجدا جعل الزيادة والوفور حيوة للمال وتفريقه في العطاء قتلا له ثم اثبت الاحياء فعلا للصوارم والقتل فعلا للتبسم مع ان الفعل لا يصح منهما ونحوه قولهم اهلك الناس الدينار والدرهم جعلت الفتنة اهلاكا ثم اثبت الاهلاك فعلا للدينار والدرهم

وهو في القران كثير كقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا نسبت الزيادة التي هي فعل الله الى الايات لكونها سببا فيها وكذا قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم ومن هذا الضرب قوله يذبح ابناءهم الفاعل غيره ونسب الفعل اليه لكونه الآمر وكقوله ينزع عنهما لباسهما نسب النزع الذي هو فعل الله الى ابليس لان سببه اكل الشجرة وسبب اكلها وسوسته ومقاسمته اياهما انه لهما لمن الناصحين وكذا قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار نسب الاحلال الذي هو فعل الله الى اكابرهم لان سببه كفرهم وسبب كفرهم امر اكابرهم اياهم بالكفر

وكقوله يوما نجعل الولدان شيبا نسب الفعل الى الظرف لوقوعه فيه كقولهم

نهاره صائم وكقوله تعالى اخرجت الارض اثقالها وهو غير مختص بالخبر بل يجري في الانشاء كقوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا وقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا وقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ولا بد له من قرينة اما لفظية كما سبق في قول ابي النجم او غير لفظية كاستحالة صدور المسند من المسند اليه المذكور او قيامه به عقلا كقولك محبتك جاءت بي اليك او عادة كقولك هزم الامير الجند وكسا الخليفة الكعبة وبنى الوزير القصر وكصدور الكلام من الموحد في مثل قوله اشاب الصغير البيت واعلم انه ليس كل شيء يصلح لان يتعاطى فيه هذا المجاز بسهولة بل تجدك في كثير من الامر وانت تحتاج الى ان تهيئ الشيء وتصلحه له بشيء تتوخاه في النظم كقول من يصف جملا تجوب له الظلماء عين كانها زجاجة شرب غير ملأى ولا صفر يريد انه يهتدي بنور عينيه في الظلماء ويمكنه بها ان يخرقها ويمضي فيها ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذي لا يجد السائر شيئا يفرجه به ويجعل لنفسه فيه سبيلا فلولا انه قال تجوب له فعلق له بتجوب لما تبين جهة التجوز في جعل الجوب فعلا للعين كما ينبغي لانه لم يكن في الكلام دليل على ان اهتداء صاحبها في الظلماء ومضيه فيها بنورها وكذلك لو قال تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ ان يصف العين بما وصفها به

واعلم ان الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب ان يكون له فاعل في التقدير اذا اسند اليه صار الاسناد حقيقة لما سبق بذلك تعريفه كما سبق

وذلك قد يكون ظاهرا كما في قوله تعالى فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم

وقد يكون خفيا لا يظهر الا بعد نظر وتامل كما في قولك سرتني رؤيتك اي

سرني الله وقت رؤيتك كما تقول اهل الحكم في انبت الربيع البقل انبت

الله البقل وقت الربيع وفي شفي الطبيب المريض شفى الله المريض عند علاج

الطبيب وكما في قولك اقدمني بلدك حق لي على فلان اي اقدمتني نفسي بلدك

لاجل حق لي على فلان اي قدرت لذلك ونظيره محبتك جاءت بي اليك اي

جاءت بي نفسي اليك لمحبتك اي جئتك لمحبتك وانما قلنا ان الحكم فيهما مجاز لان

الفعلين فيهما مسندان الى الداعي والداعي لا يكون فاعلا وكما في قول الشاعر

وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل اي وصيرني الله بهواك

حالي هذه اي اهلكني الله ابتلاء بسبب هواك وكما في قول الآخر وهو ابو

نواس يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا اي يزيدك الله حسنا

في وجهه لما اودعه من دقائق الجمال متى تاملته وانكر السكاكي وجود

المجاز العقلي في الكلام وقال الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية

فجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه

على ما عليه مبنى الاستعارة كما سيأتي وجعل نسبة الانبات اليه قرينة للاستعارة

وجعل الامير المدبر لاسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم وجعل نسبة الهزم اليه قرينة للاستعارة وفيما ذهب

اليه نظر لانه يستلزم ان يكون المراد بعيشة في قوله فهو في عيشة

راضية صاحب العيشة لا العيشة وبماء في قوله عز وجل من ماء

دافق فاعل الدفق لا المني لما سيأتي من تفسيره للاستعارة بالكناية

والاول باطل لانه يبطل الاضافة في نحو قولهم فلان نهاره صائم وليله قائم لان

المراد بالنهار على هذا فلان نفسه واضافة الشيء الى نفسه لا تصح

ويستلزم ان لا تكون الامر بالايقاد على الطين في قوله فاوقد لي يا هامان على الطين

مجازا لكون المراد بهامان حينئذ العملة انفسهم

ويستلزم ان لا يصح قولهم انبت الربيع البقل ونحوه

ويستلزم ان يتوقف جواز التركيب في نحو قولهم انبت الربيع البقل

وسرتني رؤيتك على الاذن الشرعي لان اسماء الله تعالى توقيفية

وكل ذلك منتف ظاهر الانتفاء ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم فلان نهاره

صائم فان الاسناد فيه مجازي ولا يجوز ان يكون النهار استعارة

بالكناية عن فلان لان ذكر طرفي التشبيه يمنع عن حمل الكلام على الاستعارة

ويوجب حمله على التشبيه ولهذا عد نحو قولهم رايت بفلان اسدا

ولقيني منه اسد تشبيها لا استعارة كما صرح السكاكي ايضا بذلك في

كتابه تنبيه اعلم انه قد تورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم

البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف

علم البيان والله الهادي **القول في احوال المسند اليه** اما

اى الامور العارضة له من حيث انه مسند

حذفه فاما لمجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر واما

لذلك مع ضيق المقام واما لتخييل ان في تركه تعويلا على شهادة العقل

وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشهادتين

واما لاختبار تنبه السامع له او مقدار تنبهه واما لايهام

ان في تركه تطهيرا له عن لسانك او تطهيرا للسانك عنه واما لكونه

سبيل الى الانكار ان مست اليه حاجة واما لان الخبر لا يصلح الا له حقيقة

او ادعاء واما لاعتبار آخر مناسب لا يهتدي الى مثله الا العقل السليم و

الطبع المستقيم كقول الشاعر : قال لي كيف انت قلت عليل ، سهر دائم

وحزن طويل ، وقوله : سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ، ايادي

لم تمنن وان هي جلت ، فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ، ولا مظهر الشكوى

اذا النعل زلت ، وقوله : اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ، دجى الليل

حتى نظم الجزع ثاقبه ، نجوم سماء كلما انقض كوكب ، بدا كوكب تأوي

اليه كواكبه ، وقول بعض العرب في ابن عم له موسر سأله فمنعه وقال له

كم اعطيك مالي وانت تنفقه فيما لا يعنيك والله لا اعطيتك فتركه حتى اجتمع

القوم في ناديهم وهو فيهم فشكاه الى القوم وذمه فوثب اليه ابن عمه

فلطمه فانشأ يقول : سريع الى ابن العم يلطم وجهه ، وليس الى داعي الندى بسريع

بسريع حريص على الدنيا مضيع لدينه ، وليس لما في بيته بمضيع

وعليه قوله تعالى صم بكم عمي وقوله وما ادراك ماهيه نار حامية وقيام

القرينة شرط في الجميع واما ذكره فاما لانه الاصل ولا مقتضي للحذف

واما للاحتياط لضعف التعويل على القرينة واما للتنبيه على غباوة

السامع واما لزيادة الايضاح والتقرير واما لاظهار تعظيمه او

اهانته كما في بعض الاسامي المحمودة او المذمومة واما للتبرك بذكره

واما لاستلذاذه واما لبسط الكلام حيث الاصغاء مطلوب كقوله

اى في مقام يكون اصغاء السامع مطلوبا

تعالى حكاية عن موسى عليه السلام هي عصاي ولهذا زاد على الجواب

اما النص فذلك قال السكاكي واما لكون الخبر عام النسبة الى كل مسند

اليه والمراد تخصيصه بمعين كقولك زيد جاء وعمرو ذهب وخالد في

الدار وقوله : الله انجح ما طلبت به ، والبر خير حقيبة الرحل

وقوله : النفس راغبة اذا رغبتها ، واذا ترد الى قليل تقنع

قال الاصمعي هذا ابدع بيت قالته العرب

وفيه نظر لانه ان قامت قرينة تدل عليه ان حذف فعموم الخبر وارادة

تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره والا فيكون ذكره واجبا

واما تعريفه فلتكون الفائدة اتم لان احتمال تحقق الحكم متى كان ابعد كان

الفائدة في الاعلام به اقوى ومتى كان اقرب كانت اضعف وبعده بحسب

تخصيص المسند اليه والمسند كلما ازداد تخصيصا ازداد الحكم بعدا

قوله اسم الله تعالى الى آخره السابق لفظه لفظ الخبر ومعناه الى الخلق نقوله علم الله انى ما تركت قتالهم حتى خرجوا نسيا لمنى على فرسى م المتفرد ولا بد لكثرتهم وغلبانهم والباء للتعدية

وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قربا وان شئت فاعتبر حال الحكم فى قولنا شئ ما موجود وفى قولنا فلان بن فلان حفظ الكتاب والتضعيف كماله بالتعريف ثم التعريف مختلف فان كان بالاضمار فاما لان المقام مقام التكلم كقول بشار انا المرعث لا اخفى على احد ذرت بى الشمس للقاصى وللدانى واما لان المقام مقام الخطاب كقول الحماسية وانت الذى اخلفتنى ما وعدتنى واشمت بى من كان فيك يلوم واما لان المقام مقام الغيبة لكون المسند اليه مذكورا او فى حكم المذكور لقرينة كقوله من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضئ بهم اضاؤا هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاؤا وقوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى اى العدل وقوله لابويه لكل واحد منهما السدس ولى ولابوى الميت واصل الخطاب ان يكون لمعين وقد يترك الى غير معين كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد مخاطبا بعينه بل تريد ان اكرم او احسن اليه فتخرجه فى صورة الخطاب ليفيد العموم اى سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد وهو فى القران كثير كقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم اخرج فى صورة الخطاب لما اريد العموم للقصد الى تفظيع حالهم

وانما تنازعت فى الظهور حتى امتنع خفاؤها فلا تختص بها رؤية راء بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل فى هذا الخطاب وان كان بالعلمية فاما لاحضاره بعينه فى ذهن السامع ابتداء باسم مختص به كقوله تعالى قل هو الله احد وقول الشاعر ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه وقوله الله تعلم ما تركت قتالهم حتى علوا فرسى باشقر مزبد واما لتعظيم واما لاهانة كما فى الكنى والالقاب المحمودة والمذمومة واما للكناية حيث الاسم صالح لها وما ورد صالحا للكناية من غير باب المسند اليه قوله تبت يدا ابى لهب اى جهنمى واما الايهام استلذاذه او التبرك به واما لاعتبار آخر مناسب وان كان بالموصولية فاما لعدم علم المخاطب بالاحوال المختصة به سوى الصلة كقولك الذى كان معنا امس رجل عالم واما لاستهجان التصريح بالاسم واما لزيادة التقرير نحو وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه فانه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء والمذكور ادل عليه من امراة العزيز وغيرها واما للتفخيم كقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم وقول الشاعر مضى بها ما مضى من عقل شاربها ... باق يطلب الباقى ومنه فى غير هذا الباب قوله ... ربيت الحماسة صبا ما صبا حتى علا ...

١٧

قال للباطل بعد • وقول ابي نواس • ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم
واسمت سرح اللحظ حيث اساموا • وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه
فاذا عصارة كل ذاك أثام • واما التنبيه للمخاطب على خطأ كقول الشاعر
ان الذين ترونهم اخوانكم • يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا
واما للايماء الى وجه بناء الخبر نحو ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين ثم انه ربما جعل ذريعة الى التعريض بالتعظيم
لشأن الخبر كقوله • ان الذي سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه
اعز واطول • او لشأن غيره نحو الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين قال السكاكي وربما جعل ذريعة
الى تحقيق الخبر • كقوله • ان التي ضربت بيتا مهاجرة • بكوفة الجند غالت
ودها غول • وربما جعل ذريعة الى التنبيه للمخاطب على خطأ كقوله
ان الذين ترونهم البيت وفيه نظر اذ لا يظهر بين الايماء الى وجه بناء
الخبر وتحقيق الخبر فرق فكيف يجعل الاول ذريعة الى الثاني والمسند
اليه في البيت الثاني ليس فيه ايماء الى وجه بناء الخبر عليه بل لا يبعد ان
يكون فيه ايماء الى بناء نقيضه عليه وان كان باسم الاشارة فاما لتمييزه
اكمل تمييز لصحة احضاره في ذهن السامع بوساطة الاشارة
حسا كقوله • هذا ابو الصقر فردا في محاسنه • وقوله • اولئك قوم

قوم اذا بنوا احسنوا البنى • وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا
شدوا • وصلة • واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسربل
سربال ليل اغبر • اومى الى الكوماء هذا طارق • نحرتني الاعداء
ان لم تنحري • وقوله • ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان عير الحي
والوتد • هذا على الخسف مربوط برمته • وذا يشج فلا يرثي له
احد • واما للقصد الى السامع غبي لا يميز الشيء عنده الا بالحس كقوله
الفرزدق • اولئك آبائي فجئني بمثلهم • اذا جمعتنا يا جرير المجامع
واما لبيان حاله في القرب او البعد او التوسط كقولك هذا زيد وذلك عمرو
وذاك بشر وربما جعل القرب ذريعة الى التحقير كقوله تعالى واذا رآك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وقوله
واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا وقوله
وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وعليه من غير هذا الباب قوله
تعالى ماذا اراد الله بهذا مثلا وقول عائشة لعبد الله بن عمرو بن العاص
يا عجبا لابن عمرو هذا وقول الشاعر • تقول ودقت نحرها بيمينها
ابعلي هذا بالرحا المتقاعس • وربما جعل البعد ذريعة الى التعظيم كقوله
تعالى الم ذلك الكتاب ذهابا الى بعد درجته ونحوه وتلك الجنة التي اورثتموها
وكذا قالت فذلكن الذي لمتنني فيه لم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته

لحسن تمهيد اللعنة والافتتان به وقد يجعل ذريعة الى التعريض كما قال
ذلك اللعين فعل كذا واما للتنبيه اذا ذكر قبل المسند اليه مذكور
وعقب باوصاف على ان ما يرد بعد اسم الاشارة فالمذكور جدير باكتسابه
من اجل تلك الاوصاف كقول حاتم الطائي ، ولله صعلوك يساور همه
ويمضي على الاحداث والدهر مقدما ، فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة
ولا شبعة ان نالها عد مغنما ، اذا ما راى يوما مكارم اعرضت تيمم
كبراهن ثمت صمما ، يرى رمحه ونبله ومجنه ، وذا شطب عضب الضريبة
مخذما ، واحناء سرج فاتر ولجامه ، عتاد اخي هيجا وطرفا مسوما ،
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه ، وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ،
فعدد له كما ترى خصالا فاضلة من المضاء على الاحداث مقدما و
الصبر على الم الجوع والانفة من ان يعد الشبعة مغنما وتيمم كبرى المكارم
والتاهب للحرب بادواتها ثم عقب ذلك بقوله فذلك فافاد انه جدير
باتصافه بما ذكر بعده لاجل تلك الخصال وكذا قوله تعالى اولئك على هدى من
ربهم واولئك هم المفلحون فان في اسم الاشارة فيه زيادة الدلالة على المقصود
من اختصاص المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح واما تعريفه
لاعتبار اخر مناسب وان كان باللام فاما للاشارة الى معهود بينك
وبين مخاطبك كما اذا قال لك قائل جاءني رجل من قبيلة كذا فتقول ما فعل

الرجل

الرجل وعليه قوله تعالى وليس الذكر كالانثى اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى
التي وهبت لها واما للارادة نفس الحقيقة كقولك الرجل خير من المرأة
اي لا امراة عمران
والدينار خير من الدرهم ومنه قول ابي العلاء المعري والخل كالماء يبدي
لي ضمائره مع الصفا ويخفيها مع الكدر وعليه من غير هذا الباب قوله
تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي اي وجعلنا مبدا كل شيء حي هذا الجنس
الذي هو الماء روي انه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن
من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه منه ونحوه اولئك الذين اتيناهم
الكتاب والحكم والنبوة والمعرف باللام قد ياتي لواحد باعتبار عهديته
في الذهن لمطابقته الحقيقة كقولك ادخل السوق وليس بينك وبين مخاطبك
سوق معهود في الخارج وعليه قول الشاعر ولقد امر على اللئيم يسبني
هذا يقرب في المعنى من النكرة ولذلك يقدر يسبني وصفا للئيم لا حالا
وقد يفيد الاستغراق وذلك اذا امتنع حمله على غير الافراد وعلى بعضها دون
بعض كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا والاستغراق ضربان
حقيقي كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة اي كل غيب وشهادة و
وهو ان يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة
عرفي كقولنا جمع الامير الصاغة اذا جمع صاغة بلده او اطراف مملكته
وهو ان يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب العرف
لا صاغة الدنيا واستغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع بدليل
انه لا يصدق لا رجل في الدار في نفي الجنس اذا كان فيها رجل او رجلان

ويصدق لان المراد ولا تنافي بين الاستغراق وافراد اسم الجنس

لان الحرف انما يدخل عليه مجردا عن الدلالة على الوحدة والتعدد ولانه

بمعنى الكل الافرادي لا الكل المجموعي اي معنى قولنا الرجل كل فرد من افراد

الرجال لا مجموع الرجال ولهذا امتنع وصفه بنعت الجمع وللمحافظة على التشاكل

بين الصفة والموصوف ايضا فالحاصل ان المراد باسم الجنس المعرف باللام

اما نفس الحقيقة لا ما تصدق عليه الافراد وهو تعريف الجنس والحقيقة ونحوه

علم الجنس كاسامة واما فرد معين وهو العهد الخارجي ونحوه العلم

الخاص كزيد واما فرد غير معين وهو العهد الذهني ومثله النكرة

كرجل واما كل الافراد وهو الاستغراق ونحوه لفظ كل مضافا الى النكرة

كقولنا كل رجل وقد شكل السكاكي على تعريف الحقيقة والاستغراق بما خرج

الجواب عنه بما ذكرنا ثم اختار بناء على ما حكاه عن بعض ائمة اصول الفقه

من كون اللام موضوعة لتعريف العهد لا غير ان المراد بتعريف الحقيقة تنزيلها

منزلة المعهود بوجه من الوجوه الخطابية اما لكون الشيء حاضرا في الذهن

لكونه محتاجا اليه ... على طريق التحقيق والتهكم او لانه عظيم الخطر

معقود به الهمم على اصر الطرفين واما لانه لا يغيب عن الحس على امر الطرفين

فكانه معهود وقال الحقيقة من حيث هي هي لا واحدة ولا متعددة لتحققها

مع الوحدة تارة ومع التعدد اخرى وان كانت لا تنفك في الوجود عن

احدهما فهي صالحة للتوحد والتكثر فكون الحكم استغراقا او غير استغراق

الى مقتضى المقام فاذا كان خطابيا مثل المؤمن غر كريم والفاجر خب

لئيم حمل المعرف باللام مفردا كان او جمعا على الاستغراق بعلة ايهام

ان القصد الى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة فيهما ترجيح لاحد المتساويين

واذا كان استدلاليا حمل على اقل ما يحتمل وهو الواحد في المفرد والثلث

في الجمع وان كان بالاضافة فلانها اخصر طريق الى احضاره في ذهن السامع

طريق اخصر منها كقوله هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني

بمكة موثق واما لاغنائها عن تفصيل متعذر او مرجوح لجهة كقوله

بنو مطر يوم اللقاء كانهم اسود لها في غيل خفان اشبل وقوله

قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي واما لتضمنها

تعظيما لشان المضاف اليه كقولك عبدي حضر فتعظم شانك او لشان المضاف

كقولك عبد الخليفة ركب فتعظم شان العبد او لشان غيرهما كقولك عبد

السلطان عند فلان فتعظم شان فلان او تحقيرا نحو ولد الحجام حضر

واما لاعتبار آخر مناسب واما تنكيره فللافراد كقوله تعالى وجاء رجل

من اقصى المدينة يسعى اي فرد من اشخاص الرجال او للنوعية كقوله تعالى

وعلى ابصارهم غشاوة اي نوع من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو

غطاء التعامي عن آيات الله تعالى ومن تنكير المسند اليه للافراد نحو

ضرب اسه وجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل وللنوعية نحو قوله تعالى
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اى نوع من الحيوة مخصوص وهو الحيوة
الزائدة كانه قيل ولتجدنهم احرص الناس وان عاشوا ما عاشوا على ان
يزدادوا الى حيوتهم فى الماضى والحاضر حيوة فى المستقبل فان الانسان
لا يوصف بالحرص على شيء الا اذا لم يكن ذلك الشيء موجودا له حال وصفه
بالحرص عليه وقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء يحتمل الافراد
والنوعية اى خلق كل فرد من افراد الدواب من نطفة معينة هى نطفة ابيه
او كل نوع من انواع الدواب من نوع من انواع المياه او للتعظيم
والتهويل او للتحقير اى ارتفاع شانه او انحطاطه الى حد لا يمكن
معه ان يعرف كقول ابن ابى السمط له حاجب فى كل امر يشينه
وليس له عن طالب العرف حاجب اى له حاجب اى حاجب وليس له حاجب
ما او للتكثير كقولهم ان له لابلا وان له لغنما يريدون الكثرة وحمل الزمخشرى
التنكير فى قوله تعالى قالوا ان لنا لاجرا عليه او للتقليل كقوله تعالى
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر اى وشىء
ما من رضوانه اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل سعادة وفلاح
ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر فى نفسه مما وراءه من النعم

٧١

واما تنكيره فلانه برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها
لذة وان عظمت وقد جاء للتعظيم والتكثير جميعا كقوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك اى رسل اى رسل ذوو عدد كثير وايات عظام
واعمار طويلة ونحو ذلك والسكاكى لم يفرق بين التعظيم والتكثير ولا
بين التحقير والتقليل ثم جعل التنكير فى قولهم شر اهر ذا ناب للتعظيم وفى
قوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك للتقليل وفى كليهما نظر اما
الاول فلما سيأتى واما الثانى فلان التقليل مستفاد من البناء
للمرة ومن نفس الكلمة لانها اما من قولهم نفحت الريح اذا هبت اى هبة
او من قولهم نفح الطيب اذا فاح اى فوحة كما يقال شمة واستعماله بهذا
المعنى فى الشر استعارة اذ اصله ان يستعمل فى الخير يقال له نفحة طيبة اى
هبة من الخير وذهب ايضا الى ان قوله يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن بالتنكير دون عذاب الرحمن بالاضافة اما للتهويل او خلافه
والظاهر انه لخلافه واليه ميل الزمخشرى فانه ذكر ان ابراهيم عليه السلام لم يخل
هذا الكلام من حسن الادب مع ابيه حيث لم يصرح فيه ان العذاب لاحق
له لاصق به ولكنه قال انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف
والمس ونكر العذاب واما التنكير فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة فيحتمل
النوعية والتعظيم اى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حيوة
عظيمة

على شىء يسير وانما يكون مستفادا
من البناء للمرة ان لو كان نفحة فى
الاصل للمرة وليس كذلك بل هو من قولهم
نفحة من العذاب اى قطعة منه ولكن
لا يستقيم ان يكون فى الاصل مستعملة
للمرة وان كان فى الاصل للمرة الظاهر
انه فى الاية لما ذكرنا لا للمرة واصل المرة
يقتضى ان يكون الماسن غير الشىء الى معنى
المرة لانها مصدر ولا يصح ظاهرا
نسبة المس اليها وانما يكون مستفادا
من جوهر الكلمة ان لو استعملت النفحة
فى الاية بمعنى اصله الذى هو نفحت الريح
او نفح الطيب وظاهر انه ليس بهذا المعنى
بحرف الاستعارة واصل استعماله فى
الخير ليس بثابت وانما لانه
ان جوهر هذه الكلمة يقتضى خلاف التعظيم
لانه يقال نفحت الريح اذا هبت ونفح الطيب
اذا فاح اعم من ان يكون هبوبا او
فوحا عظيما او خلافه وقوله هبة او
فوحة من تفسير المولف رحمه الله تعالى

٢١

لمنعه عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد متى اقتدروا او نوع من الحيوة
وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل للعلم بالاقتصاص فان
الانسان اذا هم بالقتل تذكر الاقتصاص فارتدع فسلم صاحبه من
القتل وهو القود فيتسبب لحيوة نفسين ومن تنكيره اي المسند اليه
للنوعية قوله تعالى وامطرنا عليهم اي وارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا يعني الحجارة الا يرى الى قوله فساء مطر المنذرين وللتحقير
ان نظن الا ظنا واما وصفه فلكون الوصف تفسيرا له كاشفا عن معناه
كقولك الجسم الطويل العريض العميق محتاج الى فراغ يشغله ونحوه في
الكشف قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى و
قد سمعا حكي ان الاصمعي سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد و
كذا قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا
مسه الخير منوعا قال الزمخشري الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه و
سرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير عن احمد بن يحيى
قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره انتهى كلام
الزمخشري او لكونه مخصصا له نحو زيد التاجر عندنا او لكونه مدحا له كقولنا
جاء زيد العالم حيث تعين زيد قبل ذكر العالم ونحوه من غيره قوله
بسم الله الرحمن الرحيم وقوله هو الله الخالق البارئ المصور او لكونه ذما له

كقولنا جاء زيد الفاسق حيث تعين زيد قبل ذكر الفاسق ونحوه
من غيره قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم او لكونه تاكيدا له كقولك امس الدابر كان يوما عظيما او لكونه
بيانا له كقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد قال الزمخشري
الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي
يساق له الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه و
العناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل
انك تثبت الالهية واما قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
ويكون الوصف لبيان المقصود وتفسير
فقال السكاكي شفع دابة بفي الارض وطائر بيطير بجناحيه لبيان ان
القصد بهما الى الجنسين وقال الزمخشري معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة
كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط
في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه واعلم ان الجملة قد تقع صفة للنكرة
وشرطها ان تكون خبرية لانها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر فلم تستقم
ان تكون انشائية مثله وقال السكاكي لانه يجب ان يكون المتكلم يعلم
تحقق الوصف للموصوف لان الوصف انما يؤتى به ليتميز به الموصوف
عما عداه وتمييز المتكلم شيئا من شيء بما لا معرفة له به محال فلا يكون عنده

٢٢

مستعملة في غيرها اما الاول فهو ان يكون مضافة الى نكرة كقوله تعالى
كل حزب بما لديهم فرحون وقوله وكل شيء فصلناه تفصيلا وقوله
وهم من كل حدب ينسلون واما الثاني فما عدا ذلك كقوله تعالى فسجد
الملائكة كلهم اجمعون وهي في قوله كل رجل عارف وكل انسان حيوان
من الاول لا الثاني لانها لو حذفت منها لم يفهم الشمول اصلا واما
بيانه وتفسيره فللايضاح باسم مختص به كقولك قدم صديقك خالد
واما الابدال منه فلزيادة التقرير والايضاح نحو جاءني زيد اخوك
وجاء القوم اكثرهم وسلب عمرو ثوبه ومنه في غيره قوله اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم واما العطف فللتفصيل المسند
اليه مع اختصار نحو جاء زيد وعمرو وخالد او لتفصيل المسند مع اختصار
من طرق النقل من المعطوف
نحو جاء زيد فعمرو او ثم عمرو او جاء القوم حتى خالد ولا بد في حتى من تدريج
كما ينبئ عنه قوله وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى
صار ابليس من جندي او لرد السامع عن الخطاء في الحكم الى الصواب
كقولك جاءني زيد لا عمرو لمن اعتقد ان عمرا جاءك دون زيد او انهما
جاءاك جميعا وقولك ما جاءني زيد لكن عمرو لمن اعتقد ان زيدا جاءك
دون عمرو او لصرف الحكم من محكوم له الى آخر نحو جاءني زيد بل عمرو وما
جاءني زيد بل عمرو او للشك فيه او التشكيك نحو جاءني زيد او عمرو

محققا للموصوف مشعر ان الجملة وصفا له لحكم عكس النقيض في مضمون
الجملة الطلبية كذلك لان الطالب يقتضي مطلوبا غير محقق لامتناع
طلب الحاصل فلا يقع شيء منها صفة لشيء والتعليل الاول اعم لان الجملة الانشائية
قد لا تكون طلبية كقولنا نعم الرجل زيد وبئس الصاحب عمرو وربما تقوم
بكر وكم غلام ملكت وعسى ان يجيء بشر وما احسن خالدا او صيغ العقود
نحو بعت واشتريت فان هذه كلها انشائية وليس شيء منها بطلبي
ولامتناع وقوع الانشائية صفة او خبرا اولوا قوله جاءوا بمذق هل
رايت الذئب قط بتقدير جاءوا بمذق مقول عنده هذا القول اي بمذق
مخلوط بالماء يقول لمن يريد وصفه له هل رايت الذئب قط فهو مثله
في اللون لايراده في خيال الرائي لون الذئب لورقته وفي مثل قولنا
زيدا اضربه او لا تضربه بتقدير مقول في حقه اضربه او لا تضربه واما توكيده
فللتقرير كما سياتي في باب تقديم الفعل وتاخيره او لدفع توهم التجوز
او السهو كقولك عرفت انا وعرفت انت وعرفت زيدا زيدا او عدم
الشمول كقولك عرفت الرجلان كلاهما او الرجال كلهم السكاكي ومنه كل
رجل عارف وكل انسان حيوان وفيه نظر لان كلمة كل تارة تقع تاسيسا
وذلك اذا افادت الشمول من اصلها حتى لولاها لما عقل وتارة تقع
تاكيدا وذلك اذا لم تفده من اصله بل لمنعوان تكون اللفظ المنتقض له

مستعملة

او اما زيدا واما عمرا او اما زيدا او عمرا او للابهام كقوله تعالى و

انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين او للاباحة او التخيير

هو ان يفيد ثبوت الحكم لاحد الشيئين او الاشياء بحسب مشاله

قولك ليدخل الدار زيد او عمرو والفرق بينهما واضح فان الاباحة

لا تمنع من الاتيان بهما او باحدهما واما توسيط الفصل بينه وبين

المسند فلتخصيصه به كقولك زيد هو المنطلق او هو افضل من عمرو

او هو خير منه او هو يذهب واما تقديمه فلكون ذكره اهم اما لانه

الاصل ولا مقتضي للعدول عنه واما ليتمكن الخبر في ذهن السامع لان في

المبتدا تشويقا اليه كقوله والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث

من جماد وهذا اولى من جعله شاهدا لكون المسند اليه موصولا

كما فعل السكاكي واما لتعجيل المسرة او المساءة لكونه صالحا للتفاول

او التطير نحو سعد في دارك السفاح في دار صديقك واما لايهام انه

لا يزول عن الخاطر او انه يستلذ فهو الى الذكر اقرب واما لنحو ذلك

قال السكاكي واما لان كونه متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر

كما اذا قيل لك كيف الزاهد فتقول الزاهد يشرب ويطرب واما لانه يفيد

زيادة تخصيص كقوله متى تهزز بني قطن تجدهم سيوفا في عواتقهم

سيوف جلوس في مجالسهم رزان وان ضيف الم بهم خفوف

والمراد هم خفوف لان قوله لا نفس الخبر يشعر بتجويز ان يكون المطلوب

بالجملة الخبرية نفس الخبر وهو باطل لان نفس الخبر تصور لا تصديق

والمطلوب بها انما يكون تصديقا وان اراد بذلك وقوع الخبر مطلقا

فغير صحيح ايضا لما سياتي ان العبارة عن مثله لا تتعرض فيها الى ما هو

مسند اليه كقولك وقع القيام ثم في مطابقة الشاهد الذي انشده

للتخصيص نظر لما سياتي ان ذلك مشروط بكون الخبر فعليا وقوله والمراد هم

خفوف تفسير للشيء باعادة لفظه فلا يكون فيه بيان لوجه التخصيص و

هذا ان حمل على انه قصد به ذلك ويجوز ان يكون مراده به ان المراد بالانتهاء

من الصفتين هو اللفظ فيسلم الاعتراض الاول وقد يقدم المسند اليه ليفيد

تخصيصه بالخبر الفعلي كقولك ما انا قلت هذا اي لم اقله مع انه مقول فانا

نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فلا تقول ذلك الا في شيء ثبت انه مقول و

انت تريد نفي كونك قائلا له ومنه قول الشاعر وما انا اسقمت جسمي

به ولا انا اضرمت في القلب نارا اذ المعنى ان هذا السقم الموجود و

الضرم الثابت ما انا جالب لهما فالقصد الى نفي كونه فاعلا لهما لا الى نفيهما

ولهذا لا يقال ما انا قلت ولا احد غيري لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الاول

بل يقال ما قلت انا ولا احد غيري ولا يقال ما انا رايت احدا من الناس لا

لانه يقتضي ان يكون انسان غير المتكلم قد راى كل احد من الناس

ما انا ضربت الا زيدا بل يقال ما رايت او ما رايت احدا من الناس وما

24

حكمها حكم الافعال ... مصاحبة المصاح ... شك ان قوله هم خفوف بمعنى هم مخفوف ولا باس باجرا معنى قولنا هم محفوف وهو التخصيص على هم خفوف بمعنى لو كان الخبر اسما جامدا لا يمنع ذلك

منهما بوجه من التاكيد دون وجه قلت لان تحقيق التاكيد لما كانت

انما طه بشبهة خالجت قلب السامع وكانت في الاول ان الفعل صدر من

غيرك وفي الثاني انه صدر منك بشركة الغير اكدت واطلقت

في الاول بقولك لا غيري وفي الثاني بقولك وحدي لانه محزه ولو

عكست احلت ومن البين في ذلك المثل اتعلمني بضب انا حرشته

وعليه قوله تعالى ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم

اي لا يعلمهم الآخر ولا يطلع على اسرارهم غيرنا لابطانهم الكفر في سويداء

قلوبهم الثاني ما لا يفيد الا تقوي الحكم وتقرره في ذهن السامع وتمكنه

كقولك هو يعطي الجزيل لا تريد ان غيره لا يعطي الجزيل ولا ان تعرض

بانسان ولكن تريد ان تقرر في ذهن السامع وتحقق انه يفعل

اعطاء الجزيل وسبب تقويته هو ان المبتدا لكونه مبتدا يستدعي

ان يسند اليه شيء فاذا جاء بعده ما يصلح ان يسند اليه صرفه

الى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن ضمير نحو زيد غلامك

او متضمنا له نحو انا عرفت وانت عرفت وهو عرف او زيد عرف ثم

اذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير اليه ثانيا فيكتسي الحكم قوة

ومما يدل على ان التقديم يفيد التاكيد ان هذا الضرب من الكلام يجيء

فيما سبق فيه انكار من منكر نحو ان يقول الرجل ليس لي علم بالذي

ضربت او ما ضربت انا الا زيدا لان المنفي في الاول الرؤية الواقعة على كل

واحد من الناس وفي الثاني الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد وقد

سبق ان ما يفيد التقديم ثبوته لغير المذكور هو ما نفي عن المذكور فيكون الاول

مقتضيا لان انسانا غير المتكلم قد راى كل الناس والثاني مقتضيا لان انسانا

غير المتكلم قد ضرب من عدا زيد منهم وكلاهما محال وعلل الشيخ عبد القاهر

والسكاكي امتناع الثاني بان نقض النفي بالا يقتضي ان يكون القايل له قد

ضرب زيدا وايلاء الضمير حرف النفي يقتضي ان لا يكون ضربه وذلك تناقض وفيه

نظر لانا لا نم ان ايلاء الضمير حرف النفي يقتضي ذلك فان قيل الاستثناء الذي

فيه مفرغ وذلك يقتضي ان لا يكون ضرب احدا من الناس وذلك يستلزم ان لا

يكون ضرب زيدا قلنا لا نم ذلك وليس للتقديم لجريانه في غير صورة التقديم

ايضا كقولنا ما ضربت الا زيدا هذا اذا ولي المسند اليه حرف النفي وان

كان معرفة كقولك انا فعلت كان القصد الى الفاعل وينقسم قسمين احدهما

ما يفيد تخصيصه بالمسند للرد على من زعم انفراد غيره به او مشاركته

فيه كقولك انا كتبت في معنى فلان وانا سعيت في حاجته ولذلك اذا

اردت التاكيد قلت للراد في الوجه الاول انا كتبت في معنى فلان لا

غيري ونحو ذلك وفي الوجه الثاني انا كتبت في معنى فلان وحدي فان

قلت انا فعلت كذا وحدي في قوة انا فعلته لا غيري فلم اختص كل

تقول فتقول انت تعلم ان الامر على ما اقول وعليه قوله تعالى ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون لان الكاذب لا سيما في الدين لا يعترف بانه
كاذب وفيما الحرف فيمتنع ان يعترف بالعلم بانه كاذب فيما اعترض فيه
شك نحو ان تقول للرجل كانك لا تعلم ما صنع فلان فيقول انا اعلم وفي
مكذب ممتنع كقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم
قد خرجوا به فان قولهم امنا دعوى منهم انهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا
به وفيما مقتضى الدليل الا يكون كقوله تعالى والذين يدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فان مقتضى الدليل الا يكون ما يتخذ الها مخلوقا
مخلوقا وفيما يستغرب كقولك الا تعجب من فلان يدعي العظيم وهو يعيى
باليسير وفي الوعد والضمان كقولك للرجل انا اكفيك انا اقوم بهذا
الامر لان من شان من تعده وتضمن له ان يعترضه الشك في انجاز الوعد
والوفاء بالضمان فهو من احوج شيء الى التاكيد وفي المدح والافتخار لان
من شان المادح ان يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبعدهم عن
الشبهة وكذلك المفتخر اما المدح فكقول الحماسي هم يفرشون
اللبد كل طمرة وقول الحماسية هما يلبسان المجد احسن لبسة
وقول الحماسي هم يضربون الكبش يبرق بيضه واما الافتخار فكقول
طرفة نحن في المشتاة ندعو الجفلى وما لا يستقيم المعنى فيه الا

على

على ما جاء عليه من بناء الفعل على الاسم قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب
وهو يتولى الصالحين وقوله وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى
عليه بكرة واصيلا وقوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس و
الطير فهم يوزعون فانه لا يخفى على من له ذوق انه لو جيء في ذلك بالفعل
غير مبني على الاسم لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى والمعنى قد زال عن الحال
التي ينبغي ان يكون عليها وكذا اذا كان الفعل منفيا كقولك انت لا تكذب
فانه اشد لنفي الكذب عنه من قولك لا تكذب وكذا من قولك لا يكذب
انت لانه لتاكيد المحكوم عليه لا الحكم وعليه قوله تعالى والذين هم
بربهم لا يشركون فانه يفيد التاكيد في نفي الاشراك عنهم ما لا يفيده
قولنا والذين لا يشركون بربهم ولا قولنا والذين بربهم لا يشركون
هم وكذا قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله تعالى
فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وقوله ان شر
الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون هذا كله اذا بني
الفعل على معرف فان بني على منكر افاد ذلك تخصيص الجنس او
الواحد بالفعل كقولك رجل جاءني اي لا امراة او لا رجلان وذلك لان
اصل النكرة ان تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة الى
الجنس فقط كما اذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف ان

فقد اتاك آت ولم يرد جنسه او جل هو ام امراة او اعتقد انه امراة
وتارة الى الوحدة فقط كما اذا عرف ان قد اتاك من هو من جنس
الرجال ولم يرد ارجل هو ام رجلان او اعتقد انه رجلان ووا شترط
السكاكى فى افادة التقديم الاختصاص امرين احدهما ان يجوز تقدير
كونه فى الاصل موخرا بان يكون فاعلا فى المعنى فقط كقولك انا قمت
فانه يجوز ان يقدر واصله قمت انا على ان انا تاكيد للفاعل الذى هو
التاء فى قمت فقدم انا وجعل مبتدا وثانيهما ان يقدر كونه كذلك
فان انتفى الثانى دون الاول كالمثال المذكور اذا اجرى على الظاهر
هو ان يقدر الكلام من الاصل مبنيا على المبتدا والخبر ولم يقدر
تقديم وتاخير او انتفى الاول بان يكون المبتداء اسما ظاهرا فانه لا يفيد
الا تقوى الحكم واستثنى المنكر كما فى رجل جاءنى بان قدر واصله جاءنى
رجل على ان رجل فاعل جاءنى بل على انه بدل من الفاعل الذى هو الضمير
المستتر فى جاءنى كما قيل فى قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا ان
الذين ظلموا بدل من الواو فى اسروا وفرق بينه وبين المعرف بانه
لو لم يقدر ذلك انتفى تخصيصه اذ لا سبب لتخصيصه سواه ولو انتفى
تخصيصه لم يقع مبتدا بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء فيه وهو
التعريف ثم قال وشرطه ان لا يمنع من التخصيص مانع كقولنا رجل جاءنى

ای

اى لا امراة او لا رجلان دون قولهم شر اهر ذا ناب اما على التقدير
الاول فلامتناع ان يراد المهر شر لا خير واما على الثانى فلكونه
نابيا عن مظان استعماله واذ قد صرح الائمة بتخصيصه حيث
تاولوه بما اهر ذا ناب الا شر فالوجه تفظيع شان الشر بتنكيره كما
سبق هذا كلامه وهو مخالف لما ذكره الشيخ عبد القاهر لان
ظاهر كلام الشيخ فيما يليه حرف النفى القطع بانه يفيد التخصيص مضمرا
كان او مظهرا معرفا او منكرا من غير شرط لكنه لم يمثل الا بالمضمر
وكلام السكاكى صريح فى انه لا يفيده الا اذا كان مضمرا او منكرا
بشرط تقدير التاخير فى الاصل فنحو ما زيد قام يفيد التخصيص على
اطلاق قول الشيخ ولا يفيده على قول السكاكى ونحو ما انا قمت يفيده
على قول الشيخ مطلقا وعلى قول السكاكى بشرط وظاهر كلام الشيخ ان
المعرف اذا لم يقع بعد النفى وجزم مثبتا ومنفى فقد يفيد الاختصاص
مضمرا كان او مظهرا لكنه لم يمثل الا بالمضمر وكلام السكاكى صريح
فى انه لا يفيده الا المضمر فنحو زيد قام قد يفيد الاختصاص على
اطلاق قول الشيخ ولا يفيده عند السكاكى ثم فى ما احتج به لما ذهب
اليه نظر اذ الفاعل وتاكيده سواء فى امتناع التقديم ما دام الفاعل
فاعلا والتاكيد تاكيدا فتجويز تقديم التاكيد دون الفاعل تحكم ظاهر ثم

ثم لاما انتفاء التخصيص في صورة المنكر لولا تقديمه انه كان في الاصل
موخرا فقدم لجواز حصول التخصيص فيها بالتهويل كما ذكر وغير التهويل
ثم لا نسلم امتناع اي يراد المهر شر لا خير قال الشيخ عبد القاهر انما
قدم شر لان المراد ان يعلم ان الذي اهر ذا ناب هو من جنس الشر
لا من جنس الخير فجرى مجرى ان تقول رجل جاءني تريد انه رجل لا امراة
وقول العلماء انه انما صلح لانه بمعنى ما اهر ذا ناب الا شر بيان لذلك
وهذا اصرح في خلاف ما ذكره ثم قال السكاكي ويقرب من قبيل هو
عرف في اعتبار تقوي الحكم زيد عارف وانما قلت يقرب دون ان اقول
نظيره لانه لما لم تتفاوت في التكلم والخطاب والغيبة في انا عارف وا
انت وهو عارف اشبه الخالي عن الضمير ولذلك لم تحكم على عارف بانه
جملة ولا عومل معاملتها في البناء حيث اعرب في نحو رجل عارف
ورجلا عارفا ورجل عارف واتبعه في حكم الافراد نحو زيد عارف ابوه اي واتبع رجل
عارف في حكم الافراد اذا اسند الى الظاهر مفردا كان
او مثنى او مجموعا ثم قال ومما يرى تقديمه كاللازم لفظا
قوم شعيب عليه السلام وما انت علينا بعزيز اي العزيز علينا يا شعيب
رهطك لا انت لكونهم من اهل ديننا ولذلك قال عليه السلام في جوابهم ارهطي
اعز عليكم من الله اي من نبي الله ولو كان معناه معنى ما عززت علينا

لم يكن مطابقا وفيه نظر لان قوله وما انت علينا بعزيز من باب
انا عارف لا من باب انا عرفت والتمسك بالجواب ليس بشيء لجواز
ان يكون عليه السلام فهم كون رهطه اعزة عليهم من قولهم ولولا رهطك
لرجمناك وقال الزمخشري دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام في
الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة
علينا وفيه نظر لانا لا نسلم ان ايلاء الضمير حرف النفي اذا لم يكن الخبر
فعليا يفيد الحصر فان قيل الكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم
دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلنا قال السكاكي معناه
من نبي الله فهو على حذف المضاف واجود منه ما قاله الزمخشري وهو
ان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه
كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله ويجوز ان يقال لا اشكال لان همزة الاستفهام هنا ليست على بابها
بل هي للانكار للتوبيخ فيكون معنى قوله ارهطي اعز عليكم من الله انكار
ان يكون ما فهم من تعظيم رهطه لانتسابهم اليهم دون الله تعالى مع
انتسابه اليه ايضا اي ارهطي اعز عليكم من الله حتى كان امتناعكم من
رجمي بسبب انتسابي اليهم بانهم رهطي ولم يكن بسبب انتسابي الى الله
بانى رسوله والله اعلم ومما يرى تقديمه كاللازم لفظا مثل اذا استعمل

كناية من غير تعريض بعينه ولهذا قولنا مثلك لا يبخل ونحوه مما لا يراد بلفظ مثل وغير

ما أضيف إليه ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من

مقتضى القياس وموجب العرف أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل ولكون المعنى

هذا قال الشاعر ولم أقل مثلك أعني به سواك يا فردًا بلا أشبه وعليه

قوله مثلك يثني الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه وكذا قول

البحتري للحجاج لما توعده بقوله لأحملنك على الأدهم مثل الأمير

حمل على الأدهم والأشهب أي من كان على هذه الصفة من السلطان

وبسطة اليد ولم يقصد أن يجعل أحدًا مثله وكذلك حكم غير إذا سلك به المسلك

فقيل غيري يفعل ذاك على معنى أني لا أفعله فقط من غير إرادة التعريض

بإنسان وعليه قوله غيري بأكثر هذا الناس ينخدع فإنه معلوم أنه لم يرد أن

يعرض بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع بل أراد أنه ليس ممن ينخدع

وكذا قول أبي تمام وغيري يأكل المعروف سحتًا وتشحب عنده بيض

الأيادي فإنه لم يرد أن يعرض بشاعر سواه فيزعم أن الذي قرف به

عند الممدوح من أنه هجاه كان من ذلك الشاعر لا منه بل أراد أن ينفي عن

نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويلؤم لا غير واستعمال مثل وغير هكذا مركوز

في الطباع وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يتقدمان أبدًا على الفعل إذا

نحي بهما نحو ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يتقدما والسر في ذلك أن

تقديمها يفيد تقوي الحكم كما سبق تقريره وسيأتي أن المطلوب بالكناية في مثلك

لا يبخل وغيرك لا يجود هو الحكم وأن الكناية أبلغ من التصريح فيما

تقصد بها فكان تقديمها أعون للمعنى الذي جلبا لأجله وقيل قد تقدم

لأنه دال على العموم كما تقول كل إنسان لم يقم فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل

أي التقدم — المهملة

واحد من الناس لأن الموجبة المعدولة المهملة في قوة السالبة الجزئية المستلزمة

المحمول

نفي الحكم عن جملة الأفراد دون كل واحد منها فإذا سورت بكل وجب

أن يكون لإفادة العموم لا لتأكيد نفي الحكم عن جملة الأفراد لأن التأسيس خير من

التأكيد ولو لم تقدم فقلت لم يقم كل إنسان كان نفيًا للقيام عن جملة الأفراد

دون كل واحد منها لأن السالبة المهملة في قوة السالبة الكلية المقتضية

نحو لم يقم إنسان

سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها نكرة في سياق النفي فإذا سورت بكل

وجب أن يكون لإفادة نفي الحكم عن جملة الأفراد لئلا يلزم ترجيح التأكيد

نحو لم يقم كل إنسان

على التأسيس وفيه نظر لأن النفي عن جملة الأفراد في الصورة الأولى أعني

الموجبة المعدولة المهملة كقولنا إنسان لم يقم وعن كل فرد في الصورة الثانية

أعني السالبة المهملة كقولنا لم يقم إنسان إنما أفاده الإسناد إلى إنسان وإذا

أضيف كل إلى إنسان وحول الإسناد إليه فأفاد في الصورة الأولى نفي الحكم

عن جملة الأفراد وفي الثانية نفيه عن كل فرد منها كان كل تأسيسًا لا تأكيدًا

لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر وهذا ليس كذلك لأن

وان سلمنا انه ليس تأكيدا فقولنا لم يقم انسان اذا كان مفيدا للنفي عن كل
فرد كان مفيدا للنفي عن جملة الافراد لا محالة فيكون كل في لم يقم كل انسان
ايضا مفيدا للنفي عن جملة الافراد تأكيدا لا تأسيسا كما قال في كل انسان لم
يقم فلا يلزم من حمله للنفي عن كل فرد ترجيح التأكيد على التأسيس ثم جعله
قولنا لم يقم انسان سالبة مهملة في قوة [illegible] سالبة كلية مع القول بعموم
موضوعها الوارد في سياق النفي خطاء لان النكرة في سياق النفي اذا افادت
للعموم كانت القضية التي جعلت هي موضوعا لها سالبة كلية فكيف يكونه
سالبة مهملة ولو قال لو لم يكن الكلام المشتمل على كلمة كل مفيدا لخلاف ما
يفيده الخالي عنها لم يكن في الاتيان بها فايدة لتثبت مطلوبه في
الصورة الثانية دون الاولى لجواز ان يكون فايدة فيها الدلالة
نفي الحكم عن جملة الافراد واعلم ان ما ذكره هذا القائل من كون كلمة كل
مفيدة للعموم تارة وغير مفيدة اخرى مشهور وقد تعرض له الشيخ عبد
القاهر وغيره قال الشيخ رحمه الله كلمة كل في النفي ان ادخلت في حيزه بان
قدمت عليها لفظا كقول ابي الطيب ما كل ما يتمنى المرء يدركه و
قول الآخر ما كل رأي الفتى يدعو الى رشد وقولنا ما جاء القوم كلهم
وما جاء كل القوم ولم آخذ الدراهم كلها ولم آخذ كل الدراهم او تقديرا
بان قدمت على الفعل المنفي و[illegible] اعمل فيها لان العامل رتبته التقدم

على المحمول

على المحمول كقولك كل الدراهم لم آخذ توجه النفي الى الشمول خاصة دون
اصل الفعل وافاد الكلام ثبوته لبعض او تعلقه ببعض وان اخرجت
من حيزه بان قدمت عليه لفظا ولم تكن معمولة للفعل المنفي توجه النفي الى
اصل الفعل وعمّ ما اضيفت اليه كل كقول [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم لما قال
له ذو اليدين أقصرت الصلوة ام نسيت يا رسول الله كل ذلك لم يكن اي
لم يكن كل واحد منهما لا القصر ولا النسيان وقول ابي النجم قد اصبحت ام
الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع ثم قال وعلة ذلك انك اذا بدأت بكل
كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي واعملتها فيه واعمال
معنى الكلية في النفي يقتضي ان لا يشذ شيء عن النفي فاعرفه هذا لفظه وفيه نظر
وقيل انما كان التقديم مفيدا للعموم دون التأخير لان صورة التقديم تفهم
سلب لحوق المحمول للموضوع وصورة التأخير تفهم سلب الحكم من غير تعرض
للمحمول بسلب او اثبات وفيه ايضا نظر لاقتضائه ان لا يكون ليس نحو
قولنا ليس كل انسان كاتبا مفيدة لنفي كاتب هذا ان حمل كلامه
على ظاهره وان تؤول بان مراده ان التقديم يفيد سلب لحوق
المحمول عن كل فرد والتأخير يفيد سلب لحوقه لكل فرد اندفع هذا
الاعتراض لكن كان مصادرة على المطلوب واعلم ان المعتمد في المطلوب
الحديث وشعر ابي النجم وما نقلناه عن الشيخ عبد القاهر وغيره لبيان

السبب وثبوت المطلوب لا يتوقف عليه والاحتجاج بالحجة مبني
وجهين احدهما ان السؤال بام عن احد الامرين لطلب التعيين بعد
ثبوت احدهما عند المتكلم على الابهام فجوابه اما بالتعيين او بنفي كل منهما
وثانيهما ما روي انه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك
لم يكن قال له ذو اليدين بعض ذلك قد كان والايجاب الجزئي نقيضه
السلب الكلي ويقول الى النحو ما اشار اليه الشيخ عبد القاهر وهو
ان الشاعر فصيح والفصيح الشايع في مثل قوله نصب كل و
ليس فيه ما يكره او زنا وسياق كلامه انه لم يات بشيء مما ادعت
عليه هذه المراة فلو كان النصب مفيدا لذلك والرفع غير مفيد لم
يعدل عن النصب الى الرفع من غير ضرورة ومما يجب التنبه له في فصل
التقديم اصل وهو ان تقديم الشيء على الشيء ضربان تقديم على نية التاخير
وذلك في كل شيء اقر مع التقديم على حكمه الذي كان عليه كتقديم
الخبر على المبتدا والمفعول على الفاعل كقولك قايم زيد وضرب عمرا زيد
فان قايم وعمرا لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا مسندا ومرفوعا
بذلك وكون هذا مفعولا ومنصوبا من اجله وتقديم لا على نية التاخير
وذلك ان ينقل الشيء عن حكم الى حكم وتجعل له اعرابا غير اعرابه كما في اسمين
يحتمل كل منهما ان يجعل مبتدا والاخر خبرا له فيقدم تارة هذا على هذا و

احرى

واخرى هذا على هذا كقولنا زيد المنطلق والمنطلق زيد فان المنطلق لم يقدم
على ان يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التاخير فيكون خبر مبتدا
كما كان بل على ان ينقل عن كونه خبرا الى كونه مبتدا وكذا القول في تاخير
زيد واما تاخيره فلاقتضاء المقام تقديم المسند هذا كله مقتضى الظاهر
وقد يخرج المسند اليه على خلافه فيوضع المضمر موضع المظهر كقولهم
ابتداء من غير جري ذكر لفظا او قرينة حال نعم رجلا زيد و
بيس رجلا عمرو مكان نعم الرجل وبيس الرجل على قول من لا يرى
الاصل زيد نعم رجلا عمرو بيس رجلا وقولهم هو زيد عالم وهي
عمرو شجاع مكان الشان زيد عالم والقصة عمرو شجاع ليتمكن
في ذهن السامع ما يعقبه فان السامع متى لم يفهم من الضمير معنى
بقي منتظرا لعقبى الكلام كيف يكون فيتمكن المسموع بعده
في ذهنه فضل تمكن وهو السر في التزام تقديم ضمير الشان او
القصة قال الله تعالى قل هو الله احد وقال انه لا يفلح الكافرون
وقال فانها لا تعمى الابصار وقد يعكس فيوضع المظهر موضع المضمر
فان كان المظهر اسم اشارة فذلك لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه
بحكم بديع كقوله كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه وجاهل جاهل
تلقاه مرزوقا هذا الذي ترك الاوهام حايرة وصير العالم النحرير
زنديقا

واما للتهكم بالسامع كما اذا كان فاقد البصر او لم يكن ثم مشار اليه اصلا
واما للنداء على كمال بلادته بانه لا يدرك غير المحسوس بالبصر او على كمال الفطانة
بان غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره واما لادعاء انه كمال ظهوره
حتى كانه محسوس بالبصر ومنه في غير باب المسند اليه قوله تعاللت كي اشجى
وما بك علة تريدين قتلي قد ظفرت بذلك واما النحو فكذلك وان كان
المظهر غير اسم الاشارة فالعدول اليه عن المضمر اما لزيادة التمكين
كقوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد ونظيره في غيره قوله وبالحق انزلناه
وبالحق نزل وقوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على
الذين ظلموا وقول الشاعر ان تسالوا الحق نعط الحق سائله بدل نعطكم
اياه واما لادخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة واما لتقوية
داعي المامور مثالهما قول الخلفاء امير المؤمنين يامرك بكذا وعليه من غيره
فاذا عزمت فتوكل على الله واما للاستعطاف كقوله الهي عبدك العاصي
اتاكا واما النحو فكذلك قال السكاكي هذا غير مختص بالمسند اليه ولا بهذا
القدر بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقا ينقل كل واحد منها الى الآخر
ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء المعاني كقول ربيعة بن مقروم بانت
سعاد فامسى القلب معمودا واخلفتك ابنة الحر المواعيدا فالتفت
كما ترى حيث لم يقل واخلفتني وقوله تذكرت والذكرى تهيجك زينبا

واصبح باقي وصلها قد تقضبا وحل بفلج فالاباتر اهلنا
وشطت نحلت غمرة فمثقبا فالتفت في البيتين والمشهور عند
الجمهور ان الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلثة بعد
التعبير عنه بطريق آخر منها وهذا اخص من تفسير السكاكي لانه اراد
بالنقل ان يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه او كان مقتضى الظاهر ان يعبر
عنه بغيره فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس مثال الالتفات
من التكلم الى الخطاب قوله تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون
ومن التكلم الى الغيبة قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ومن الخطاب الى التكلم قول علقمة بن عبدة طحا بك قلب في الحسان
طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب يكلفني ليلى وقد شط
وليها وعادت عواد بيننا وخطوب ومن الخطاب الى الغيبة
قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ومن الغيبة الى التكلم قوله تعالى والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه ومن الغيبة الى الخطاب قوله
مالك يوم الدين اياك نعبد وقول عبد الله بن عنمة ما ان ترى السيد
زيدا في نفوسهم كما تراه بنو كوز ومرهوب ان تسالوا الحق نعط
الحق سائله والدرع محقبة والسيف مقروب واما قول امرئ القيس
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة

كليلة ذي العاير الارمد وذلك من بناه جاني وخبرته عن
ابي الاسود فقال الزمخشري فيه ثلث التفاتات وهذا ظاهر
على تفسير السكاكي لان على تفسيره في كل بيت التفاتة لا التفات الا التفات
عنده من خلاف مقتضى الظاهر فلا يكون في البيت الثالث التفات
لورود على مقتضى الظاهر الا انه منع انحصار الالتفات عنده في
خلاف مقتضى الظاهر لما تقدم واما على المشهور فلا التفات في البيت
الاول وفي الثاني التفاتة واحدة فيتعين ان يكون في الثالث
التفاتتان فقيل هما في قوله جاني احديهما باعتبار الانتقال من الخطاب
في البيت الاول والاخرى باعتبار الانتقال من الغيبة في الثاني
وفيه نظر لان الانتقال انما يكون من شيء حاصل متلبس به وان
قد حصل الانتقال من الخطاب في البيت الاول الى الغيبة في الثاني
لم يبق الخطاب حاصلا متلبسا به فيكون الانتقال الى التكلم في الثالث
من الغيبة وحدها لا منها ومن الخطاب جميعا فلم يكن في البيت
الثالث الا التفاتة واحدة وقيل احديهما في قوله وذلك لانه التفات
من الغيبة الى الخطاب والثانية في قوله جاني لانه التفات من الخطاب
الى التكلم وهذا اقرب واعلم ان الالتفات من محاسن الكلام ووجه
حسنه على ما ذكره الزمخشري هو ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى

اسلوب

اسلوب كان احسن تطرية لنشاط السامع واكثر ايقاظا
للاصغاء اليه من اجرايه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه
بلطايف كما في سورة الفاتحة فان العبد اذا افتتح حمد
غير هذا الوجه العام
مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله
الحمد لله الدال على اختصاصه بالحمد وانه حقيق به وجد من
لان الحمد لا يكون الا على الفضائل الاختيارية وهو مبدأ كل فضيلة
نفسه لا محالة محركا للاقبال عليه فاذا انتقل على نحو الافتتاح
الى قوله رب العالمين الدال على انه مالك للعالمين لا يخرج منهم شيء
عن ملكوته وربوبيته قوي ذلك المحرك ثم اذا انتقل الى قوله الرحمن
الرحيم الدال على انه منعم بانواع النعم جلايلها ودقايقها تضاعفت
قوة ذلك المحرك ثم اذا انتقل الى خاتمة هذه الصفات العظام
وهي قوله مالك يوم الدين الدال على انه مالك الامر كله يوم الجزاء تناهت
لانه اضيف مالك الى يوم الدين على طريق الاتساع والمعنى على الظرفية اي مالك في يوم الدين والمفعول محذوف لاجل التعميم
تناهت قوته واوجب الاقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية
الخضوع والاستعانة في المهمات وكما في قوله ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لم يقل
واستغفرت وعدل عنه الى طريق الالتفات تفخيما لشان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة
من اسمه الرسول من الله بمكان وذكر السكاكي لالتفات امرئ القيس

في الابيات الثلثة على غيره وجوها ان يكون المقصد تهويل

الخطب واستفظاعه فتبعه في الثالثة الاول على ان نفسه

وقت ورود ذلك النبا عليها ولهت وله الثكلى فاقامها

مقام المصاب الذي لا يبتلى بعض السلى لا يتجع الملوك

له ويحن تهم عليه ومخاطبها بتطاول الليل تسلية او على انها

لفظاعة شان النبا ابدت قلقا شديدا ولم تتصبر فعل الملوك

فشكك في انها نفسه فاقامها مقام مكروب ومخاطبها بذلك تسلية

وفي الثاني على انه صادق في التحزن خاطب اولا وفي الثالث

على انه يريد نفسه او نبه في الاول على ان النبا لشدته تركه حائرا

فما فطن معه لمقتضى الحال فجرى على لسانه ما كان الف من

الخطاب الدائر في مجاري امور الكبار امرا ونهيا وفي الثاني على انه

بعد الصدمة الاولى افاق شيئا فلم يجد النفس معه فبنى الكلام على

الغيبة وفي الثالث على ما سبق او نبه في الاول على انها حين لم تثبت

ولم تتصبر غاظه ذلك فاقامها مقام المستحق للعتاب فخاطبها

على سبيل التوبيخ والتعيير بذلك وفي الثاني على ان الحامل على الخطاب

والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب وسكت عنه الغضب بالعتاب

الاول ولى عنها الوجه وهو يدمدم قائلا واوبات وبات له وفي الثالث

اي الحال الثالث على تقدير من

الدمدمة وهي الكلام مع النفس بخبث

عا

على ما سبق هذا كلامه والخفي على المتصف ما فيه من التعسف ومن خلاف

المقتضى ما سماه السكاكي الاسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما

يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على انه الاولى بالقصد او

السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على انه الاولى

بحاله او المهم له اما الاول فكقول القبعثرى للحجاج لما قال له متوعدا

بالقيد لاحملنك على الادهم مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فانه

ابرز وعيده في معرض الوعد واراه بالطف وجه ان من كان على

صفته في السلطان وبسطة اليد فجدير بان يصفد لا ان يصفد

وكذا قوله لما قال له ثانيا انه حديد لان يكون حديدا خير من

ان يكون بليدا ومن سلوك هذه الطريقة في جواب المخاطب عبد

من قال شعر اتت تشتكي عندي مزاولة القرى وقد رأت الضيفان

ينحون منزلي فقلت كاني ما سمعت كلامها هم الضيف جدي في

قراهم وعجلي وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة واما الثاني

فكقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج

لما قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا

قليلا حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا وكقوله

يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين

والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سالوا عن بيان
ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف ومنه التعبير عن المستقبل
اى من خلاف مقتضى الظاهر
بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه وان ما هو للوقوع كالواقع
كقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله وقوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة
وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وقوله ونادى اصحاب النار و
قوله ونادى اصحاب الاعراف جعل المتوقع الذى لا بد من وقوعه
بمنزلة الواقع وعن حسان رضي الله عنه ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور و
هو طفل فجاء اليه يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كانه
ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت
الشعر ومثله التعبير عنه باسم الفاعل كقوله تعالى وان الدين لواقع
اى الجزاء
وكذا اسم المفعول كقوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
ومنه القلب كقول العرب عرضت الناقة على الحوض ورده مطلقا
اى ومن خلاف المقتضى القلب وهو ان يجعل احد اجزاء الكلام مكان الاخر
قوم وقبله مطلقا قوم منهم السكاكي والحق انه ان تضمن اعتبارا
لطيفا قبل والا رد اما الاول فكقوله ومهمه مغبرة
لانه عدول عن الظاهر من غير نكتة يعتد بها
ارجاؤه كان لون ارضه سماؤه اى كان لون سمائه لغبرتها لون
اى اطرافه ونواحيه جمع الرجا مقصورا
ارضه فعكس التشبيه للمبالغة ونحوه قول ابي تمام يصف قلم الممدوح

لعاب

لعاب الافاعي القاتلات لعابه وارى الجنى اشتارته
ايد عواسل واما الثاني فكقول القطامي كما طينت بالفدن
السياعا وقول حسان يكون مزاجها عسل وماء وقول عروة
ابن الورد فديت بنفسه نفسي ومالي وقول الآخر ولا يك موقف
منك الوداعا وقد ظهر من هذا ان قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها
فجاءها باسنا ليس واردا على القلب اذ ليس في تقدير القلب فيه
اعتبار لطيف وكذا قوله ثم دنا فتدلى وكذا قوله اذهب بكتابي
هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون فاصل الاول
اردنا اهلاكها فجاءها باسنا اى اهلاكنا واصل الثاني ثم
اراد الدنو من محمد صلى الله عليه وسلم تدلى فتعلق عليه في
الهوا ومعنى الثالث تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون
ما تقولونه بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون فيقال انه دخل عليها
من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة واما قول خداش
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر فقد ذكر له سوى القلب وجهان
احدهما ان يجعل شقاء الرماح بهم استعارة عن كسرها بطعنهم
بها والثاني ان يجعل معنى طعنهم بها شقاء لها تحقيرا لشانهم وانهم
ليسوا اهلا لان يطعنوا بها كما يقال شقي الخز بجسم فلان اذا

الشيخ عبد القاهر في المسائل المشكلة
لو قال المتنهد لكان بمنزلة ان تقول
هند ولست بمرضي ان تشير اليها معينا
ولكن ان تقول للسامع انظر الى من ههنا
من رأيته متنهدا فهذا الذي اعني بذكره
الصفة لتطلب صاحبها والظرف في هذا فاعرفه

٣٦

وكقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف
اي نحن بما عندنا راضون وكقول ابي الطيب قالت وقد رأت
اصفراري من به وتنهدت فاجبتها المتنهد اي المتنهد هو
المطالب بدون المطالب به هو المتنهد لا فيشبهني المطالب
لان مطلوب السائلة على هذا الحكم على شخص معين بانه المطالب به
ليتعين عندها لا الحكم على المطالب به بالتعيين وقيل معناه من فعل
به فيكون التقدير فعله المتنهد واما بدون الضيق كقوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه على وجه اي والله احق ان يرضوه
ورسوله كذلك ويجوز ان يكون جملة واحدة وتوحيد الضمير
لانه لا تفاوت بين رضا الله و رضا رسوله فكانا
في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبرني
وكقولك زيد منطلق وعمرو اي وعمرو كذلك وعليه قوله تعالى
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن اي واللائي لم يحضن مثلهن
وكقولك خرجت فاذا زيد وكقولك لمن قال هل لك احد ان
اي موجود او حاضر او واقف او بالباب
الناس البٌ عليك ان زيدا وان عمرا اي ان لي زيدا وان
لي عمرا وعليه قوله ان محلا وان مرتحلا اي ان لنا محلا في الدنيا

لم يكن اهلا للتسمية وقيل لقول قطري بن الفجاءة ثم انصرفت
وقد اصبت ولم اصب جذع البصيرة قارح الاقدام انه من باب
القلب على ان لم اصب بمعنى لم اجرح اي قارح البصيرة جذع
الاقدام كما يقال اقدام غر وراي مجرب واجيب عنه بانه لم اصب
بمعنى لم الف بهذه الصفة بل وجدت بخلافها جذع الاقدام
قارح البصيرة على ان قوله جذع البصيرة قارح الاقدام حال من الضمير
المستتر في اصب فيكون متعلقا بالاقرب مذكورا ويؤيد هذا الوجه قوله
قبله لا يركنن احد الى الاحجام يوم الوغى متخوفا لحمام فلقد
الركون الميل القليل في الاقدام والاحجام التاخر عن الاقدام
اراني للرماح دريئة من عن يميني مرة وامامي حتى خضبت بما
تحدر من دمي اكناف سرجي او عنان لجامي فان الخضاب بما
تحدر من دمه دليل على انه جرح وايضا فحوى كلامه اي مراده ان
يدل على انه جرح ولم يمت اعلاما بان الاقدام غير علة للحمام وحثا على
الشجاعة وبغض الفرار والاحجام

القول في احوال المسند

اما حذفه فلنحو ما سبق في باب المسند اليه من تخييل
العدول الى اقوى الدليلين ومن اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة
او مقدار تنبهه ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر
اما مع ضيق المقام كقوله فاني وقيار بها لغريب اي وقيار كذلك

وان الناس تخلّوا عنها الى الاخرة وكقوله تعالى قل لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي تقديره لو تملكون تملكون فكرر للتأكيد
ثم اضمر تملك الاول اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل
الذي هو الواو ضمير منفصل هو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ
فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره قال الزمخشري هذا ما تقتضيه
علم الاعراب فاما ما تقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه
دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ
ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير
اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل
المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر وكقوله افمن زين
له سوء عمله مثل لغير بغير اللذين تقدم ذكرهما الذين كفروا والذين
امنوا لكن يزين له سوء عمله ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قيل له ذلك قال لا فقيل فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقيل المعنى افمن زين له سوء عمله
ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف
لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء واما قوله تعم

فاليه سوّلت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقوله سورة انزلناها وقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة
معروفة فكل منها يحتمل الامرين حذف المسند اليه وحذف المسند
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وهذه سورة انزلناها او فيما
اوحينا اليك سورة انزلناها وامركم والذي يطلب منكم طاعة
معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلّص من
المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها
بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة اي بانها
بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان
الكاذبة ومما يحتمل الوجهين قوله سبحانه ولا تقولوا ثلثة فقيل
التقدير ولا تقولوا الهتنا ثلثة ورد بانه تقرير لثبوت الالهة
لان النفي انما يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ كما تقول
ليس امراؤنا ثلثة فانك تنفي به ان يكون عدة الامراء ثلثة دون
ان يكون لكم امراء وذلك اشراك مع ان قوله تعالى بعده انما الله اله
واحد يناقضه والوجه ان يكون ثلثة صفة مبتدأ او خبر محذوف
او مبتدأ محذوف مميزه لا خبر مبتدأ والتقدير ولا تقولوا لنا
او في الوجود آلهة ثلثة او ثلثة آلهة ثم حذف الخبر كما حذف في لا اله

الا الله وما من اله الا الله ثم حذف الموصوف والمميز كما
حذفا في غير هذا الموضع فيكون النهي عن اثبات الوجود
لآلهة وهذا ليس فيه تقرير لثبوت آلهين مع ان ما بعده
اعني قوله انما الله اله واحد ينفي ذلك فيحصل النهي عن الاشراك
والتوحيد من غير مناقض ولهذا يصح ان يتبع نفي الاثنين فيقال
ولا تقولوا لنا آلهة ثلثة ولا آلهان لانه كقولنا ليس لنا آلهة
ثلثة ولا آلهان وهذا صحيح ولا يصح ان يقال على التقدير الاول
ولا تقولوا آلهتنا ثلثة ولا اثنان لانه كقولنا ليست آلهتنا
ثلثة ولا اثنين وهذا فاسد ويجوز ان يقدر ولا تقولوا الله
والمسيح وامه ثلثة يعني لا تعبدوهما كما تعبدونه لقوله تعالى لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة فيكون معنى ثلثة متساوون
في الصفة والرتبة فانه قد استقر في العرف انه اذا اريد الحاق
اثنين بواحد في وصف وانهما شبيهان له ان يقال هم ثلثة كما
يقال اذا اريد الحاق واحد باخر وجعله في معناه هما اثنان
واعلم ان الحذف لا بد له من قرينة كوقوع الكلام جوابا
عن سوال اما محقق كقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقوله ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء

فاحيي

فاحيي به الارض من بعد موتها ليقولن الله واما مقدر
نحو ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح
فيها بالغدو والاصال رجال وقوله وكذلك يوحي اليك والى
الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ببناء الفعل للمفعول وفضل
هذا التركيب على خلافه اعني نحو ليبك يزيد ضارع ببناء
الفعل للفاعل ونصب يزيد من وجوه احدها ان هذا التركيب
يفيد اسناد الفعل الى الفاعل مرتين اجمالا ثم تفصيلا
الثاني ان نحو يزيد ركن الجملة لا فضلة الثالث ان اوله
غير مطمع للسامع في ذكر الفاعل لكون علمه ورود كمثل تنبيه لرغبته
من حيث لا يحتسب وخلافه بخلاف ذلك ومن هذا الباب اعني الحذف
الذي تدل عليه وقوع الكلام جوابا عن سوال مقدر قوله تعالى وجعلوا
لله شركاء الجن على وجه فان لله شركاء ان جعلا مفعولي جعلوا فالجن
يحتمل وجهين احدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر رحمه الله وهو ان
يكون منصوبا بمحذوف دل عليه سوال مقدر كانه قيل من جعلوا لله شركاء
فقيل الجن فيفيد الكلام انكار الشرك مطلقا فيدخل اتخاذ الشريك
من غير الجن في الانكار دخول اتخاذه من الجن والثاني ما ذكره الزمخشري
وهو ان ينتصب الجن بدلا من شركاء فيفيد انكار الشرك مطلقا ايضا

٢٩

نحو في الدار خالد اذ تقديره استقر او حصل في الدار خالد فقوى

الاحتمال بين تمام الصلة بالظرف كقولك الذي في الدار اخوك في فيه نظر

من وجهين احدهما ان ما ذكره في تفسير المسند الفعلي يجب ان يكون

تفسيرا للمسند مطلقا والظاهر انه انما قصد به الاحتراز عن المسند

السببي اذ فسر المسند السببي بعد هذا بما يقابل تفسير المسند الفعلي

ومثل بقولك زيد ابوه انطلق او منطلق والبر الكر منه بستين فجعل

كما ترى امثلة السببي مقابلة لامثلة الفعلي مع الاشتراك في اصل المعنى

والثاني ان الظرف الواقع خبرا اذا كان مقدرا بجملة كما اختاره

كان قولك الكر من البر بستين تقديره الكر من البر استقر

بستين فيكون المسند جملة فيحصل تقوي الحكم كما مر وكذا

اذا كان في الدار خالد تقديره استقر في الدار خالد كان المسند

جملة ايضا لكون استقر مسندا الى ضمير خالد لا الى خالد على

الاصح لعدم اعتماد الظرف على شيء واما كونه فعلا فللتقييد

باحد الازمنة الثلثة على اخصر ما يمكن مع افادة التجدد واما

كونه اسما فلافادة عدم التقييد والتجدد كما يأتي فيهما قول

الشاعر لا يألف الدرهم الصياح صرتنا لكن يمر عليها

وهو منطلق وقوله او كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الي

هو ما خلا في معنوم بالوضع
الموذن بالتجدد لا بما غير قار
الذات اي لا يجتمع اجزاؤه
معا فلا ينفك عن الزمان الا
لعارض بخلاف الاسم فانه
لا يدل على الزمان وان دل
عليه لا يدل بحسب بنيته الما
مادته كالمتقدم او بامر خارج
عنه كما في قولك زيد ضارب
عمرا الان او غدا فلا يكون
على اخصر وجه ۞ خلخالي

عكاظ سوق العرب كانوا يجتمعون فيه فيتناشدون
ويتفاخرون وكانت فيه وقائع ونحوها العرب التي هم
بأمورهم الذي اعني به الكرو عرف يوم اي الصور
غير بعد تعرفي الوجوه وناظمها شافسنا
ولحظه فلحظ ۞ سادات

كما مر وان جعل الظرف الذي هو قوله تعالى لله بعد ان شركاء الجن مفعولين

قدم ثانيهما على الاول فائدة التقديم استعظام ان يتخذ لله شريك

من كان ملكا او جنيا او غيرهما ولذلك قدم اسم الله على الشركاء ولو لم

يبن الكلام على التقديم وقيل وجعلوا الجن شركاء لله لم يفد الا انكار جعل

الجن شركاء والله اعلم ومنه اي تفيد التخصيص في نعم ونحوه بناء على احد القولين

واما تأخيره فلاقتضاء المقام وما تقدم في باب المسند اليه من زيادة

التقرير والتعريض بغباوة السامع والاستلذاذ والتعظيم والاهانة و

بسط الكلام واما كونه اسما فيستفاد منه الثبوت او كونه

فعلا فيستفاد منه التجدد او كونه ظرفا فيورث احتمال الثبوت والتجدد

واما تعريفه فلان قال السكاكي واما التعريف في المسند اليه بذكره كما اذا

قلت زيد يقاوم الاسد مع دلالة قرائن الاحوال انه

نظر لحصول التعجب بدون الذكر اذا قامت القرينة واما افراده فلكونه

غير سببي مع عدم افادة تقوي الحكم كقولك زيد منطلق وقام عمرو والمراد بالسببي نحو

زيد ابوه منطلق قال السكاكي واما الحالة المقتضية لافراده

فهي اذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوي الحكم واعني بالمسند

الفعلي ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت للمسند اليه او بالانتفاء عنه كقولك

ابو زيد منطلق والكر من البر بستين وضرب اخوك عمرو ويشكل بكون المسند ان تقوي الحكم

عن بيتهم بتوسّم اذ معنى الاول على انطلاق ثابت للاوضع مطلقاً من غير اعتبار تجرده وحدوثه ومعنى الثاني على توسّم وتامّل ونظر بتجرده من التعريف هناك واما تقييد الفعل بمفعول ونحوه فلتربية الفائدة كقولك ضربت ضرباً شديداً او ضربت زيداً وضربت يوم الجمعة وضربت امامك وضربت تاديباً وضربت بالسوط وجلست والسارية وجاء زيد راكباً وطاب زيد نفساً وما ضربت الا زيداً وما ضربت الا زيداً او المفيد من نحو كان زيد قائماً هو قائماً الا كان واما ترك تقييده فلمانع من تربية الفائدة واما تقييده بالشرط فلاعتبارات لا تعرف الا بمعرفة ما بين ادواته من التفصيل وقد بيّن ذلك في علم النحو ولكن لا بد من النظر هنا في ان واذا ولو اما ان واذا فهما للشرط في الاستقبال لكنهما تفترقان في شيء وهو ان الاصل في ان ان لا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول لصاحبك ان تكرمني اكرمك وانت لا تقطع بانه يكرمك والاصل في اذا ان يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول اذا زالت الشمس آتيك ولذلك كان الحكم النادر موقعاً لان لان النادر غير مقطوع به في غالب الامر وغلب لفظ الماضي مع اذا لكونه اقرب الى القطع بالوقوع نظراً الى اللفظ قال الله تعالى فاذا جاءتهم

الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه اتى في جانب الحسنة بلفظ اذا لان المراد الحسنة المطلقة التي حصولها مقطوع به ولذلك عرفت تعريف الجنس وجوز السكاكي ان يكون تعريفها للعهد وقال هذا اقضى لحق البلاغة وفيه نظر واتى في جانب السيئة بلفظ ان لان السيئة نادرة بالنسبة الى الحسنة المطلقة ولذلك نكرت ومنه قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اتى في جانب الرحمة واما تنكيرها فجعله السكاكي للنوعية نظراً الى لفظ الاذاقة وجعله للتقليل نظراً الى لفظ الاذاقة كما قال اقرب واما قوله تعالى واذا مس الناس ضر بلفظ اذا مع الضر فللنظر الى لفظ المس والى تنكير الضر المفيد في المقام التوبيخي القصد الى اليسير من الضر والى الناس المستحقين ان يلحقهم كل ضر وللتنبيه على ان مساس قدر يسير من الضر لامثال هؤلاء حقه ان يكون في حكم المقطوع به واما قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض بعد قوله واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه اي اعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم فالذي تقتضيه البلاغة ان يكون الضمير في مسه للمعرض المتكبر ويكون لفظ اذا للتنبيه على ان مثله

بحيث ان لا يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به قاله الزمخشري والجهل يوقع
ان واذا يرتع كثيرا من الخاصة عن الصواب فيغلطون الا ترى
الى عبد الرحمن بن حسان كيف اخطا بها الموقع في قوله يخاطب بعض
الولاة وقد سالته حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها
ذممت ولم تحمد وادركت حاجة تولى سواكم اجرها واصطناعها
ابى لك كسب الحمد راى مقصر ونفس اضاق الله بالخير باعها
اذا هي حثته على الخير مرة عصاها وان همت بشر اطاعها
فلو عكس لاصاب وقد يستعمل ان في مقام القطع بوقوع الشرط
لنكتة كالتجاهل لاستدعاء المقام اياه وكعدم جزم المخاطب
كقولك لمن يكذبك فيما تخبر ان صدقت فقل لي ماذا تفعل و
كتنزيله منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم كما تقول لمن يؤذي
اباه ان كان اباك فلا تؤذه وكالتوبيخ على الشرط وتصوير ان
المقام لاشتماله على ما يقلعه عن اصله لا يصلح الا لفرضه كما يفرض
المحال لغرض كقوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما
مسرفين فيمن قرا ان بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب
الاسراف وتصوير ان الاسراف من العاقل في هذا المقام واجب
الانتفاء حقيق ان لا يكون ثبوته له الا على مجرد الفرض وكتغليب غير المتصف

به بالشرط على المتصف ويجيء قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا بان يحتمل ان يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام
على ما يقلعها عن اصلها ويحتمل ان يكون لتغليب غير المرتابين
من المخاطبين على المرتابين منهم فانه كان فيهم من يعرف الحق و
انما ينكر عنادا وكذا قوله تعالى وان كنتم في ريب من البعث و
التغليب باب واسع يجري في فنون كثيرة كقوله تعالى لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
ادخل شعيب عليه السلام في لتعودن في ملتنا بحكم التغليب
اذ لم يكن شعيب في ملتهم اصلا ومثله قوله ان عدنا في ملتكم
وكقوله وكانت من القانتين عدت الانثى من الذكور بحكم التغليب
وكقوله تعالى فسجدوا الا ابليس عد ابليس من الملائكة بحكم
التغليب وكقوله بل انتم قوم تجهلون بتاء الخطاب غلب جانب
انتم على جانب قوم ومثله وما ربك بغافل عما تعملون فيمن قرا
بالتاء وكذا يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون غلب المخاطبون في قوله لعلكم تتقون على الغائبين
في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا لان لعل متعلقة بخلقكم لا باعبدوا
وهذا من غوامض التغليب وكقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا

اجمعين تصوره اياه فربما يخيل اليه حاصلا وعليه قوله
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقد يقوى هذا
التخيل عند الطالب حتى اذا وجد حكم الحس خلاف حكمه غلطه
تارة واستحيى له تجملا اخرى وعليه قول ابى العلاء المعرى
ما سرت الا وطيف منك يصحبنى سرى امامى وتاويبا
على اثرى لو حط رحلى فوق النجم رافعه الفيت ثم خيالا منك منتظرى
يود ان ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر
اما مى ليلا واعرك خلفى اذا لم يتنبه تغليطه حتى لا يرد كلك
بين يدى نهارا او نحو ذلك قال السكاكى او للتعريض كما فى قوله
تعالى لئن اشركت وقوله ولئن اتبعت اهواءهم وقوله فان
زللتم من بعد ما جاءتكم البينات ونظير منه التعريض قوله وما
لى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون المراد وما لكم لا تعبدون
الذى فطركم والمنبه عليه ترجعون وقوله ااتخذ من دونه آلهة
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون
انى اذا لفى ضلال مبين اذ المراد اتتخذون من دونه آلهة ان يردكم
الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئا ولا ينقذوكم انكم اذا
لفى ضلال مبين ولذلك قيل آمنت بربكم دون بربى واتبعه

فاسمعون

ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه فان الخطاب فيه شامل للعقلاء
والانعام فغلب فيه المخاطبون على الغيب والعقلاء على الانعام
وقوله يذرؤكم فيه اى يبثكم ويكثركم فى هذا التدبير وهو ان
جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد
والتناسل فجعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير
لذلك قيل يذرؤكم فيه ولم يقل به كما فى قوله ولكم فى القصاص حيوة
واعلم انه لما كانت هاتان الكلمتان لتعليق امر بغيره اعنى
الجزاء بالشرط فى الاستقبال امتنع فى كل واحدة من جملتيهما
الثبوت ومع فى افعالهما المضى اعنى ان تكون كلتا الجملتين او
احديهما اسمية او كلا الفعلين او احدهما ماضيا ولا الحال فى نكر
لفظا نحو ان اكرمتنى اكرمتك وان اكرمتنى اكرمك وان اكرمتنى
تكرمنى اكرمتك وان تكرمنى فانت مكرم وان اكرمتنى الآن
فقد اكرمتك امس الا لنكتة ما مثل ابراز غير الحاصل فى صورة
الحاصل اما لقوة الاسباب المتاخذة فى وقوعه كقولك ان اشترينا
كذا حال انعقاد الاسباب فى ذلك او لان ما هو للوقوع كالواقع
كقولك ان مت كما سبق او للتفاؤل او لاظهار الرغبة فى وقوعه بعد ذكر
نحو ان ظفرت بحسن العاقبة فان الطالب اذا بالغت رغبته فى حصول

البد وحجتهم تتطلب اسماع المخاطبين الذين هم اعداء الحق
الحق على وجه لا يزيدهم الا غضبا وهو ترك التصريح بنسبتهم
الى الباطل ومواجهتهم بذلك يعين على قبوله لكونه ادخل
في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ومن هذا القبيل
قوله تعالى قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون فان
حق النسق من حيث الظاهر قل لا تسألون عما عملنا ولا نسأل
عما تجرمون وكذا ما قبله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
قال السكاكي وهذا النوع من الكلام يسمى المنصف ومما يتصل
بما ذكرنا ان الزمخشري قرر قوله تعالى وودوا لو تكفرون عطفا
على جواب الشرط في قوله ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وقال الماضي وان كان يجري
في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل
وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون بكم مضار
الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا
وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين
اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده
ان يقصد اعز شيء عند صاحبه هذا كلامه وهو حسن دقيق لكن في جعل

جعل ودوا لو تكفرون عطفا على جواب الشرط نظر لان ودادتهم
ان يرتدوا كفارا حاصلة وان ظفروا بهم او لا فلا يكون
مقيدا بالشرط فالاولى ان يجعل قوله وودوا لو تكفرون عطفا
على الجملة الشرطية كقوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
واما لو فللشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء
كانتفاء الاكرام في قولنا لو جئتني لاكرمتك ولذلك قيل هي لامتناع
الشيء لامتناع غيره ويلزم كون جملتيها فعليتين وكون الفعل ماضيا
فدخولها على المضارع في نحو لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لقصد
استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا كما في قوله تعالى الله يستهزئ
بهم بعد قوله انما نحن مستهزؤن وفي قوله فويل لهم مما كتبت
ايديهم وويل لهم مما يكسبون ودخولها عليه في نحو قوله تعالى
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم وقوله تعالى
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم لتنزيله منزلة الماضي
لصدوره عمن لا خلاف في اخباره كما نزل يود منزلة ود في قوله
ربما يود الذين كفروا وجوز ان يرد الغرض من لفظ ترى
الى استحضار صورة رؤية المجرمين ناكسي الرؤس قائلين
لما يقولون وصورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين

بتلك المقالات وصورة وحادة الكافرين لو اسلموا كما في قوله تعالى

والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت

فاحيينا به الارض بعد موتها اذ قال فتثير استحضارا لتلك

الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من اثارة السحاب

مسخرا بين السماء والارض متكونا في الاول كانها قطع قطن

مندوف ثم تتضام متقلبة بين اطوار حتى يعود ركاما و

كقول تابط شرا الا من مبلغ فتيان فهم بما لاقيت عند رحا

بطان باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها كلانا نضو ارض اخو سفر فخلي لي مكاني فشدت

شدة نحوي فاهوى لها كفي بمصقول يماني فاضربها بلا دهش

فخرت صريعا لليدين وللجران اذ قال فاضربها لتصوير

الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها و

يتطلب منهم مشاهدتها تعجيبا من جرأته على كل هول وثباته

عند كل شدة ومنه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه

من تراب ثم قال له كن فيكون اذ قال فيكون دون فكان وكذا

قوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي

به الريح في مكان سحيق واما تنكيره فلارادة عدم الحصر

والعهد كقولك زيد كاتب وعمرو شاعر واما للتنبيه على ارتفاع

شانه او انحطاطه على ما مر في المسند اليه كقوله تعالى هدى

للمتقين اي هدى لا يكتنه كنهه واما تخصيصه بالاضافة او الوصف

فليكون الفائدة اتم كما مر واما تركه تخصيصه بهما فظاهر مما

سبق واما تعريفه فلافادة السامع اما حكما على امر معلوم

بطريق من طرق التعريف بامر آخر معلوم له كذلك واما لازم

حكم بين امرين كذلك تفسير هذا انه قد يكون للشيء صفتان من

صفات التعريف ويكون السامع عالما باتصافه باحدهما

دون الاخرى فاذا اردت ان تخبره انه متصف بالاخرى فتعمد

الى اللفظ الدال على الثانية وتجعله خبرا فتفيد السامع ما

كان يجهله من اتصافه بالثانية كما اذا كان للسامع اخ يسمى

زيدا وهو يعرفه بعينه واسمه ولكنه لا يعرف انه اخوه واردت

ان تعرفه انه اخوه فتقول له زيد اخوك سواء عرف ان له اخا ولم

يعرف ان زيدا اخوه او لم يعرف ان له اخا اصلا وان عرف ان له

اخا في الجملة واردت ان تعينه عنده قلت اخوك زيد

اما اذا لم يعرف ان له اخا اصلا فلا يقال ذلك لامتناع الحكم بالتعيين

على من لا يعرفه المخاطب اصلا فظهر الفرق بين قولنا زيد اخوك و

وتقولنا اخوك زيد وكذا اذا عرف السامع انسانا يسمى زيدا
بعينه واسمه وعرف انه كان من انسان انطلاق ولم يعرف انه
كان من زيد او غيره فاردت ان تعرفه ان زيدا هو ذلك
المنطلق فتقول زيد المنطلق وان اردت ان تعرفه ان
ذلك المنطلق هو زيد قلت المنطلق زيد وكذا اذا عرف
السامع انسانا يسمى زيدا بعينه واسمه وهو يعرف معنى جنس
المنطلق واردت ان تعرفه ان زيدا متصف به فتقول زيد
المنطلق وان اردت ان تعين عنده جنس المنطلق قلت
المنطلق زيد لا يقال زيد دال على الذات فهو متعين
للابتداء تقدم او تاخر والمنطلق دال على امر نسبي فهو
متعين للخبرية تقدم او تاخر لانا نقول المنطلق لا يجعل مبتدا
الا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق وانه بهذا المعنى لا يجب ان
يكون خبرا وزيد لا يجعل خبرا الا بمعنى صاحب اسم زيد وانه
بهذا المعنى لا يجب ان يكون مبتدا ثم التعريف بلام الجنس قد يفيد
قصر المعرف على ما حكم عليه به كقول الخنساء اذا قبح البكاء
على قتيل رايت بكاءك الحسن الجميلا وقد يفيد قصره اما تحقيقا
كقولك زيد الامير اذا لم يكن امير سواه واما مبالغة لكمال معناه

٢

في المحكوم عليه كقولك عمرو الشجاع اي الكامل في الشجاعة فيخرج
الكلام في صورة توهم ان الشجاعة لم توجد الا فيه لعدم الاعتداد
بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال ثم المقصور قد يكون
نفس الجنس مطلقا اي من غير اعتبار تقييده بشيء كما مر وقد يكون
الجنس باعتبار تقييده بظرف او غيره كقولك هو الوفي حين
لا تظن نفس بنفس خيرا فان المقصور هو الوفاء في هذا الوقت لا
الوفاء مطلقا وكقول الاعشى هو الواهب المائة المصطفاة
اما مخاضا واما عشارا فانه قصر هبة المائة من الابل في احد
الحالتين لا هبتها مطلقا ولا الهبة مطلقا وهذه الوجوه
الثلثة اعني العهد والجنس للقصر تحقيقا والجنس للقصر مبالغة
تمنع جواز العطف بالواو ونحوها على ما حكم عليه بالمعرف بخلاف
المنكر فلا يقال زيد المنطلق وعمرو ولا زيد الامير وعمرو ولا زيد
الشجاع وعمرو واما كونه جملة فاما للافادة تقوي الحكم بنفس
التركيب كما سبق واما لكونه سببيا وقد تقدم بيان ذلك وفعليتها
لافادة التجدد واسميتها لافادة الثبوت فان من شان الفعلية
ان تدل على التجدد ومن شان الاسمية ان تدل على الثبوت في
قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم

ولهذا اطلق قوله بمؤمنين واكد نفيه بالباء وكذا يريدون ان

يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وشرطيتها للماضي و

ظرفيتها لاختصاص الفعلية اذ هي مقدرة بالفعل على الاصح و

اما تاخيره فلان   ذكر المسند اليه اهم كما سبق واما تعزيه

فاما التخصيص بالمسند اليه كقوله لكم دينكم ولي دين وقولك

قايم هو لمن يقول زيد اما قايم او قاعد فيرده بين القيام و

القعود من غير ان تخصيصه باحدهما ومنه قولهم تميمي انا وعليه

قوله تعالى لا فيها غول اي بخلاف خمور الدنيا فانها تغتال العقول

ولهذا لم يتقدم الظرف في قوله لا ريب فيه لئلا يفيد ثبوت الريب في

ساير كتب الله تعالى واما للتنبيه من اول الامر على انه خبر لا نعت

كقوله له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر

وعليه قوله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين واما للتفاول

واما للتشويق الى ذكر المسند اليه كقوله ثلثة تشرق الدنيا ببهجتها

شمس الضحى وابو اسحق والقمر وقوله وكالنار الحيوة فمن رماد

اواخرها واولها دخان قال السكاكي وحق هذا الاعتبار تطويل

الكلام في المسند والا لم يحسن ذلك الحسن **تنبيه** كثير مما ذكر

في هذا الباب والذي قبله غير مختص بالمسند اليه والمسند كالذكر

فيهما والمسند اليه ليس بمقصود
عليه بل على جزء منه اعني الضمير
المجرور الراجع الى خمور الجنة
قلت المقصود ان عدم الغول
مقصور على الاتصاف بخمور الجنة
لا يتجاوزه الى الاتصاف بخمور
الدنيا وان اعتبرنا النفي في جانب
المسند فالمعنى ان الغول مقصور
على عدم الحصول في خمور الجنة لا
يتجاوزه الى عدم الحصول في خمور الدنيا
فالمسند اليه مقصور على المسند قصرا غير
حقيقي وكذلك القياس في قوله تعالى لكم دينكم
ولي دين وبطل بما ذكره صاحب المفتاح
في قوله تعالى ان حسابهم الا على ربي
من ان المعنى حسابهم مقصور على الا
تصاف بعلى ربي لا يتجاوز الى الاتصاف
بعلى فجميع ذلك من قصر الموصوف
على الصفة دون العكس كما توهمه
بعضهم ٩ سادا فى

قالوا انا معكم   وقوله قالوا سلاما قال سلام اذ اصل

الاول نسلم عليك سلاما وتقدير الثاني سلام عليكم كان ابرهيم

عليه السلام قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله

تعالى في قوله   واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وقد ذكر له

وجه آخر فيه دقة غير انه باصول الفلاسفة اشبه وهو ان التسليم

دعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل نقص ولهذا اطلق وكمال الملايكة

لا تتصور فيه التجدد لان حصوله بالفعل مقارن لوجودهم فناسب

ان يحيوا بما يدل على الثبوت دون التجدد وكمال الانسان متجدد

لانه بالقوة وخروجه الى الفعل بالتدريج فناسب ان يحيى بما يدل

على التجدد دون الثبوت وفيه نظر وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام

انتم صامتون اي احدثتم دعاءهم ام استمر صمتكم عنه فانه كانت

حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعائهم فقيل لم تفترق الحال

بين احداثكم دعاءهم وما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم و

قوله تعالى قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانه اي احدثت

عندنا تعاطي الحق فيما نسمعه منك ام اللعب اي احوال الصبى بعد

مستمرة عليك واما قوله وما هم بمؤمنين في جواب آمنا بالله و

باليوم الآخر فللاخراج ذواتهم من جنس المؤمنين مبالغة في تكذيبهم

والحذف وغيرها كما تقدمت امثلته والفطن اذا اتقن اعتبار ذلك
فيها لا يخفى عليه اعتباره في غيرها

القول في احوال متعلقات الفعل

حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل فكما انك اذا
اسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك ان تفيد وقوعه منه لا
ان تفيد وجوده في نفسه فقط كذلك اذا عديته الى المفعول كان
غرضك ان تفيد وقوعه عليه لا ان تفيد وجوده في نفسه فقط
فقد اجتمع الفاعل والمفعول في ان عمل الفعل فيهما انما كان ليعلم التباسه
بهما فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه و
النصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه
عليه اما اذا اريد الاخبار بوقوعه في نفسه من غير ارادة
ان يعلم ممن وقع او على من وقع فالعبارة عنه ان يقال كان ضرب
او وقع ضرب او وجد ضرب او نحو ذلك من الفاظ تفيد الوجود
المجرد واذا تقرر هذا فنقول الفعل المتعدي اذا اسند الى فاعله
ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين الاول ان يكون الغرض اثبات
المعنى في نفسه للفاعل على الاطلاق او نفيه عنه كذلك وقولنا
على الاطلاق اي من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار
تعلقه بمن وقع عليه فيكون المتعدي حينئذ بمنزلة اللازم فلا يذكر

الفعل بان يراد جميع افراده او خصوصه بان يراد بعضه

له مفعول

مفعول لئلا يتوهم السامع ان الغرض الاخبار به باعتبار تعلقه
بالمفعول ولا يقدر ايضا لان المقدر في حكم المذكور
وهذا الضرب قسمان لانه اما ان يجعل الفعل مطلقا كناية عن
الفعل متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة او لا الثاني كقوله
تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي من يوجد
له معنى العلم ومن لا يوجد قال السكاكي ثم اذا كان المقام خطابيا
لا استدلاليا افاد العموم في افراد الفعل دفعا لايهام ان القصد
الى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما والحكم ثم جعل منه قولهم في
المبالغة فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع محتملا لذلك ولتعميم المعنى
كما سيأتي وعده الشيخ عبد القاهر مما يفيد اصل المعنى على
الاطلاق من غير اشعار بشيء من ذلك والاول كقول البحتري
يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله
شجو حساده وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع واع
اي ان يكون ذو رؤية وذو سمع فيدرك محاسن الممدوح وآثاره واخباره فلم
تخف على من له بصر وسمع لكثرتها واشتهارها
ويكفي في معرفة انها سبب لاستحقاقه الامامة دون غيره
ان يقع عليها بصر ويعيها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل

ثم حذفه من اللفظ اما للبيان بعد الابهام كما في فعل
المشية اذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة كقولك لو شئت
جئت او لم اجئ اي لو شئت المجيء او عدم المجيء فانك
متى قلت لو شئت علم السامع انك علقت المشية
بشيء فيقع في نفسه ان هنا شيئا تعلقت به مشيتك
بان يكون او لا يكون فاذا قلت جئت او لم اجئ عرف
ذلك الشيء ومنه قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين وقوله
فان يشا الله يختم على قلبك وقوله من يشا الله يضلله
وقول طرفة فان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت
مخافة ملوي من القد محصد وقول البحتري لو شئت
عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده
وقوله لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم
مآثر خالد فان كان في تعلق الفعل به غرابة ذكرت المفعول
لتقرره في نفس السامع وتؤنسه به كقول الرجل يخبر عن عزه
لو شئت ان ارد على الامير رددت عليه ولو شئت ان
القى الخليفة كل يوم لقيته وعليه قول الشاعر ولو شئت ان
ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع واما قوله

احد فحساده واعداؤه يتمنون ان لا تكون في الدنيا من له عين
يبصر بها واذن يسمع بها كي يخفى استحقاقه للامامة فيجدوا
بذلك سبيلا الى منازعته اياها فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية
عن رؤية محاسنه وآثاره ومطلق السماع كناية عن سماع اخباره
وكقول عمرو بن معدي كرب فلو ان قومي انطقتني رماحهم
نطقت ولكن الرماح اجرت لان غرضه ان يثبت انه كان من
الرماح اجرار يحبس الالسن عن النطق بمدحهم والافتخار
بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهو انها اجرته وكقول
طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب جزى الله عنا جعفرا
حين ازلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت ابوا ان
يملونا ولو ان امنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت هم خلطونا
بالنفوس والجاؤا الى حجرات ادفات واظلت فان الاصل
لملتنا واظلتنا الا انه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على
مطلوبه بطريق الكناية فان قلت لا شك ان قوله الجاؤا اصله
الجاؤنا فلا يصح حذف المفعول منه قلت الظاهر انه حذفه لمجرد
الاختصار لانه في حكم ما عطف عليه وهو قوله خلطونا الضرب
الثاني ان يكون الغرض افادة تعلقه بمفعول فيجب تقديره بحسب القرائن

بوقع نفي الوجوب على صريح لفظ المثل ولاجل هذا المعنى بعينه
عكس ذو الرمة في قوله ولم امدح لارضيه بشعري لئيما ان يكون
اصاب مالا فانه اعمل الفعل الاول الذي هو امدح في صريح لفظ اللئيم
والثاني الذي هو ارضيه في ضميره اذ كان غرضه ايقاع نفي المدح
على اللئيم صريحا دون الارضاء ويجوز ان يكون سبب الحذف في بيت
البحتري قصد المبالغة في التادب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح
بما يدل على تجويز ان يكون له مثل فان العاقل لا يطلب الا ما يجوز وجوده
واما للقصد الى التعميم في المفعول والامتناع ان يقصره السامع على ما يذكر
معه دون غيره مع الاختصار كما تقول قد كان منك ما يؤلم اي ما الشرط في
مثله ان يؤلم كل احد وكل انسان وعليه قوله تعالى والله يدعو الى دار
السلام اي يدعو كل احد واما للرعاية على الفاصلة كقوله تعالى والضحى
والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى اي وما قلاك واما لاستهجان
ذكره كما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما رايت منه ولا رأى
مني تعني العورة واما لمجرد الاختصار كقولك اصغيت اليه اي اذني
واغضيت عليه اي بصري ومنه قوله تعالى ارني انظر اليك اي ذاتك
وقوله اهذا الذي بعث الله رسولا اي بعثه وقوله فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون اي انه لا يماثل او ما بينه وبينها من التفاوت او انها لا تفعل

الحسن علي بن احمد الجوهري احد شعراء الصاحب ابن عباد
فلم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت ان ابكي بكيت
تفكرا فليس منه لانه لم يرد ان يقول فلو شئت ان ابكي تفكرا
بكيت تفكرا ولكنه اراد ان يقول افناني النحول فلم يبق مني
وفي غير خواطر تجول حتى لو شئت البكاء فمريت جفوني
وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم اجده وخرج منها بدل الدمع
التفكر فالمراد بالبكاء في الاول الحقيقي وفي الثاني غير الحقيقي
فالثاني لا يصلح ان يكون تفسيرا للاول واما لدفع ان يتوهم السامع
في اول الامر ارادة شيء غير المراد كقول البحتري وكم ذدت عني
من تحامل حادث وسورة ايام حززن الى العظم اذ لو قال
حززن اللحم لجاز ان يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده ان الحز كان
في بعض اللحم ولم ينته الى العظم فترك ذكر اللحم ليبرئ السامع من
هذا الوهم ويصوره في نفسه من اول الامر ان الحز مضى في اللحم حتى لم
يرده الا العظم واما لانه اريد ذكره ثانيا على وجه يتضمن ايقاع
الفعل على صريح لفظه اظهارا لكمال العناية بوقوعه عليه كقول البحتري
ايضا قد طلبنا فلم نجد لك في السودد والمجد والمكارم مثلا اي
قد طلبنا لك مثلا في السودد والمجد والمكارم فحذف اذ كان غرضه ان

كيف فعله كقوله قل هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وحتمل ان يكون
المقصود نفس الفعل من غير تعميم اي وانتم من اهل العلم والمعرفة ثم انتم
ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا غاية
الجهل ومما عدّ السكاكي الحذف فيه لمجرد الاختصار قوله تعالى ولما
ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم
امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير فسقى لهما والاولى ان يجعل لاثبات المعنى في نفسه
للشيء على الاطلاق كما مر وهو ظاهر قول الزمخشري فانه قال ترك المفعول
لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد
وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا و
كذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود منه السقي لا المسقي
واعلم انه قد يشتبه الحال في امر الحذف وعدمه لعدم تحصيل معنى
الفعل كلمة قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى فانه قد يظن ان الدعاء فيه بمعنى النداء فلا تقدير في الكلام
محذوف وليس بمعناه لانه لو كان بمعناه لزم اما الاشتراك او عطف الشيء
على نفسه لانه ان كان مسمى احدهما غير مسمى الآخر لزم الاول وان كان
مسماهما واحدا لزم الثاني وكلاهما باطل تعالى كلام الله عن ذلك بل الدعاء

في الآية بمعنى التسمية التي تتعدى الى مفعولين اي سموه الله
او الرحمن ايا ما تسموه فله الاسماء الحسنى كما يقال فلان
يدعى الامير اي يسمى الامير ومما نحن فيه قراءة من قرأ وقالت اليهود
عزير ابن الله بغير تنوين على القول بان سقوط التنوين لكون
الابن صفة واقعة بين علمين كما في قولنا زيد بن عمرو قائم فانه
قد ظن ان فعل القول فيه لحكاية الجملة كما هو اصله فقيل تقديره
الكلام عزير ابن الله معبودنا وهذا باطل لان التصديق و
التكذيب انما ينصرفان الى الاسناد لا الى وصف ما يقع في الكلام
موصوفا بصفة كما اذا حكيت عن انسان انه قال زيد بن عمرو
سيد ثم كذبته فيه لم يكن تكذيبك ان يكون زيد ابن عمرو ولكن ان
يكون زيد سيدا فلو كان التقدير ما ذكر لكان الانكار راجعا
الى انه معبودهم وفيه تقرير ان عزيرا ابن الله تعالى الله عن ذلك
فالقول في الآية بمعنى الذكر لان الغرض الدلالة على ان اليهود قد
بلغوا في الرسوخ في الجهل والشرك الى انهم كانوا يذكرون عزيرا
عليه السلام بهذا الذكر كما تقول في قوم تريد ان تصفهم بالغلو
في امر صاحبهم وتعظيمهم اياه اني اراهم قد اعتقدوا امرا عظيما فهم يقولون
ابدا زيد الامير تريد انه كذلك يكون ذكرهم له اذا ذكروه واعلم ان

ان لحذف التنوين من عزير في الاية وجهين اخرين احدهما
ان يكون لمنعه من الصرف للعجمة والتعريف كعازر والثاني
ان يكون لالتقاء الساكنين كقراءة من قرا قل هو الله احد الله
الصمد بحذف التنوين من احد وكما حكى عن عمارة بن عقيل
انه قرا ولا الليل سابق النهار بحذف التنوين من سابق ونصب
النهار فقيل له ما تريد فقال سابقُ النهارِ فالمعنى على هذين الوجهين
كالمعنى على اثبات التنوين فعزير مبتدا وابن الله خبره وقال على
اصله والله اعلم واما تقديم مفعوله ونحوه عليه فلرد الخطا في
التعيين كقولك زيدا عرفت لمن اعتقد انك عرفت انسانا وانه
غير زيد واصاب في الاول دون الثاني وتقول لتاكيده وتقريره
زيدا عرفت لا غيره ولذلك لا يصح ان يقال ما زيدا ضربت ولا
احدا من الناس لتناقض دلالتي الاول والثاني ولا ان يعقب الفعل
المنفي باثبات ضده كقولك ما زيدا ضربت ولكن اكرمته لان
مبنى الكلام ليس على ان الخطا في الضرب فترده الى الصواب في الاكرام
وانما هو على ان الخطا في المضروب حين اعتقد انه زيد فرده الى
الصواب ان تقول ولكن عمرا واما نحو قولك زيدا عرفته فان قدر
المفسر المحذوف قبل المنصوب اي عرفت زيدا عرفته فهو من باب التوكيد

اعني

اعني تكرير اللفظ وان قدر بعده اي زيدا عرفت عرفته افاد
التخصيص واما نحو قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فيمن قرا
بالنصب فلا يفيد الا التخصيص لامتناع تقدير اما فهدينا
ثمود وكذلك اذا قلت بزيد مررت افاد ان سامعك يعتقد
مرورك بغيره فيه فازلت عنه الخطا مخصصا مرورك بزيد دون
غيره والتخصيص في غالب الامر لازم للتقديم ولذلك يقال في قوله
تعالى اياك نعبد واياك نستعين معناه نخصك بالعبادة لا
نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك وفي قوله ان كنتم
اياه تعبدون معناه ان كنتم تخصونه بالعبادة وفي قوله لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اخرت صلة الشهادة
في الاول وقدمت في الثاني لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على
الامم وفي الثاني اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وفي قوله
لالى الله تحشرون معناه اليه لا الى غيره وفي قوله وارسلناك للناس
رسولا معناه لجميع الناس من العرب والعجم على ان التعريف للاستغراق
لا البعض معين على انه للعهد اي للعرب ولا لمسمى الناس على انه للجنس
لئلا يلزم من الاول اختصاصه بالعرب دون العجم لانحصار الناس في
الصنفين ومن الثاني اختصاصه بالانس دون الجن لانحصار من يتصور

الارسال اليهم من اهل الارض فيهما وعلى تقدير الاستغراق لا يلزم
شيء من ذلك لان التقديم لما كان مفيدا لثبوت الحكم للمقدم ونفيه
عما يقابله كان تقديم للناس على رسولا مفيدا لنفي كونه رسولا لبعضهم
خاصة لانه هو المقابل لجميع الناس لا العجم لا غير ولا الجنس ولذلك يزعم
في معنى قوله تعالى وبالآخرة هم يوقنون الى انه تعريض بان الآخرة التي
عليها اهل الكتاب فيما يقولون انه لا يدخل الجنة فيها الا من كان
هودا او نصارى وانه لا تمسهم النار فيها الا اياما معدودات و
ان اهل الجنة فيها لا يتلذذون في الجنة الا بالنسيم والارواح العبقة
والسماع اللذيذ ليست بالآخرة وايقانهم بمثلها ليس من الايقان
بالتي هي الآخرة عند الله تعالى اي بالآخرة يوقنون لا بغيرها كاهل الكتاب
ونقيد التقديم في جميع ذلك وراء التخصيص اهتماما بشان المقدم و
لهذا قدر المحذوف في بسم الله موخرا واورد قوله تعالى اقرأ باسم
ربك فان الفعل فيه مقدم واجيب بان تقديم الفعل هنا كان اهم لانها اول
سورة نزلت واجاب السكاكي بان باسم ربك متعلق باقرأ الثاني ومعنى
الاول افعل القراءة واوجدها على نحو ما تقدم في نحو قولهم فلان يعطي و
يمنع هذا اذا لم يحمل على العموم وهو بعيد واما تقديم بعض معمولاته على بعض
فهو اما لان اصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول نحو

ضرب زيد عمرا او تقديم المفعول الاول على الثاني نحو اعطيت زيدا درهما
واما لان ذكره اهم والعناية به اتم فيقدم المفعول على الفاعل اذا
كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه
كما اذا خرج رجل على السلطان وعاث في البلاد وكثر به الاذى فقتل
واردت ان تخبر بقتله فتقول قتل الخارجي فلان بتقديم الخارجي اذ
ليس للناس فائدة في ان يعرفوا قاتله وانما الذي يريدون علمه هو وقوع
القتل به ليتخلصوا من شره ويقدم الفاعل على المفعول اذا كان الغرض
معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه لا وقوعه على من وقع عليه كما اذا كان
رجل ليس له باس ولا يقدر فيه انه يقتل فقتل واردت ان تخبر بذلك فتقول
قتل فلان رجلا بتقديم القاتل لان الذي يعني الناس من شان هذا القتل
ندوره وبعده من الظن ومعلوم انه لم يكن نادرا ولا بعيدا من حيث
كان واقعا على من وقع عليه بل من حيث كان واقعا ممن وقع منه وعليه قوله
تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم وقوله ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم قدم المخاطبين في الاولى دون
الثانية لان الخطاب في الاولى للفقراء بدليل قوله من املاق فكان
رزقهم اهم عندهم من رزق اولادهم فقدم الوعد برزقهم على الوعد
برزق اولادهم والخطاب في الثانية للاغنياء بدليل قوله خشية املاق

فان الخشية انما تكون لعالم تقي فكان رزق اولادهم هو المطلوب دون
رزقهم لانه حاصل فكان كالاهم فقدم الوعد برزق اولادهم على الوعد
برزقهم واما لان في التاخير اخلالا ببيان المعنى كقوله تعالى وقال رجل مؤمن
اى في تاخيره ما خبره التاخير
من آل فرعون يكتم ايمانه فانه لو اخر من آل فرعون عن يكتم ايمانه لتوهم
انه متعلقة بيكتم فلم يفهم ان الرجل من آل فرعون او بالتناسب
كرعاية الفاصلة نحو فاوجس في نفسه خيفة موسى واما لاعتبار اخر
مناسب وقسم السكاكي التقديم للعناية مطلقا قسمين احدهما ان
يكون اصل ما قدم في الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كالمبتدأ
المعرف فان اصله التقديم على الخبر نحو زيد عارف وكذي الحال المعرف فان
اصله التقديم على الحال نحو جاء زيد راكبا وكالعامل فان اصله التقديم
على معموله نحو عرف زيد عمرا وكان زيد عارفا وان زيدا عارف وكالفاعل
فان اصله التقديم على المفعولات وما تشبهها من الحال والتمييز نحو
ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة امام بكر ضربا شديدا تاديبا له ممتليا
من الغضب امتلاء الاناء ماء وكالذي يكون في حكم المبتدأ من مفعولي
باب علمت نحو علمت زيدا منطلقا او في حكم الفاعل من مفعولي باب
اعطيت وكسوت نحو اعطيت زيدا درهما وكسوت عمرا جبة وكالمفعول
المتعدى اليه بغير واسطة فان اصله التقديم على المتعدى اليه بواسطة

نحو ضربت

ضربت الجاني بالسوط وكالتوابع فان اصلها ان تذكر بعد المتبوعات و
ثانيهما ان يكون العناية بتقديمه والاعتناء بشانه لكونه في نفسه
نصب عينك والتفات خاطرك اليه في التزايد كما تجدك قد منيت
بتثليث
بهجر حبيبك وقيل لك ما تتمنى فتقول وجه الحبيب اتمنى وعليه قوله
تعالى وجعلوا لله شركاء اى على القول بان لله شركاء مفعول جعلوا او لعارض
فان ذكر الله وذكر وجه الحبيب اهم لكونه في نفسه نصب عينيك
يورثه ذلك كما اذا توهمت ان مخاطبك ملتفت الخاطر اليه ينتظر
ان تذكره فيبرزه في معرض امر يتجدد في شانه التقاضي ساعة فساعة
فمتى تجد له مجالا للذكر صالحا اوردته نحو وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى
قدم فيه المجرور لاشتمال ما قبله على سوء معاملة اصحاب
القرية الرسل من اصرارهم على تكذيبهم فكان مظنة ان يلقى السامع
على مجرى العادة تلك القرية هل يبقى مجيلا فكره اكانت كلها كذلك ام
كان فيها قطر داني او قاصي منيب خير منتظرا لالمام الحديث به
بخلاف ما في سورة القصص وكما اذا وعدت ما يبعد وقوعه من
جهتين احدهما ادخل في تبعيده من الاخرى فانك حال التفات خاطرك
الى وقوعه باعتبارهما تجد تفاوتا في انكارك اياه قوة وضعفا
بالنسبة ولامتناع الانكار بدون القصد اليه تستتبع تفاوته ذلك
تفاوتا في القصد اليه والاعتناء بذكره فالبلاغة توجب انك اذا انكرت

متعلق فى الاول شىء حاله فى البعد من الوقوع هذه ائى تكون لعقى وعدت
هذا انا وابى جدى متقدم المنكى على المرفوع وفى الثانى لقد وعدت
انا وابى وجدى هذا فتوخر وعليه قوله تعالى فى سورة النمل لقد وعدنا
هذا نحن واباؤنا وقوله فى سورة المؤمنين لقد وعدنا نحن واباؤنا
هذا فان ما قبل الاولى ءاذا كنا ترابا واباؤنا وما قبل الثانية ءاذا
متنا وكنا ترابا وعظاما فالجهة المنظور فيها هناك كون انفسهم
واباءهم ترابا والجهة المنظور فيها هنا كونهم ترابا وعظاما ولا شبهة
ان الاولى ادخل عندهم فى تبعيد البعث وكما اذا عرفت فى التاخير
مانعا كما فى قوله تعالى فى سورة المؤمنين وقال الملاء من قومه الذين كفروا
بتقديم المجرور على الوصف لانه لو اخر عنه وانت تعلم ان تمام الوصف
بتمام ما يدخل فى صلة الموصول وتمامه واترفناهم فى الحيوة الدنيا
لاحتمل ان يكون من صلة الدنيا واشتبه الامر فى القائلين انهم من قومه
ام لا بخلاف قوله تعالى فى موضع آخر منها فقال الملاء الذين كفروا من
قومه فانه جاء على الاصل لعدم المانع وكما فى قوله تعالى فى سورة طه
آمنا برب هارون وموسى للمحافظة على الفاصلة بخلاف
مع ان موسى احق بالتقديم
قوله تعالى فى سورة الشعراء رب موسى وهرون وفيما ذكره نظر من
وجه احدها انه جعل تقديم لله على شركاء للعناية والاهتمام وليس كذلك

فان الاية مسوقة للانكار التوبيخى فيمتنع ان يكون تعلق جعلوا
بالله منكرا من غير اعتبار تعلقه بشركاء اذ لا ينكر ان يكون جعل ما
متعلقا به فيتعين ان يكون الانكار تعلقه به باعتبار تعلقه بشركاء و
تعلقه بشركاء كذلك منكر باعتبار تعلقه بالله فلم يبق فرق
بين التلاوة وعكسها وتوجيهه ان كل فعل متعد الى مفعولين
اى مثل جعلوا لله والجن
لم يكن الاعتناء بذكرهما الا باعتبار تعلقه بالآخر فاذا قدم
احدهما على الآخر لم يصح تعليل تقديمه بالعناية وثانيهما انه
جعل التقديم للاحتراز عن الاخلال ببيان المعنى والتقديم
للرعاية على الفاصلة من القسم الثانى وليسا منه وثالثها
ان تعلق من قومه بالدنيا على تقدير تاخره غير معقول المعنى
الا على وجه بعيد **القول فى القصر** القصر حقيقى وغير
حقيقى وكل واحد منهما ضربان قصر الموصوف على الصفة وقصر
الصفة على الموصوف والمراد بالصفة المعنوية لا النعت والاول
من الحقيقى كقولك ما زيد الا كاتب اذا اردت انه لا يتصف بصفة
غير الكتابة وهذا لا يكاد يوجد فى الكلام لانه ما من متصور الا ويكون
له صفات تتعذر الاحاطة بها او تتعسر والثانى منه كثير كقولنا
ما فى الدار الا زيد والفرق بينهما ظاهر فان الموصوف فى الاول لا

لا يمتنع ان يشاركه غيره في الصفة المذكورة وفي الثاني يمتنع وقد
يقصد به المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم
والاول من غير الحقيقي تخصيص امر بصفة دون اخرى او مكان اخرى
اى قصر الموصوف على الصفة
والثاني تخصيص صفة بامر دون آخر او مكان آخر وكل واحد منهما
اى قصر الصفة على الموصوف من غير الحقيقي
ضربان والمخاطب بالاول من ضربي كل اعني تخصيص امر بصفة دون
الاول التخصيص بشيء دون شيء والثاني التخصيص بشيء مكان شيء
اخرى وتخصيص صفة بامر دون آخر من يعتقد الشركة اى اتصاف
ذلك الامر بتلك الصفة وغيرها جميعا في الاول واتصاف ذلك الامر
وغيره جميعا بتلك الصفة في الثاني فالمخاطب بقولنا ما زيد الا كاتب
من يعتقد ان زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ما شاعر الا زيد من يعتقد
ان زيدا شاعر لكن يدعي ان عمرا ايضا شاعر وهذا يسمى قصر افراد لقطعه
الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف او بين الموصوف وغيره
في الاتصاف بالصفة والمخاطب بالثاني من ضربي كل اعني تخصيص امر
بصفة مكان اخرى وتخصيص صفة بامر مكان آخر اما من يعتقد
العكس اى اتصاف ذلك الامر بغير تلك الصفة عوضا عنها في الاول
واتصاف غير ذلك الامر بتلك الصفة عوضا عنه في الثاني وهذا يسمى قصر
قلب لقلبه حكم السامع واما تساوى الامران عنده اى اتصاف ذلك الامر
بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الاول واتصافه بها واتصاف غيره بها

بها وهذا يسمى قصر تعيين فالمخاطب بقولنا ما زيد الا قائم من يعتقد ان
زيدا قاعد لا قائم او يعلم انه اما قاعد او قائم ولا يعلم انه بايهما اتصف
منهما بعينه وبقولنا ما قائم الا زيد من يعتقد ان عمرا قائم لا زيدا او يعلم
ان القائم احدهما دون كل واحد منهما لكن لا يعلم من هو منهما بعينه
وشرط قصر الموصوف على الصفة افرادا عدم تنافي الصفتين حتى يكون
المنفية في قولنا ما زيد الا قائم كونه قاعدا او جالسا او نحو ذلك
لا كونه اسود او ابيض ونحو ذلك ليكون اثباتها مشعرا بانتفاء
غيرها وقصر التعيين اعم لان اعتقاد كون الشيء موصوفا باحد
امرين معينين على الاطلاق لا يقتضي جواز اتصافه بهما معا
ولا امتناعه وبهذا علم ان كل ما يصلح ان يكون مثالا لقصر
الافراد او قصر القلب يصلح ان يكون مثالا لقصر التعيين من
غير عكس وقد اهمل السكاكي القصر الحقيقي وادخل قصر التعيين
في قصر الافراد فلم يشترط في قصر الموصوف افرادا عدم تنافي
الصفتين ولا في قصره قلبا تحقق تنافيهما وللقصر طرق منها
العطف كقولك في قصر الموصوف على الصفة افرادا زيد شاعر
لا كاتب او ما زيد كاتبا بل شاعر وقلبا زيد قائم لا قاعد او ما
زيد قاعدا بل قائم وفي قصر الصفة على الموصوف افرادا او قلبا

بحسب المقام زيد قايم لا عمرو او ما عمرو قايما بل زيد ومنها النفي
والاستثناء كقولك في قصر الموصوف على الصفة افرادا ما زيد
الا شاعر وقلبا ما زيد الا قايم وتعيينا كقوله تعالى وما انزل الرحمن
من شيء ان انتم الا تكذبون اي لستم في دعواكم للرسالة عندنا
بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعي اذا ادعى بل انتم
عندنا كاذبون فيها وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين
ما قايم او ما من قايم الا زيد ويخفى وجه القصر الاول
انه في قبيل ما زيد توجه النفي الى صفته لا ذاته لان نفي
الذوات يمتنع نفيها وانما تنفى صفاتها كما يبين ذلك في غير هذا العلم
وحينئذ لا نزاع في طوله وقصره وما اشبه ذلك وانما النزاع في كونه
شاعرا او كاتبا تنبيها ولهما النفي فاذا قيل الا شاعر جاء القصر
انه في قبيل ما شاعر فادخل النفي على الوصف المسلم ثبوته اعني الشعر
لغير من الكلام فيهما كزيد وعمرو مثلا فتوجه النفي اليهما فاذا قيل الا
زيد جاء القصر ومنها انما كقولك في قصر الموصوف على الصفة افرادا
انما زيد كاتب وقلبا انما زيد قايم وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين
انما قايم زيد والدليل على انها تفيد القصر كونها متضمنة معنى ما والا
لقول المفسرين قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم بالنصب معناه

ما حرم عليكم الا الميتة والدم وهو المطابق لقراءة الرفع لما
مر في باب المنطلق زيد ولقول النحاة انما لاثبات ما يذكر بعدها
ونفي ما سواه ولصحة انفصال الضمير معها كقولك انما يضرب
انا كما تقول ما يضرب الا انا قال الفرزدق انا الذائد الحامي
الذمار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي كما قال
عمرو بن معدي كرب قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس
الا انا قال السكاكي ويذكر لذلك وجه لطيف يسند الى علي
ابن عيسى الربعي وهو انه لما كانت كلمة ان لتاكيد اثبات المسند
للمسند اليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا
وقوف له على علم النحو ناسب ان يضمن معنى القصر لان القصر ليس
الا تاكيدا على تاكيد فان قولك زيد جاء لا عمرو لمن يتردد في الجائي
الواقع بينهما يفيد اثباته لزيد في الابتداء صريحا وفي الاخر ضمنا
ومنها التقديم كقولك في قصر الموصوف على الصفة افرادا شاعر هو
لمن يعتقده شاعرا وكاتبا وقلبا قايم هو لمن يعتقده قاعدا وفي قصر
الصفة على الموصوف افرادا انا كفيت مهمك بمعنى وحدي لمن يعتقد
انك وغيرك كفيتما مهمه وقلبا انا كفيت مهمك لا غيري لمن يعتقد
ان غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم وهذه الطرق تختلف من وجوه

الاول ان دلالة الثلاثة الاول بالوضع دون الرابع الثاني ان
الاصل في الاول ان يدل على المثبت والمنفي جميعا بالنص فلا يترك
ذلك الا لكراهة الاطناب في مقام الاختصار وكما اذا قيل زيد يعلم
النحو والتصريف والعروض والقوافي او زيد يعلم النحو وعمرو و
بكر وخالد فتقول فيهما زيد يعلم النحو لا غير ونحوه معناه ليس الا
اي لا غير النحو او لا غير زيد واما الثلاثة فيدل بالنص على المثبت
دون المنفي الثالث ان النفي لا يجامع الثاني لان شرط المنفي بلا ان
بلا العاطفة وهو طريق العطف
لا يكون منفيا قبلها بغيرها ويجامع الاخيرين فيقال انما انا زيد كاتب
لا شاعر وهو يأتيني لا عمرو لان النفي فيهما غير مصرح به كما يقال امتنع
زيد عن المجيء لا عمرو قال السكاكي شرط مجامعته للثالث ان لا يكون
اي مجامعة النفي بلا العاطفة
الوصف مختصا بالموصوف كقوله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون فانه
كل عاقل يعلم ان الاستجابة لا تكون الا ممن يسمع وكذا في قولهم انما يعجل
من يخشى الفوت وقال الشيخ عبد القاهر لا تحسن مجامعته له في المختص
كما تحسن في غير المختص وهذا اقرب قيل ومجامعته له اما مع التقديم
كقوله تعالى انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر واما مع التأخير كقولك
ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو وفي كونه من هذا القبيل كما لا يخفى فيه نظر
الرابع ان اصل الثاني ان يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب و

ينكره كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحا من بعيد ما هو الا زيد
اذا اعتقده غيره مصرا على الانكار وعليه قوله تعالى وما
من اله الا الله وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب
فيستعمل الثاني افرادا نحو وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
اي انه صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبري
من الهلاك نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم اياه ونحو و
ما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير فانه صلى الله عليه وسلم
كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن
الايمان ولا يرجع عنها فكان في معرض من ظن انه يملك مع صفة الانذار
ايجاد الايمان فيهم ممتنع قبولهم اياه او قلبا كقوله تعالى حكاية عن بعض الكفار
ان انتم الا بشر مثلنا اي انتم بشر لا رسل نزلوا المخاطبين منزلة من
ينكر انه بشر لاعتقاد القائلين ان الرسول لا يكون بشرا مع اصرار
وهم الكفار
المخاطبين على دعوى الرسالة واما قوله تعالى حكاية عن الرسل ان نحن
الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ففي مجاراة الخصم
للتبكيت فان من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في امر هو لا يخالفه
فيه ان يعيد كلامه على وجهه كما اذا قال من يناظرك انت من شانك كيت
وكيت فتقول نعم انا من شاني كيت وكيت ولكن لا يلزمني من اجل ذلك

شبهوا بدعة انه لا بد فيه اخرى كما قال الآخر ويعذلني افناء سعد
عليهم وما قلت الا بالتي علمت سعد وكما قال البحتري لا
ادعي لابي العلاء فضيلة حتى يسلمها اليه عداه واعلم ان الطريق
انما خرية على طريق العطف وهي انه يعقل منها اثبات الفعل لشيء
ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف واذا استقريتها وجدتها
احسن ما تكون موقعا اذا كان الغرض بها التعريض بامر هو مقتضى
معنى الكلام بعدها كما في قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب فانه تعريض
بذم الكفار وانهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم
من ليس بذي عقل فانتم في طمعكم منهم ان ينظروا و [illegible] يتذكروا
كمن طمع في ذلك من غير اولي الالباب وكذا قوله انما انت منذر من
يخشيها وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب والمعنى على
ان من لم تكن له هذه الخشية فكانه ليس له اذن يسمع وقلب يعقل
فالانذار معه كلا انذار وقال الشيخ عبد القاهر ومثال ذلك من
الشعر قوله انا لم ارزق محبتها انما للعبد ما رزقا فانه تعريض
بانه قد علم ان لا مطمع له في وصلها فيئس من ان يكون منها اسعاف
به وقوله انما يعذر العشاق من عشقا يقول ينبغي للعاشق
ان لا ينكر لوم من يلومه فانه لا يعلم كنه بلوى العاشق ولو كان قد

ما ظننت انه يلزم فالرسل عليهم السلام كانهم قالوا انما قلتم من انا
بشر مثلكم هو كما قلتم لا ننكره ولكن ذلك لا يمنع ان يكون الله تعالى قد من
علينا بالرسالة والاصل الثالث ان يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب
عطف على الاصل الثاني في قوله والرابع ان الاصل الثاني
ولا ينكره على عكس الثاني كقولك انما هو اخوك وانما هو صاحبك القديم
لمن يعلم ذلك ويقربه تريد ان ترققه عليه وتنبهه لما يجب عليه من
اي تجعل من تعلم ذلك رقيقا مشفقا على اخيه
حق الاخ وحرمة الصاحب وعليه قول ابي الطيب انما انت والد
والاب القاطع احنى من واصل الاولاد لم يرد ان يعلم كافور انه
الوالد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام ولكنه اراد ان
اي كونه بمنزلة الوالد
يذكره منه بالامر المعلوم ليبني عليه استدعاء ما يوجبه وتنزيل
المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهوره فيستعمل له الثالث
نحو انما نحن مصلحون ادعوا ان كونهم مصلحين ظاهر جلي و
لذلك جاء الا انهم هم المفسدون للرد عليهم موكدا بما ترى من
جعل الجملة اسمية وتعريف الخبر باللام وتوسيط الفصل و
التصدير بحرف التنبيه ثم بان ومثله قول الشاعر
انما مصعب شهاب تجلت عن وجهه الظلماء ادعى ان كون
مصعب كما ذكر جلي معلوم لكل احد على عادة الشعراء اذا
مدحوا ان يدعوا في كل ما يصفون به ممدوحيهم الجلاء وانهم قد

أُبْتُلِي بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فعذره وقوله ما انت بالسبب

الضعيف وانما نجح الامور بقوة الاسباب فاليوم حاجتنا

اليك وانما يدعى الطبيب لساعة الاوصاب فقول في

جمع وصب وهو المرض

البيت الاول ينبغي ان اتخذ امري حين جعلتك السبب اليه وفي

الثاني انا قد طلبنا الامر من جهتك حين استعنا بك في ما عرض

لنا من الحاجة وعولنا على فضلك كما ان من عول على الطبيب فيما يعرض

له من السقم كان قد اصاب في فعله ثم القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر

كما ذكرنا يقع بين الفعل والفاعل وغيرهما ففي طريق الاستثناء

يؤخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء كقولك في قصر الفاعل على

المفعول افرادا او قلبا بحسب المقام ما ضرب زيد الا عمرا وعلى الثاني

لا الاول قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم

وهذا تعريض الى الكفار

لانه ليس المعنى اني لم ازد على ما امرتني به شيئا اذ ليس الكلام في انه زاد

شيئا على ذلك او نقص منه ولكن المعنى اني لم اترك ما امرتني به الى قولهم

الى خلافه لانه قاله في مقام اشتمل على معنى انك يا عيسى تركت ما

امرتك به الى ان تقول الى ما لم آمرك ان تقول فاني لم آمرك ان تدعو الناس

الى ان يعبدوني ثم انك دعوتهم الى ان يعبدوا وغيري بدليل قوله

أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وفي قصر المفعول

دونهم

على الفاعل ما ضرب عمرا الا زيد وفي قصر المفعول الاول على الثاني في

كسوت وظننت ما كسوت زيدا الا جبة وما ظننت منطلقا

الا زيدا وفي قصر ذي الحال على الحال ما جاء زيد الا راكبا وفي قصر

الحال على ذي الحال ما جاء راكبا الا زيد والوجه في جميع ذلك ان

اي السبب في افادة النفي والاستثناء القصر

النفي في الكلام الناقص اعني الاستثناء المفرغ يتوجه الى مقدر

هو مستثنى منه عام مناسب للمستثنى في جنسه وصفته اما

توجهه الى مقدر هو مستثنى منه فلكون الا للاخراج واستدعائه

الاخراج مخرجا منه واما عمومه فليتحقق الاخراج منه ولذلك قيل

تانيث المضمر كانت على قراءة ابي جعفر المدني ان كانت الا صيحة

بالرفع وفي ترى مبنيا للمفعول في قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى

الا مساكنهم برفع مساكنهم وفي بقيت في بيت ذي الرمة وما

بقيت الا الضلوع الجراشع للنظر الى ظاهر اللفظ والاصل

التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الاشياء واما مناسبته

في جنسه وصفته فظاهرة لان المراد بجنسه ان يكون في نحو ما

ضرب زيد الا عمرا احدا وفي نحو قولنا ما كسوت زيدا الا جبة

لباسا وفي نحو قولنا ما جاء زيد الا راكبا كائنا على حال من الاحوال

وفي نحو قولنا ما اخترت رفيقا الا منكم من جماعة من الجماعات

ومنه قول السيد الحميري لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم
فارسا لما سيأتي ان شاء الله تعالى ان اصله ما اختار فارسا الا
منكم والمراد بصفته كونه فاعلا او مفعولا او ذا حال او حالا او
على هذا القياس واذا كان الغرض متوجها الى ما وصفناه فاذا
اوجب منه شيء جاء القصر وجوز تقديم المقصور عليه مع
اي من المقيد بالصفة المذكور
حرف الاستثناء بحالهما على المقصور كقولك ما ضرب الا عمرا
زيد وما ضرب الا زيد عمرا وما كسوت الا جبة زيدا وما ظننت
الا منطلقا زيدا وما كسوت الا زيدا جبة وما ظننت الا زيدا منطلقا
وما جاء الا راكبا زيد وما جاء الا زيد راكبا وقولنا بحالهما احتراز
عن ازالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه
كقولك في الاول ما ضرب عمرا الا زيد فانه يختل المعنى فالضابط
ان الاختصاص انما يقع في الذي يلي الا ولكن استعمال هذا النوع
اعني تقديمهما قليل لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها كالضرب الصادر
من زيد في ما ضرب زيد الا عمرا والضرب الواقع على عمرو في ما ضرب
عمرا الا زيد وقيل اذا اخر المقصور عليه والمقصور عن الا وقدم
المرفوع كقولنا ما ضرب الا عمرو زيدا فهو على كلامين وزيدا منصوب
بفعل مضمر فكأنه قيل ما ضرب الا عمرو اي ما وقع ضرب الا منه ثم قيل

من ضرب فقيل زيدا اي ضرب زيدا وفيه نظر لاقتضائه الحصر في الفاعل
والمفعول جميعا واما في انما فيؤخر المقصور عليه تقول انما زيد قائم
وانما ضرب زيد وانما ضرب زيد عمرا وانما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة و
انما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة في السوق اي ما زيد الا قائم وما ضرب الا
زيد وما ضرب زيد الا عمرا او ما ضرب زيد عمرا الا يوم الجمعة وما ضرب
زيد عمرا يوم الجمعة الا في السوق فالواقع اخيرا هو المقصور عليه
ابدا ولذلك تقول انما هذا لك وانما لك هذا اي ما هذا الا لك وما لك
الا هذا حتى اذا اردت الجمع بين انما والعطف فقل انما هذا لك لا
لغيرك وانما لك هذا لا ذاك وانما ياخذ زيد لا عمرو وانما ياخذ زيد
لا يعطي ومن هذا يعثر على الفرق بين قوله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وقولنا انما يخشى العلماء من عباده الله فان الاول
يقتضي قصر خشية الله على العلماء والثاني يقتضي قصر خشية العلماء
على الله واعلم ان حكم غير حكم الا في افادة القصرين اي قصر الموصوف
على الصفة وقصر الصفة على الموصوف وفي امتناع مجامعة لا العاطفة
تقول في قصر الموصوف افرادا ما زيد غير شاعر وقلبا ما زيد غير قائم
وفي قصر الصفة بالاعتبارين بحسب المقام لا شاعر غير زيد ولا تقول
ما زيد غير شاعر لا كاتب ولا لا شاعر غير زيد لا عمرو القول في

الانشاء ضربان طلب وغير طلب والطلب يستدعي مطلوبا غير
حاصل وقت الطلب لامتناع طلب الحاصل وهو المقصود بالنظر
ههنا وانواعه كثيرة منها التمني واللفظ الموضوع له ليت ولا يشترط
في المتمنى الامكان تقول ليت زيدا يجيء وليت الشباب يعود
قال الشاعر يا ليت ايام الصبا رواجعا وقد يتمنى بهل
كقول القائل هل لي من شفيع في مكان يعلم انه لا شفيع له فيه لابراز
المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن وعليه قوله تعالى حكاية عن
الكفار فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا وقد يتمنى بلو كقولك لو
تأتيني فتحدثني بالنصب قال السكاكي وكأن حروف التنديم و
التحضيض هلا والا بقلب الهاء همزة ولولا ولوما مأخوذة منهما
مركبتين مع لا وما المزيدتين لتضمينهما معنى التمني ليتولد منه في الماضي
التنديم نحو هلا اكرمت زيدا وفي المضارع التحضيض نحو هلا تقوم
وقد يتمنى بلعل فيعطى حكم ليت نحو لعلي احج فأزورك بالنصب لبعد
المرجو عن الحصول وعليه قراءة عاصم في رواية حفص لعلي ابلغ
الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى بالنصب ومنها الاستفهام
والالفاظ الموضوعة له الهمزة وهل وما ومن واي وكم وكيف واين واني
ومتى وايان فالهمزة لطلب التصديق كقولك اقام زيد وازيد قائم او

التصور كقولك ادبس في الاناء ام عسل وافي الخابية دبسك ام في
الزق ولهذا لم يقبح ازيد قام واعمرا عرفت والمسؤول عنه بها هو
ما يليها كقولك اضربت زيدا اذا كان الشك في الفعل نفسه واردت
بالاستفهام ان تعلم وجوده وتقول اانت ضربت زيدا اذا كان
الشك في الفاعل من هو وتقول ازيدا ضربت اذا كان الشك في المفعول
من هو وهل لطلب التصديق فحسب كقولك هل قام زيد وهل عمرو قاعد
ولهذا امتنع هل زيد قام ام عمرو وقبح هل زيدا ضربت لان التقديم
يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل والشك فيما قدم عليه ولم يقبح
هل زيدا ضربته لجواز تقدير المحذوف المفسر مقدما كما مر وجعل السكاكي
قبح نحو هل رجل عرف لذلك اي لما قبح له هل زيدا ضربت ويلزمه ان
لا يقبح نحو هل زيد عرف لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده على
ما سبق وعلل غيره القبح فيهما بان اصل هل ان تكون بمعنى
قد الا انهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام وهل
تخصص المضارع بالاستقبال فلا يصح ان تقال هل تضرب زيدا وهو
اخوك كما تقول اتضرب زيدا وهو اخوك ولهذين اعني اختصاصها
بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص
بما كونه زمانيا اظهر كالفعل اما الثاني فظاهر واما الاول فلان الفعل

لا يكون الا صفة والتصديق حكم بالثبوت او الانتفاء والنفي والاثبات
انما يتوجهان الى الصفات لا الى الذوات ولهذا كان قوله فهل
انتم شاكرون ادل على طلب الشكر من قولنا فهل تشكرون وقولنا
فهل انتم تشكرون لان ابراز ما سيتجدد في معرض الثابت ادل على
كمال العناية بحصوله من ابقائه على اصله وكذا من قولنا افانتم شاكرون
وان كانت صيغته للثبوت لان هل ادعى للفعل من الهمزة فتركه معها ادل
على كمال العناية بحصوله ولهذا لا يحسن هل زيد منطلق الا من البليغ
وهي قسمان بسيطة وهي التي يطلب بها وجود الشيء كقولنا هل الحركة
(او لا وجوده)
موجودة ومركبة وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء كقولنا هل الحركة
(او لا وجوده)
دائمة والالفاظ الباقية لطلب التصور فقط اما ما فقيل يطلب به اما
شرح الاسم كقولنا ما العنقاء واما ماهية المسمى كقولنا ما الحركة وتقسيم
الاول يتقدم على هل جميعا والثاني يتقدم هل المركبة دون البسيطة
فالبسيطة في الرتبة واقعة بين قسمي ما وقال السكاكي يسأل بما عن
(اي بين ما التي لشرح الاسم والتي يطلب الماهية)
الجنس تقول ما عندك بمعنى اي اجناس الاشياء عندك وجوابه انسان
او فرس او كتاب او نحو ذلك وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام وفي
التنزيل فما خطبكم اي اي اجناس الخطوب خطبكم وفيه وما تعبدون
من بعدي اي اي شيء من الوجود تؤثرونه للعبادة او عن الوصف تقول
(اي تختارونه)
مازيد

ما زيد وما عمرو وجوابه الكريم او الفاضل ونحوهما وسؤال فرعون وما
رب العالمين انما هو عن الجنس لاعتقاده وجهله بالله تعالى ان لا موجود
مستقلا بنفسه سوى الاجسام كانه قال اي اجناس الاجسام هو و
على هذا اجاب موسى عليه السلام بالوصف [illegible] للتنبيه
على النظر المؤدي الى معرفته لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب الجهلة
الذين حوله من قول موسى بقوله لهم الا تستمعون ثم لما وجده مصرا على الجواب
بالوصف اذ قال في المرة الثانية ربكم ورب ابائكم الاولين استهزأ
به وجننه بقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وحين رآهم موسى
لم يفطنوا لما في المرتين غلظ عليهم في الثالثة بقوله ان كنتم تعقلون
واما عن الوصف طمعا في ان يسلك موسى في الجواب معه مسلك الحاضرين
لو كانوا هم المسؤولين مكانه لشهرته بينهم برب العالمين الى درجة دعت السحرة
(فرعون)
اذ عرفوا الحق ان عقبوا قولهم آمنا برب العالمين بقولهم رب موسى و
هرون نفيا لاتهامهم انهم عنوه وجهله بحال موسى اذ لم يكن جمعهما قبل ذلك
(اي الاولى)
مجلس بدليل قال او لو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين
فحين سمع الجواب تعنتا فيه عجب واستهزأ وجننه وتغيظ بما تغيظ من
(اي نسبه بالجنون)
قوله لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين واما من فقال
السكاكي هو للسؤال عن الجنس من ذوي العلم تقول من جبريل بمعنى ابشر هو ام

ملككما ام جنى وكذا انى ابليس ومن فلان ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون فمن
ربكما يا موسى اى املكما بشر ام جنى منكرا لان يكون لهما رب سواه لادعائه
الربوبية لنفسه ذاهبا في سؤاله هذا الى معنى الكما رب سواى فاجاب
موسى عليه السلام بقوله ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى كانه قال
نعم لنا رب سواك وهو الذى اذا سلكت الطريق الذى يبين بالجادة لما اوجد
وتقويمه اياه على ما قدر واتبعت فيه الخريت الماهر وهو العقل الهادى
الخريت الدليل الحاذق ٩ صحاح
عن الضلال لزمك الاعتراف بكونه ربا وان لا رب سواه وان العبادة له
منى ومنك ومن الخلق اجمع حقا مدفوعا وقيل هو للسؤال عن العارض
المشخص لذى العلم وهذا اظهر لانه اذا قيل من فلان لجاب بزيد ونحوه
مما يفيد التشخيص ولا نسلم صحة الجواب بنحو بشر او جنى كما زعم السكاكى و
اما اى فللسؤال عما يميز احد المتشاركين في امر يعمهما تقول القايل عندى
ثياب فتقول اى الثياب هى فتطلب منه وصفا تميزها عندك ومنه قوله تعالى
في الثوبية وفي التنزيل اى الفريقين خير مقاما اى انحن ام اصحاب محمد وفيه
ايكم يأتينى بعرشها اى الانس ام الجن واما كم فللسؤال عن العدد فاذا
قلت كم درهما لك وكم رجلا رأيت فكانك قلت اعشرون ام ثلثون ام
كذا ام كذا وتقول كم […] درهمك وكم مالك اى كم دانقا او كم دينارا او
كم ثوبك اى كم شبرا او كم ذراعا وكم زيد […] ماكث اى كم يوما او كم

شهرا

شهرا وكم لبثك اى كم مرة وكم سرت اى كم فرسخا او كم يوما قال الله تعالى
قال قائل منهم كم لبثتم اى كم يوما او كم ساعة وقال كم لبثتم في الارض
عدد سنين وقال سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومنه قول
الفرزدق كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علىّ عشارى
فيمن روى بالنصب وعلى رواية الرفع يحتمل الاستفهامية والخبرية و
اما كيف فللسؤال عن الحال اذا قيل كيف زيد فجوابه صحيح او سقيم او
مشغول او فارغ او نحو ذلك واما اين فللسؤال عن المكان اذا قيل
اين زيد فجوابه في الدار او في المسجد او في السوق او نحو ذلك واما انى
فيستعمل تارة بمعنى كيف قال الله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم اى كيف شئتم
واخرى بمعنى من اين قال الله تعالى انى لك هذا اى من اين لك هذا واما
متى وايان فللسؤال عن الزمان اذا قيل متى جئت او ايان جئت قيل يوم
الجمعة او يوم الخميس او شهر كذا او سنة كذا وعن على بن عيسى الربعى
ان ايان تستعمل في مواضع التفخيم كقوله تعالى يسأل ايان يوم القيامة يسألون
ايان يوم الدين ثم هذه الالفاظ كثيرا ما تستعمل في معانى
غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام منها الاستبطاء نحو كم دعوتك
وعليه قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ومنها
التعجب نحو مالى لا ارى الهدهد ومنها التنبيه على الضلال نحو فاين

تذهبون ومنها الوعيد كقولك لمن يسيء الادب الم اؤدب فلانا
اذا كان عالما بذلك وعليه قوله تع الم نهلك الاولين ومنها
الامر نحو قوله تعالى فهل انتم مسلمون ونحو فهل من مدكر ومنها
التقرير ويشترط في الهمزة ان يليها المقرر به كقولك افعلت اذا
اردت ان تقرره بان الفعل كان منه وكقولك انت فعلت اذا
اردت ان تقرره بانه الفاعل وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكي
وغيرهما الى قوله تع انت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم من هذا
الضرب قال الشيخ لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون
ان تقر لهم بان كسر الاصنام قد كان ولكن ان تقر بانه منه كان
وكيف وقد اشاروا الى الفعل في قولهم انت فعلت هذا وقال
عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان
الجواب فعلت او لم افعل وفيه نظر لجواز ان يكون الهمزة فيه على
اصلها اذ ليس في السياق ما يدل على انهم كانوا عالمين بانه عليه السلام
هو الذي كسر الاصنام وكقولك ازيدا ضربت اذا اردت ان تقرره
بان مضروبه زيد ومنها الانكار اما للتوبيخ بمعنى ما كان ينبغي
ان يكون نحو اعصيت ربك او بمعنى لا ينبغي ان يكون كقولك للرجل
يضيع الحق اتنسى قديم احسان فلان وكقولك للرجل يركب الخطر

اتخرج في هذا الوقت اتذهب في غير الطريق والغرض بذلك
تنبيه السامع حتى يرجع الى نفسه فيخجل او يرتدع عن فعل ما
هم به واما للتكذيب بمعنى لم يكن كقوله تع افاصفيكم ربكم
بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وقوله اصطفى البنات على البنين او
بمعنى لا يكون نحو انلزمكموها وانتم لها كارهون وعليه قول امرئ
القيس ~ أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب
اغوال ~ فيمن روى ايقتلني بالاستفهام وقول الآخر ~ ااترك ان
قلت دراهم خالد زيارته اني اذا للئيم ~ والانكار كالتقرير في
يشترط ان يلي المنكر الهمزة كقوله تع اغير الله تدعون اغير الله اتخذ وليا
وقوله ابشرا منا واحدا نتبعه وكقوله تع وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك اي لا ينبغي ان يكونوا
هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها والمتولين لقسم رحمة الله التي لا يتولاها
الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته وعليه قول الزمخشري في قوله افانت تكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت تسمع الصم او تهدي
العمي من هذا الضرب على ان المعنى افانت تقدر على اكراههم على الايمان
وافانت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والالجاء اي انما يقدر على
ذلك الله لا انت وحمل السكاكي تقديم الاسم في هذه الآيات الثلاث

علے البناء علے الابتداء دون تقوية التقديم والتاخير كما في نحو انا
ضربت فلا يفيد الا تقوى الانكار ومن مجى الهمزة للانكار نحو قوله
تعالى اليس الله بكاف عبده وقول جرير ' الستم خير من ركب
المطايا ' اى الله كاف عبده وانتم خير من ركب المطايا لان نفى النفى
اثبات وهذا مراد من قال ان الهمزة فيه للتقرير اى للتقرير بما دخله
النفى لا للتقرير بالانتفاء وانكار الفعل مختص بصورة اخرى وهى نحو
فونكما زيدا ضربت ام عمرا لمن يدعى انه ضرب اما زيدا او اما عمرا دون غيرهما
لانه اذا لم يتعلق الفعل باحدهما والتقدير انه لم يتعلق بغيرهما فقد
انتفى من اصله لا محالة وعليه قوله تعالى آ الذكرين حرم ام الانثيين اما
اشتملت عليه ارحام الانثيين اخرج اللفظ مخرجه اذا كان قد ثبت
تحريم في احد اشياء اريد معرفة عين المحرم مع ان المراد انكار التحريم
من اصله وكذا قوله آ الله اذن لكم اذ معلوم ان المعنى على انكار ان يكون
قد كان من الله تعالى اذن فيما قالوه من غير ان يكون هذا الاذن قد
كان من غير الله فاضافوه الى الله الا ان اللفظ اخرج مخرجه اذا كان
الامر كذلك ليكون اشد لنفى ذلك و ابطاله فانه اذا انتفى الفعل عما
جعل فاعلا له في الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من اصله وقال السكاكى
واياك ان يزل عن خاطرك التفصيل الذى سبق في نحو انا ضربت وانت ضربت

ضربت وهو ضرب بين احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى في
الوجهين فلا تحمل نحو قوله تعالى آ الله اذن لكم على التقديم فليس المراد ان
الاذن ينكر من الله دون غيره ولكن احمله على الابتداء مرادا منه تقوية
حكم الانكار وفيه نظر لانه ان اراد ان نحو هذا التركيب اعنى ما يكون
الاسم الذى يلى الهمزة فيه مظهرا لا يفيد توجه الانكار الى كونه
فاعلا للفعل الذى بعده فهو ممنوع وان اراد انه يفيد ذلك ان قدر
تقديم وتاخير والا فلا على ما ذهب اليه فيما سبق فهذه الصورة
مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم لا يقال قد يلى الهمزة غير المنكر في غير ما
ذكرتم كما في قوله ' ايقتلنى والمشرفى مضاجعى ' فان معناه انه ليس
بالذى يجى منه ان يقتل مثلى بدليل قوله ' يغط غطيط البكر
شد خناقه ' ليقتلنى والمرء ليس بقتال لانا نقول ليس ذلك معناه
لانه قال والمشرفى مضاجعى فذكر ما يكون منعا من الفعل والمنع انما
يحتاج اليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون في نفسه عاجزا
عنه ومنها التهكم نحو اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء ومنها التحقير كقولك من هذا
وما هذا ومنها التهويل كقراءة ابن عباس ولقد نجينا بنى
اسرائيل من العذاب المهين من فرعون بلفظ الاستفهام لما

كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة وكان قومه اذا رأوه يصلى تضاحكوا قصدوا بقولهم اصلواتك تامرك الهزء والسخرية لا حقيقة الاستفهام

وصف الله تعالى العذاب بانه مهين لشدته وفظاعة امره اراد
ان يصور كنهه فقال من فرعون اى هل تعرفون من هو
فى فرط عتوه وتجبره ما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب
به ثم عرف حاله بقوله انه كان عاليا من المسرفين ومنها
الاستبعاد نحو انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم
تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ومنها التوبيخ والتعجب جميعا
كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم ثم اليه ترجعون اى كيف تكفرون والحال انكم عالمون
بهذه القصة اما التوبيخ فلان الكفر مع هذه الحالة ينبغى
عن الانهماك فى الغفلة والجهل واما التعجب فلان هذه الحال
تابى ان لا يكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يابى ان يكفر
الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ونظيره اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب ومن
انواع الانشاء الامر والاظهر ان صيغته من المقترنة باللام
نحو ليحضر زيد وغيرها نحو اكرم عمرا ورويد بكرا موضوعة
لطلب الفعل استعلاء لتبادر الذهن عند سماعها الى ذلك
وتوقف ما سواه على القرينة قال السكاكى ولاطباق ائمة اللغة

على اضافتها الى الامر بقولهم صيغة الامر ومثال الامر ولام الامر
وفيه نظر لا يخفى على المتامل ثم انها اعنى صيغة الامر قد تستعمل
فى غير طلب الفعل استعلاء بحسب مناسبة المقام كالاباحة
كقولك فى مقام الاذن جالس الحسن او ابن سيرين ومنها الحسن
جاء فيه قول كثير اسيئى بنا او احسنى لا ملومة لدينا ولا
مقلية ان تقلت اى لا انت ملومة ولا مقلية توجه حسنه
الطهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الامر كانه مطلوب اى
مهما اخترت فى حقى من الاساءة والاحسان فانا راض به غاية
الرضا فعاملينى بهما وانظرى هل تفاوت حالى معك فى الحالين
والتهديد كقولك لعبد شتم مولاه وقد ادبته اشتم مولاك وعليه
اعملوا ما شئتم والتعجيز كقولك لمن يدعى امرا تعتقد انه ليس فى
وسعه افعله وعليه فاتوا بسورة من مثله والتسخير نحو كونوا
قردة خاسئين والاهانة كقوله كونوا حجارة وقوله ذق انك
انت العزيز الكريم والتسوية كقوله انفقوا طوعا او كرها لن
يتقبل منكم وقوله اصبروا او لا تصبروا والتمنى كقول امرئ القيس
الا ايها الليل الطويل الا انجلى والدعاء اذا استعملت فى طلب
الفعل على سبيل التضرع نحو رب اغفر لى ولوالدى والالتماس اذا

استعملت فيه على سبيل التلطف كقولك لمن يساويك في الرتبة
افعل بدون الاستعلاء والاحتقار نحو فالقوا ما انتم ملقون
ثم الامر قال السكاكي حقه الفور لانه الظاهر من الطلب ولتبادر
الفهم عند الامر بشيء بعد الامر بخلافه الى تغيير الامر دون الجمع وارادة
التراخي والحق خلافه لما تبين في اصول الفقه ومنها النهي وله حرف
واحد وهو لا الجازمة في نحو قولك لا تفعل وهو كالامر في الاستعلاء و
قد يستعمل في غير طلب الكف او الترك كالتهديد كقولك لعبد لا يمتثل
في مقام تسخط الترك
امرك لا تمتثل امري واعلم ان هذه الاربعة اعني التمني والاستفهام
والامر والنهي تشترك في كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها
كقولك ليت لي مالا انفقه اي ان ارزقه وقولك اين بيتك ازرك
اي ان تعرفنيه وقولك اكرمني اكرمك اي ان تكرمني قال تعالى فهب لي
من لدنك وليا يرثني بالجزم واما قراءة الرفع فقد حملها الزمخشري
على الوصف وقال السكاكي الاولى حملها على الاستئناف دون الوصف
لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما السلام واراد بالاستئناف ان يكون
جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله فكانه قيل ما قال رب هب لي من لدنك
وليا قيل ما تصنع به فقال يرثني فلم يكن داخلا في المطلوب بالدعاء
وقولك لا تشتم يكن خيرا لك اي ان لا تشتم واما العرض كقولك لمن تراه

لا ينزل

لا ينزل الا تنزل تصب خيرا اي ان تنزل تولد من الاستفهام
ولبس به لان التقدير انه لا ينزل في الاستفهام عن عدم النزول طلب
للحاصل وهو محال ويقدر الشرط في غير هذه المواضع لقرينة جاز ايضا
كقوله تعالى فالله هو الولي اي ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق
لا ولي سواه وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق اي لو كان معه اله اذا لذهب ومنها النداء وقد يستعمل
صيغته في غير معناه كالاغراء في قولك لمن اقبل يتظلم يا مظلوم والاختصاص
قصدا الى اغرائه
في قولهم انا افعل كذا ايها الرجل ونحن نفعل كذا ايها القوم واغفر اللهم
لنا ايتها العصابة اي متخصصا من بين الرجال ومتخصصين من بين
الاقوام والعصائب ثم الخبر قد يقع موقع الانشاء اما للتفاؤل او لاظهار
بلفظ الماضي دلالة على انه كانه وقع
الحرص في وقوعه كما مر والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل
التفاؤل والحرص او للاحتراز عن صورة الامر كقول العبد للمولى اذا حول عنه وجهه
اي التفاؤل واظهار الحرص
ينظر المولى الي ساعة او لحمل المخاطب على المطلوب بان يكون المخاطب ممن
واما غير البليغ فهو ذاهل عن هذه الاعتبارات
يحب ان يكذب الطالب ونحو ذلك تنبيه ما ذكرناه في الابواب
الخمسة السابقة ليس كله مختصا بالخبر بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر
يظهر ذلك بادنى تامل فليعتبره الناظر

القول في الوصل والفصل

الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع احدهما من موضع

على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علما بكنهه الا من أوتي في فهم كلام العرب طبعا سليما ورزق في ادراك أسراره ذوقا صحيحا ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل وما قصرها عليه لان الامر كذلك وانما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وان احدا لا يكمل فيه الا كمل في ساير فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على ابلغ وجه في البيان فنقول والله المستعان اذا اتت جملة بعد جملة فالاولى منهما اما ان يكون لها محل من الاعراب او لا وعلى الاول ان قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الاعراب عطفت عليها وهذا كعطف المفرد على المفرد لان الجملة لا يكون لها محل من الاعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه مقبولا في المفرد ان يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة كما في قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يشترط في كون العطف بالواو ونحوه مقبولا في الجملة ذلك كقولك زيد يكتب ويشعر ويعطي ويمنع وعليه قوله تعالى والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ولهذا عيب على ابي تمام قوله لا والذي هو عالم ان النوى صبر وان ابا الحسين كريم اذ لا مناسبة بين كرم ابي الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لاحدهما بالآخر

بالآخر وان لم يقصد ذلك ترك عطفها عليها كقوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم على انا معكم لانه لو عطف عليه لكان من مقول المنافقين وليس منه وكذا قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون وكذا قوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء وعلى الثاني ان قصد بيان ارتباط الثانية بالاولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عطفت عليها بذلك الحرف فنقول دخل زيد فخرج عمرو اذا اردت ان تخبر ان خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة ونقول خرجت ثم خرج زيد اذا اردت ان تخبر ان خروج زيد كان بعد خروجك بمهلة ونقول يعطيك زيد دينارا او يكسوك جبة اذا اردت ان تخبر انه يفعل احد الامرين لا بعينه وعليه قوله تعالى سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين وان لم يقصد ذلك فان كان للاولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية تعين الفصل كقوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم على قالوا لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المتقدم

وقال الرازي في الغوي كاذب اتق الله من الكاذب فعده
السكاكي من هذا الضرب وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستيناف
بتقدير قلت الثاني ان لا يكون بين الجملتين جامع كما سياتي واما
كمال الاتصال فيكون لامور ثلثة الاول ان يكون الثانية مؤكدة
للاولى والمقتضي للتاكيد دفع توهم التجوز او الغلط وهو قسمان احدهما
ان ينزل الثانية من الاولى منزلة التاكيد المعنوي من متبوعه في افادة
التقرير مع الاختلاف في المعنى كقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فان
وزان لا ريب فيه في الاية وزان نفسه في قولك جاني الخليفة نفسه فانه
لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل
المبتدا ذلك وتعريف الخبر باللام كان عند السامع قبل ان يتامله
مظنة انه مما يرمى به جزافا من غير تحقق فاتبعه لا ريب فيه نفيا
لذلك اتباع الخليفة نفسه ازالة لما عسى يتوهم السامع انه في
قولك جاني الخليفة متجوز او ساه وكذا قوله تعالى كان لم يسمعها كان
في اذنيه وقرا فالثاني مؤكد لما افاده الاول وكذا قوله تعالى انا معكم
انما نحن مستهزؤن لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية
وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ
بالشيء المستخف به منكر له ودافع له لكونه غير معتد به ودفع نقيض

وهو قوله واذا خلوا الى شياطينهم فان استهزاء الله تعالى بهم
وهو ان خذلهم وخلاهم وما سولت لهم انفسهم مستدرجا اياهم
من حيث لا يشعرون متصل لا ينقطع بكل حال خلوا الى شياطينهم او
لم يخلوا اليهم وكذا في الايتين الاخيرتين فانهم مفسدون في جميع
الاحيان قيل لهم لا تفسدوا او لا وسفهاء في جميع الاوقات قيل لهم
امنوا او لا وان لم يكن لها ولى حكم كما سبق فان كان بين الجملتين كمال
الانقطاع وليس في الفصل ايهام خلاف المقصود كما سياتي او كمال
الاتصال او كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الاولى او بمنزلة المتصلة
بها فكذلك يتعين الفصل اما في الصورة الاولى فلان الواو للجمع والجمع بين
الشيئين يقتضي مناسبة بينهما كما مر واما الثانية فلان العطف فيها
بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع ان العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف و
المعطوف عليه واما في الثالثة والرابعة فظاهر مما مر اما كمال الانقطاع
فيكون لامر يرجع الى الاسناد او الى طرفيه الاول ان تختلف الجملتان
خبرا وانشاء لفظا ومعنى كقولهم لا تدن من الاسد ياكلك وهل تصلح
لي كذا ادفع اليك الاجرة بالرفع فيهما وقال الشاعر وقال رائدهم ارسوا نزاولها
فكل حتف امرئ يجري بمقدار او معنى لا لفظا كقولك مات فلان رحمه
الله واما قول اليزيدي ملكته حبلى ولكنه القاه من زهد على غاربي

الشئ تاكيد لشبانه ويحتمل الاستيناف اى فما بالكم ان صح انكم

معنا فقوا فقون اصحاب محمد ... وثانيهما ان ينزل الثانية

من الاولى منزلة التاكيد اللفظى من متبوعه فى اتحاد المعنى كقوله تع

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فان هدى للمتقين معناه انه فى

بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كانه هداية محضة وهذا معنى قوله

ذلك الكتاب لان معناه كما مر الكتاب الكامل والمراد بكماله كماله

فى الهداية لان الكتب السماوية بحسبها تتفاوت فى درجات الكمال

وكذا قوله تع سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فان معنى قوله

لا يؤمنون معنى ما قبله وكذا ما بعده تاكيد ثان لان عدم التفاوت

بين الانذار وعدمه لا يصح الا فى حق من ليس له قلب يخلص اليه حق سمع

يدرك بحجة وبصر تثبت به عبرة مجوزا اى يكون لا يؤمنون خبر الان

والجملة قبلها اعتراض الثانى ان يكون الثانية بدلا من الاولى و

المقتضى للابدال كون الاولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية و

المقام يقتضى اعتناء بشانه لنكتة ككونه مطلوبا فى نفسه او فظيعا او

عجيبا او لطيفا وهو ضربان احدهما ان ينزل الثانية من الاولى منزلة

بدل البعض من متبوعه كقوله تع امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين

وجنات وعيون فانه مسوق للتنبيه على نعم الله تع عند المخاطبين

وقوله

وقوله امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اوفى بتاديته مما قبله

لدلالته عليها بالتفصيل من غير احالة على علمهم مع كونهم معاندين

والامداد بما ذكر من الانعام وغيرها بعض الامداد بما يعلمون او يحتمل

الاستيناف وثانيهما ان تنزل الثانية من الاولى منزلة بدل

الاشتمال من متبوعه كقوله تع اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم

اجرا وهم مهتدون فان المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل و

قوله اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اوفى بتاديته ذلك لان

معناه لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم

فينتظم لكم خير الدنيا وخير الاخرة وقول الشاعر اقول له ارحل

لا تقيمن عندنا والا فكن فى السر والجهر مسلما فان المراد كمال

اظهار الكراهة لاقامته بسبب خلاف سره العلن وقوله لا تقيمن

عندنا اوفى بتاديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التاكيد بخلاف

ارحل ووزان الثانية من كل واحد من الاية والبيت وزان حسنها

فى قولك اعجبنى الدار حسنها لان معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير

داخل فيه مع ما بينهما من الملابسة الثالث ان يكون الثانية بيانا

للاولى وذلك بان تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه فى

افادة الايضاح والمقتضى للتبيين ان يكون فى الاولى نوع خفاء

حرا قتضاء المقام اذ اللته لقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فصل جملة قال عما قبلها
لكونها تفسيرا له وتبيينا ونحو اتيه ذوالى عمرو في قوله اقسم بالله ابو
حفص عمر وأما قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فيحتمل
التبيين والتاكيد اما التبيين فلانه متى ان يخرج من جنس البشر
ولا يدخل في جنس آخر فاثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين و
اما التاكيد فلانه اذا كان ملكا لم يكن بشرا او لانه اذا قيل في العرف
لانسان ما هذا بشرا حال تعظيم له وتعجب مما يشاهد منه من حسن خلق
او خلق كان الغرض انه ملك بطريق الكناية فان قيل هلا نزلتم الثانية
منزلة بدل الكل من متبوعه في بعض الصور ومنزلة النعت من متبوعه
في بعض قلنا لان بدل الكل لا ينفصل عن التاكيد الا بان لفظه غير لفظ
متبوعه وانه مقصود بالنسبة دون متبوعه خلاف التاكيد و
النعت لا ينفصل عن عطف البيان الا بانه يدل على بعض احوال
متبوعه لا عليه وعطف البيان بالعكس وهذه كلها اعتبارات لا تتحقق
في شيء منها فيما نحن بصدده واما كون الثانية منزلة المنقطعة عن
الاولى فلكون عطفها عليها موهما لعطفها على غيرها ويسمى الفصل لذلك
قطعا مثاله قول الشاعر وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا اراها في الضلال

تهيم لم يعطف اراها على تظن كيلا يتوهم السامع انه معطوف على ابغي
لقربه منه مع انه ليس بمراد ويحتمل الاستيناف وقسم السكاكي القطع
الى قسمين احدهما القطع للاحتياط وهو ما لم يكن لمانع من العطف
كما في هذا البيت والثاني القطع للوجوب وهو ما كان لمانع من
العطف ومثله بقوله تعالى الله يستهزئ بهم قال لانه لو عطف لعطف
اما على جملة قالوا او اما على جملة انا معكم وكلاهما لا يصح لما مر و
كذا قوله الا انهم هم المفسدون وقوله الا انهم هم السفهاء وفيه نظر
لجواز ان يكون المقطوع في المواضع الثلثة معطوفا على الجملة المصدرة
بالظرف وهذا القسم لم يتبين امتناعه وأما كونها كالمتصلة بها
فلكونها جوابا عن سؤال اقتضته الاولى فتنزل منزلته فتفصل
الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال وقال السكاكي فينزل ذلك
منزلة الواقع ثم قال وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار
اليه الا لجهات لطيفة اما لتنبيه السامع على موقعه او لاغنائه
ان يسال او لئلا يسمع منه شيء او لئلا ينقطع كلامك بكلامه
او للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك
العاطف او لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ويسمى الفصل لذلك
استينافا وكذلك الجملة الثانية ايضا تسمى استينافا والاستيناف

ثلثة اضرب لان السوال الذي تضمنته الجملة الاولى اما عن سبب
الحكم فيها مطلقا كقوله قال لي كيف انت قلت عليل سهر
دايم وحزن طويل اي ما بالك عليلا او ما سبب علتك و
كقوله وقد غرضت من الدنيا فهل زمني معط حياتي لغر
بعد ما غرضا جربت دهري واهليه فما تركت لي التجارب في
ود امري غرضا اي لم تقول هذا ويحك وما الذي اقتضاك ان
تطوي عن الحيوة الى هذا الحد كشحك واما عن سبب خاص له
كقوله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء كانه قيل هل
النفس امارة بالسوء فقيل ان النفس لامارة بالسوء وهذا الضرب
يقتضي تاكيد الحكم كما مر في باب احوال الاسناد واما عن غيرهما
كقوله تعالى قالوا سلاما قال سلام كانه قيل فماذا قال ابرهيم عليه السلام
فقيل قال سلام ومنه قول الشاعر زعم العواذل انني في غمرة
صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي فانه لما ابدا الشكاية عن جماعة العذل
كان ذلك مما يحرك السامع ليسال اصدقوا في ذلك ام كذبوا فاخرج
الكلام مخرجه اذا كان ذلك قد قيل له ففصل ومثله قول جندب بن
عمار زعم العواذل ان ناقة جندب بجنوب خبت عريت واجمت
كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت و

وقد تؤكد هذا امر الاستيناف تاكيدا بان وضع الظاهر موضع المضمر
من حيث وضعه وضعا لا احتاج فيه الى ما قبله واتى به ما اتي بما ليس قبله
كلام ومن الامثلة قول الوليد عرفت المنزل الخالي عفا من بعد
احوال عفاه كل حنان عسوف الوبل هطال فانه لما قال عفا
وكان العفا مما لا يحصل للمنزل بنفسه كان مظنة ان يسال عن الفاعل
ومثله قول ابي الطيب وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا
بهم وساقا فانه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح كان مظنة ان
يسال عن الفاعل وايضا من الاستيناف ما ياتي باعادة اسم ما استونف
عنه كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان ومنه ما يبنى على
صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك وهذا ابلغ
لانطوايه على بيان السبب وقد يحذف صدر الاستيناف لقيام قرينة
كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال فيمن قرا يسبح مبنيا
للمفعول وعليه نحو قولهم نعم الرجل او رجلا زيد وبئس الرجل او رجلا عمرو
على القول بان المخصوص خبر مبتدا محذوف اي هو زيد كانه لما قيل نعم
فابهم الفاعل بجعله معهودا ذهنيا مظهرا او مضمرا سيل عن تفسيره
فقيل هو زيد ثم حذف المبتدا وقد يحذف الاستيناف كله ويقام ما يدل
عليه مقامه كقول الحماسي زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم

حذف الجواب الذي هو كد بتم بذعمكم واقام قوله لم الف وليس لكم الاكى
مقامه للدلالة عليه وجوده اى تقدير قوله لم الف وليس لكم الا قحوا با
لسؤال فقضاه الجواب المحذوف كانه قال المتكلم كذبتم قالوا لم كذبنا
فقال لم الف وليس لكم الان تكونوا في البيت استثنائى وقد يحذف
ولا يقام شىء مقامه كقوله تعالى نعم العبد اى ايوب عليه السلام او هو لدلالة
ما قبل الاية وما بعدها عليه ونحو قوله فنعم الماهدون اى نحن وان
لم يكن بين الجملتين شىء من الاحوال الاربع تعين الوصل لما لدفع ايهام
خلاف المقصود كقول البلغا لا وايدك الله فهذا عكس الفصل للقطع واما
للتوسط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال وهو ظاهر بان اصحها
ان تتفقا خبرا او انشاء لفظا ومعنى كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم وقوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وقوله
يخادعون الله وهو خادعهم وقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا والثاني ان
تتفقا كذلك معنى لا لفظا كقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون
الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا
عطف قوله وقولوا على قوله لا تعبدون لانه بمعنى لا تعبدوا واما قوله وبالوالدين
احسانا فتقديره اما وتحسنون بمعنى واحسنوا او اما واحسنوا وهذا
ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر

عنه واما قوله تعالى في سورة البقرة وبشر الذين آمنوا فقال الزمخشري فيه فان
قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت
ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف
عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على
جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق
وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على فاتقوا كما تقول
يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني
اليهم هذا كلامه وفيه نظر لا يخفى على المتامل وقال ايضا في قوله تعالى في سورة
الصف وبشر المؤمنين انه معطوف على تؤمنون لانه بمعنى آمنوا وفيه
ايضا نظر لان المخاطبين في تؤمنون هم المؤمنون وفي بشر هو النبي صلى الله عليه
وسلم ثم قوله تؤمنون بيان لما قبله على طريق الاستيناف فكيف يصح
عطف بشر المؤمنين عليه وذهب السكاكي الى انهما معطوفان على قل مرادا
قبل يا ايها الناس يا ايها الذين آمنوا لان ارادة القول بواسطة انصباب
الكلام الى معناه كثيرة في القرآن وذكر صورا كثيرة منها قوله تعالى
وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا وقوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا
اى قلنا او قائلين والاقرب ان يكون الامر في الايتين معطوفا على مقدر يدل

التشبيه عقلي ووهمي وخيالي اما العقلي فهو ان يكون بينهما اتحاد في
التصور او تماثل فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص في الخارج يرفع
التعدد او تضايف كما بين العلة والمعلول والسبب والمسبب والسفل و
العلو والاقل والاكثر فان العقل يأبى ان لا يجتمعا في الذهن واما الوهمي
فهو ان يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلون بياض وكون صفرة فان
الوهم يبرزهما في معرض المثلين ولذلك حسن الجمع بين الثلثة التي في
قوله ثلثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحق والقمر
او تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهار والحلاوة والحموضة والملاسة
والخشونة والطيب والنتن وكالتحرك والسكون والقيام
والقعود والذهاب والمجيء والاقرار والانكار والايمان والكفر وكالمتصفات
بذلك كالاسود والابيض والمؤمن والكافر او شبه تضاد كالسماء والارض
والسهل والجبل والاول والثاني فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين
بهما منزلة المتضايفين فيجمع بينهما في الذهن ولذلك تجد الضد اقرب خطورا
بالبال مع الضد والخيالي ان يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق و
اسبابه مختلفة ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبا و
وضوحا فكم صور تتعانق في خيال وهي في آخر لا تتراءى وكم صور لا تكاد
تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم كما يحكى ان صاحب سلاح

عليه ما قبله وهو في الآية الاولى فانذر او نحوه اي فانذرهم وبشر
الذين امنوا وفي الآية الثانية فابشر او نحوه اي فابشر يا محمد وبشر المؤمنين
وهذا كما قدر الزمخشري في قوله تعالى واهجرني مليا معطوفا على محذوف
يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع و
الجامع بين الجملتين يجب ان يكون باعتبار المسند اليه في هذه و
المسند اليه في هذه وباعتبار المسند في هذه والمسند في هذه جميعا
كقولك يشعر زيد ويكتب او يعطي ويمنع وكقولك زيد شاعر وعمرو كاتب
وزيد طويل وعمرو قصير اذا كان بينهما مناسبة كان يكونا اخوين او
نظيرين بخلاف قولنا زيد شاعر وعمرو كاتب اذا لم يكن بينهما
مناسبة وقولنا زيد شاعر وعمرو طويل كان بينهما مناسبة اولا وعليه
قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
منقطع عما قبله لانه كلام في شان الذين كفروا وما قبله كلام في شان القرآن
واما ما يشعر به كلام السكاكي في موضع من كتابه انه يكفي ان يكون الجامع
باعتبار المخبر عنه او المخبر او قيد من قيودهما فهو منقوض بنحو ما مر و
بنحو قولك هزم الامير الجند يوم الجمعة وخاط زيد ثوبي فيه و
لعله سهو فانه صرح في موضع آخر منه بامتناع عطف قول القائل خفي
ضيق على قوله خاتمي ضيق مع اتحادهما في الخبر ثم قال الجامع بين

ملك وصائغا وصاحب بقر ومعلم صبية سافروا ذات يوم
ووصلوا سير النهار بسير الليل فبيناهم في وحشة الظلام
خوف التخبط والضلال طلع عليهم البدر بنوره فافاض كل منهم في
الثناء عليه وشبهه بافضل ما في خزانته صورة فشبهه الملك
بالترس المذهب يرفع عند الملك والصائغ بالسبيكة من الابريز تفرغ
عن وجهها البوتقة والبقار بالجبن الابيض يخرج من قالبه طريا والمعلم
برغيف احمر يصل اليه من بيت ذي مروءة وكما يحكى عن وراق يصف حاله
عيشي اضيق من محبرة وجسمي ادق من مسطرة وجاهي ادق من الزجاج
وحظي اخفى من شق القلم وبدني اضعف من قصبة وطعامي امر من
العفص وشرابي اشد سوادا من الحبر وسوء الحال علي الزم من الصمغ
ولصاحب علم المعاني فضل احتياج الى التنبه لانواع الجامع لا سيما
الخيالي فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما تنعقد الاسباب في ذلك
كالجمع بين الابل والسماء والجبال والارض في قوله تعالى افلا ينظرون الى
الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت و
الى الارض كيف سطحت بالنسبة الى اهل الوبر فان جل انتفاعهم في معاشهم
من الابل فتكون عنايتهم مصروفة اليها وانتفاعهم منها لا يحصل الا بان
ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر فيكثر تقلب وجوههم في السماء ثم لابد

لهم من مأوى يأويهم وحصن يتحصنون به ولا شيء لهم في ذلك كالجبال
ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم في منزل عن التنقل من ارض الى سواها
فاذا فتش البدوي في خياله وجد صور هذه الاشياء حاضرة فيه على الترتيب
المذكور بخلاف الحضري فاذا لم يتأمل الوقوف على ما ذكرنا ظن النسق
لجهله معيبا ومن محسنات الوصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية
وفي المضي والمضارعة الا لمانع كما اذا اريد باحديهما التجدد وبالاخرى
الثبوت كما اذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو قلت قام
زيد وعمرو قاعد كما سبق ومما يتصل بهذا الباب القول في الجملة اذا
وقعت حالا منتقلة فانها تجيء تارة بالواو وتارة بغير الواو فنقول
اصل الحال المنتقلة ان يكون بغير واو ولوجوه الاول ان اعرابها ليس بتبع
وما ليس اعرابه بتبع لا يدخله واو العطف وهذه الواو وان كانت
تسمى واو الحال فاصلها العطف الثاني ان الحال في المعنى حكم على
ذي الحال كالخبر بالنسبة الى المبتدأ الا ان الفرق بينه وبينها ان الحكم به يحصل
بالاصالة لا في ضمن شيء آخر والحكم بها انما يحصل في ضمن غيرها فان الركوب
في قولنا جاء زيد راكبا محكوم به على زيد لكن لا بالاصالة بل بالتبعية بان
وصل بالمجيء وجعل قيدا له بخلافه في قولنا زيد راكب الثالث انها في
الحقيقة وصف لذي الحال فلا يدخلها الواو كالنعت فثبت ان اصلها ان يكون

وغيره او يكون خولف هذا الاصل فيما اذا كانت جملة لانها بالنظر اليها
من حيث هي جملة مستقلة بالافادة فتحتاج الى ما يربطها بما جعلت
حالا عنه وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط والاصل الضمير بدليل
الاقتصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت واذا تمهد هذا فنقول
الجملة التي تقع حالا ضربان خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه و
غير خالية اما الاولى فيجب ان تكون بالواو لئلا تبقى منقطعة عنه
غير مرتبطة به وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز ان ينتصب عنه حال يصح
ان تقع حالا عنه اذا كانت مع الواو الا المصدرة بالمضارع المثبت
كقولك جاء زيد ويتكلم عمرو على ان يكون ويتكلم عمرو حالا عن زيد لما سيأتي
ان ارتباط مثلها يجب ان يكون بالضمير وحده واما الثانية فتارة
يجب ان تكون بالواو وتارة يمتنع ذلك وتارة يترجح احدهما وتارة يستوي
الامران وهو الواو وعدمها في الضمير في افادة الربط فتعين التنبيه على اسباب
الاختلاف فنقول الجملة ان كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو
كقوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله ولا تمنن تستكثر وقوله وسيجنبها
الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى لان اصل الحال المنتقلة ان يدل على حصول صفة
غير ثابتة مقارن لما جعلت قيدا له والمضارع المثبت كذلك اما دلالته على
حصول صفة غير ثابتة فلانه فعل مثبت والفعل يدل على التجدد وعدم الثبوت

كما

كما مر واما دلالته على المقارنة فلكونه مضارعا فوجب ان يكون بالضمير وحده
كالحال المفردة ولهذا امتنع نحو جاء زيد ويتكلم عمرو وكما منع واما ما جاء
من نحو قول بعض العرب قمت واصك وجهه وقول عبد الله بن همام السلولي
فلما خشيت اظافيرهم نجوت وارهنهم مالكا فقيل على حذف المبتدا اي
وانا اصك وانا ارهنهم وقيل الاول شاذ والثاني ضرورة وقال الشيخ عبد
القاهر ليست الواو فيهما للحال بل هي للعطف والاصل وصككت
ورهنت لكن الغرض في اخراجها على لفظ الحال لحكاية الحال في اصل الخبرين
ويبقى الآخر على اصله كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة
قلت لا يعنيني يبين ذلك ان الفاء تجيء مكان الواو في مثله كما في خبر
عبد الله بن عتيك فانه ذكر دخوله على ابي رافع اليهودي حصنه ثم قال
فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم لا ادري اين هو من البيت فقلت
ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه بالسيف وانا دهش
فان قوله فاضربه مضارع عطفه بالفاء على ماض لانه في المعنى ماض وان كان
الفعل مضارعا منفيا فيجوز فيه الامران من غير ترجيح لدلالته على المقارنة
لكونه مضارعا وعدم دلالته على الحصول لكونه منفيا اما مجيئه بالواو فكقراءة
ابن ذكوان فاستقيما ولا تتبعان بتخفيف النون وقول بعض العرب كنت
ولا اخشى بالذئب وقول مسكين الدارمي اكسبته الورق البيض ابا

دونه منها بوصل ولا إنجاز ميعاد وأما مجيئه بالواو فكقوله تعالى
أو جاؤكم حصرت صدورهم وقول الشاعر وإني لتعروني لذكراك
هزة كما انتفض العصفور بلله القطر وقوله أتيناكم قد
عمكم حذر العدى فنلتم بنا أمنا ولم تعدموا نصرا وقوله متى
أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل
وكقوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وقوله ورد
الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وقول امرئ القيس فأدركه
لم يجهد ولم يثن شأوه وقول زهير كأن فتات العهن في كل منزل
نزلن به حب الفنا لم يحطم والسبب في جواز الأمرين فيه أما الأول
مثبتا فلدلالته على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا أو عدمها ولا بد على المقارنة
لكونه ماضيا ولهذا اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة حتى
تقربه إلى الحال فيصح وقوعه حالا ولا بعد هذا امتنع وجوب الواو في
المنفي لانتفاء المعنيين لكنه لم يجب فيه بل كان مثله أما المنفي بلما
فلأنها للاستغراق وأما المنفي بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم
وكان الأصل استمراره لذلك حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه
بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد وتحقيق هذا أن
استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود كما يتبين فيه

ولقد كان ولا يدعى لأب وقول مالك بن رفيع وكان قد جنى جناية فطلبه
مصعب بن الزبير بغاني مصعب وبنو أبيه فأين أحيد عنهم لا أحيد
أقادوا من دمي وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد وأما مجيئه
بغير الواو فكقوله تعالى وما لنا لا نؤمن بالله وقول عكرشة العبسي
مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر و
قول خالد بن يزيد بن معاوية لو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء
دخلتها لا أحجم وقول الأعشى أتينا أصبهان فهزلتنا وكنا قبل ذلك
في نعيم وكان سفاهة منه وجهلا مسيري لا أسير إلى حميم كأنه قال وكان
سفاهة مني وجهلا أن سرت غير سائر إلى حميم وإن كان ماضيا لفظا أو معنى
فكذلك يجوز الأمران أي من غير ترجيح أما مجيئه بالواو فكقوله أنى يكون لي غلام
وقد بلغني الكبر وقوله أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقول امرئ
القيس أيقتلني وقد شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل
الطالي وقوله فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة
المتفضل وكقوله أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وقوله أنى يكون لي غلام
ولم يمسسني بشر وقول كعب لا تأخذني بأقوال الوشاة
ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل وقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقول الشاعر بانت قطام ولما يحظ

هو العلم وان كانت الجملة اسمية فالمشهور انه يجوز فيه الامران و
تجئ الواو والى انما الاول فلعكسهما ذكر ما هو في المصدر بالماضي
المثبت بمجئ الواو كقوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقوله
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وقول امرئ القيس ايقتلني
والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال وقوله
ليالي يدعونني الهوى واجيبه واعين من اهوى الي رواني
بالخلو منها كما رواه سيبويه كلمته فوه الى في ورجع عوده على بدئه
بالرفع وما انشده ابو علي في الاغفال ولولا جنان الليل ما آب
عامر الى جعفر سرباله لم يمزق وقول الآخر ما بال عينك دمعها
لا يرقا وقوله ثم راحوا عبق المسك بهم واما الثاني فلعموم دلالة
الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستيناف بها لاستقلالها
بالفايدة فيحسن زيادة رابط ليتاكد الربط وقال الشيخ عبد القاهر
ان كان المبتدا ضمير ذي الحال وجب الواو كقولك جاء زيد وهو يسرع او
وهو مسرع ولعل السبب ان اصل هذه الفايدة كان يحصل بدون هذا
الضمير بان يقال جاء زيد يسرع او مسرعا فالاتيان به يشعر بقصد
الاستيناف المنافي للاتصال فلا يصلح لان يستقل بافادة الربط فيجب
الواو وقال ايضا ان جعل نحو على كتفه سيف يقدم الظرف حالا على شي كان

وقولنا

قولنا جاء زيد على كتفه سيف كثر فيها ان تجئ بغير واو كقول بشار اذا
انكرتني بلدة او نكرتها خرجت مع البازي علي سواد يعني علي بقية
من الليل وقول ابي الصلت عبد الله الثقفي يمدح ابن ذي يزن
واشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في راس غمدان دارا منك محلالا و
قول الآخر لقد صبرت للذل اعواد منبر تقوم عليها في يديك قضيب
ثم قال الوجه ان يكون الاسم في مثله مرتفعا بالظرف فانه جائز باتفاق من
صاحب الكتاب وابي الحسن لاعتماده على ما قبله ثم اختار ان يكون الظرف ههنا
خاصة في تقدير اسم فاعل لا فعل وجوز ايضا ان يكون في تقدير ماض مع قد ومنع
ان يكون في تقدير فعل مضارع ولعله انما اختار تقديره باسم فاعل لرجوع
الحال الى اصلها في الافراد ولهذا كثر مجيئها بلا واو وانما جوز التقدير بفعل
ماض ايضا لمجيئها بالواو قليلا وانما منع التقدير بفعل مضارع لانه لو جاز
التقدير به لامتنع مجيئها بالواو ثم قال ويحسن مجئ الاسمية بلا واو
لدخول حرف على المبتدا كما في قوله فقلت عسى ان تبصريني كانما بني حوالي
الاسود الحوارد فانه لو لا دخول كان عليه لم يحسن الكلام الا بالواو
كقولك عسى ان تبصريني وبني حوالي الاسود ثم قال وشبيه بهذا ان يقع
حالا بعقب مفرد فيلطف مكانها حالا لو افردت كقول ابن الرومي
والله يبقيك لنا سالما برداك تبجيل وتعظيم فانه لو قال والله يبقيك لنا

بعد ان يجعل لم حسن هذا الكلام اذا لم يكن صاحبها نكرة متقدمة عليها فان
كان كذلك نحو جاءني رجل وعلى كتفه سيف وجب الواو لئلا يشتبه بالنعت
واما نحو قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم فقال السكاكي
الوجه فيه عندي هو ان ولها كتاب معلوم حال لقرية لكونها في حكم الموصوفة
نازلة منزلة وما اهلكنا قرية من القرى لا وصف وحمله على الوصف سهو لا خطأ
ولا عيب في السهو للانسان ولا اثم والسهو ما يتنبه له صاحبه بادنى
تنبيه والخطاء ما لا يتنبه له صاحبه او يتنبه ولكن بعد اتعاب وكانه تعريض
بالزمخشري حيث قال في تفسيره ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس
ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه
ثوبه وجاءني وعليه ثوب ثم قال السكاكي من عرف السبب في تقديم
الحال اذا اريد ايقاعها عن النكرة تنبه لجواز ايقاعها عن النكرة مع
الواو في جاءني رجل على كتفه سيف ولمزيد جوازه في قوله عز اسمه وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم على ما قدمت واعلم ان السكاكي بنى
كلامه في الجملة الواقعة حالا على اصول مضطربة لا يخفى حالها على الفطن لاسيما
اذا احاط علما بما ذكرناه وانتقيته فآثرنا الاعراض عن نقل كلامه والتعرض
لما فيه من الخلل لئلا يطول الكتاب من غير طائل **القول في الايجاز**

والاطناب والمساواة قال السكاكي اما الايجاز والاطناب
فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما الا بترك التحقيق والبناء على شيء
عرفي مثل جعل كلام الاوساط على مجرى متعارفهم في التادية للمعاني فيما
بينهم ولابد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الاوساط وانه في
باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم فالايجاز هو اداء المقصود من الكلام باقل
من عبارات متعارف الاوساط والاطناب هو اداؤه باكثر من عباراته سواء
كانت القلة او الكثرة راجعة الى الجمل او الى غير الجمل ثم قال الاختصار
لكونه من الامور النسبية يرجع في بيان دعواه الى ما سبق تارة
والى كون المقام خليقا بابسط مما ذكر اخرى وفيه نظر لان كون الشيء
نسبيا لا يقتضي ان لا يتيسر الكلام فيه الا بترك التحقيق والبناء على
شيء عرفي ثم البناء على متعارف الاوساط والبسط الذي يكون
المقصود جديرا به رد الى جهالة فكيف يصلح للتعريف والاقرب
ان يقال المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تادية اصل المراد
بلفظ مساو له او ناقص عنه واف او زائد عليه لفائدة والمراد
بالمساواة ان يكون اللفظ بقدر اصل المراد لا ناقصا عنه بحذف
او غيره كما سياتي ولا زائدا عليه بنحو تكرير او تتميم او اعتراض كما
سياتي وقولنا واف احتراز عن الاخلال وهو ان يكون اللفظ قاصرا عن

ادّاء المعنى كقول عروة بن الورد ‹ عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم
ومقتلهم عند الوغى كان اعذرا › فانه اراد يقتلون نفوسهم في السلم
وفي قول الحرث بن حلزة ‹ والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش
كدّا › فانه اراد والعيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق
في ظلال العقل فاخلّ بما ترى وقولنا الفايدة احتراز من شيئين احدهما
التطويل وهو ان لا يتعين الزايد في الكلام كقوله ‹ والفى قولها كذبا
ومينا › فان الكذب والمين واحد وثانيهما ما يشتمل على الحشو والحشو
ما تعين انه الزايد وهو ضربان احدهما ما يفسد المعنى كقول ابي الطيب
‹ ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب ›
فان لفظ الندى فيه حشو يفسد المعنى لان المعنى انه لا فضل في الدنيا للشجاعة
والصبر والندى لولا الموت وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى لان
الشجاع لو علم انه مخلد في الدنيا لم يخش الهلاك في الاقدام فلم يكن لشجاعته
فضل بخلاف الباذل ماله فانه اذا علم انه يموت هان عليه بذله ولهذا
يقول اذا عوتب فيه كيف لا ‹ ابذل مالا ابقى له › والفتى بالفتح بعد ذا
المال وعليه قول طرفة ‹ فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني ابادرها
بما ملكت يدي › وقول مهيار ‹ فكل ان اكلت واطعم اخاك فلا الزاد يبقى
ولا الآكل › فلو علم انه مخلد ثم جاد بماله كان جوده افضل فالشجاعة لولا

الموت لم تحمد والندى بالضد واجيب عنه بان المراد بالندى في البيت بذل
النفس لا بذل المال كما قال مسلم بن الوليد ‹ يجود بالنفس ان ضن الجواد
بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود › ورد بان لفظ الندى لا يكاد يستعمل
في بذل النفس وان استعمل فعلى وجه الاضافة كما اما مطلقا فلا يفيد الا بذل
المال والثاني ما لا يفسد المعنى كقوله ‹ ذكرت اخي فعاودني صداع الراس
والوصب › فان لفظ الراس فيه حشو لا فايدة فيه لان الصداع لا يستعمل الا
في الراس وليس بمفسد للمعنى وقول زهير ‹ واعلم علم اليوم والامس قبله ›
فان قوله قبله مستغنى عنه غير مفسد وقول ابي عدي ‹ نحن الرؤس و
ما الرؤس اذا سمت في المجد للاقوام كالاذناب › فان قوله للاقوام
حشو لا فايدة فيه مع انه غير مفسد للمعنى واعلم انه قد يشتبه الحال على
الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته فيعد من الزايد ما هو اصل المراد
ما ليس منه كما مثله بعض الناس بقول القايل ‹ ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح › ‹ وشدت على دهم المهاري رحالنا ولم
ينظر الغادي الذي هو رايح › ‹ اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت
باعناق المطي الاباطح › يتبين انه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر في شرحه
قال رحمه الله اول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر انه قال ولما قضينا من منى
كل حاجة فعبّر عن قضاء جميع المناسك في فرايضها وسننها بطريق العموم الذي

من اصل طرق الاختصار ثم نبه بقوله ومسح بالاركان من هو ماسح على طواف
الوداع الذي هو آخر الامر وعلى تعجيل المسير الذي هو مقصوده من الشعر
ثم قال وشدت البيت موصولا بذكر مسح الاركان ما وليه من زم
الركاب وركوب الركبان ثم دل بلفظ الاطراف على الصفة التي يختص
بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول وشجون الحديث او ما
هو عادة المتطرفين من الاشارة والتلويح والرمز والايماء وانبا بذلك
عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط كما توجبه الفة الاصحاب
وانسة الاحباب ويليق بحال من وفق بقضاء العبادة الشريفة
ورجا حسن الاياب وتنسم روائح الاحبة والاوطان واستماع
التهاني والتحايا من الخلان والاخوان ثم زان ذلك كله باستعارة
لطيفة فقال وسالت باعناق المطي الاباطح فنبه بذلك على سرعة
السير ووطاءة الظهر في ذلك بما يؤكد ما قبله لان الظهور اذا كانت وطية
وكان سيرها سهلا سريعا زاد ذلك في نشاط الركبان فيزداد الحديث
طيبا ثم قال باعناق المطي ولم يقل بالمطي لان السرعة والبطء في سير الابل
يظهران غالبا في اعناقها ويتبين امرهما من هواديها وصدورها و
سائر اجزائها تستند اليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة القسم
الاول المساواة كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقوله واذا رايت

الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقول
النابغة الذبياني فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى
عنك واسع القسم الثاني الايجاز وهو ضربان احدهما ايجاز
القصر وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة فانه لا حذف فيه مع
ان معناه كثير يزيد على لفظه لان المراد به ان الانسان اذا علم انه متى قتل
قُتل كان ذلك داعيا له قويا الى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو
قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان ارتفاع القتل حيوة لهم وفضله
على ما كان عندهم اوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم القتل انفى للقتل من
وجوه احدها ان عدة حروف ما يناظره منه وهو في القصاص حيوة عشرة
وعدة حروفه اربعة عشر وثانيها ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي
هو الحيوة بالنص عليها فيكون ازجر عن القتل بغير حق لكونه ادعى الى
الاقتصاص وثالثها ما يفيده تنكير حيوة من التعظيم او النوعية كما سبق
ورابعها اطراده بخلاف قولهم فان القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على
وجه القصاص لا غيره وخامسها سلامته من التكرار الذي هو من عيوب
الكلام بخلاف قولهم وسادسها استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف
قولهم فان تقديره القتل انفى للقتل من تركه وسابعها ان القصاص ضد
الحيوة فالجمع بينهما طباق كما سياتي وثامنها جعل القصاص كالمنبع والمعدن

اي لكم في القصاص نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة للمقتول اي الذي يقصد قتله والقاتل اي الذي يقصد القتل لاجل الارتداع عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص

فائدة لما اراد ان يصف هولاء القوم بالشجاعة عند اثنائه وصفهم بالتعب
بالغرام عبّر عن ذلك بقوله ايدي الطعان ومنها ما كتب عمرو بن مسعدة
عن المامون لرجل يتوجه الى بعض العمال حيث امره ان يختصر كتابه ما امكن
كتابي اليك كتاب واثق بمن كتب اليه معني بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة
والعناية حامله الضرب الثاني ايجاز الحذف وهو ما يكون بحذف
المحذوف اما جزء جملة او جملة او اكثر من جملة والاول اما مضاف كقوله تعالى
واسئل القرية اي اهلها وكقوله حرمت عليكم الميتة اي تناولها
لان الحكم الشرعي انما يتعلق بالافعال دون الاجرام وقوله وحرمنا عليهم
طيبات احلت لهم اي تناول طيبات احل لهم تناولها وتقدير التناول
اولى من تقدير الاكل ليدخل فيه شرب البان الابل فانها من جملة ما حرم عليهم
وقوله وانعام حرمت ظهورها اي منافع ظهورها وتقدير المنافع اولى من
تقدير الركوب لانهم حرموا ركوبها وتحميلها وكقوله لمن كان يرجو الله اي
رحمة الله وقوله يخافون ربهم اي عذاب ربهم وقد يطرد هذان للضاف
فقوله يرجون رحمته ويخافون عذابه واما موصوف كقوله انا ابن جلا و
طلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا واما صفة نحو وكان وراءهم ملك ياخذ
كل سفينة غصبا اي كل سفينة صحيحة او صالحة او نحو ذلك بدليل ما قبله
وقد جاء ذلك مذكورا في بعض القراءات قال سعيد بن جبير كان ابن عباس

للخيرة بادخال ما عليه على ما تقدم ومنه قوله تعالى هدى للمتقين اي هدى
للضالين الصائرين الى التقوى بعد الضلال وحسنه التوصل الى تسمية
الشيء باسم ما يؤول اليه والى تصدير السورة بذكر اولياء الله تعالى وقوله
قل اتنبئون الله بما لا يعلم اي بما لا ثبوت له ولا علم الله متعلق بثبوته
نفيا للملزوم بنفي اللازم وكذا قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
اي لا شفاعة ولا طاعة على اسلوب قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي
لا منار ولا اهتداء وقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار
ومن امثلة الايجاز ايضا قوله تعالى فيما خاطب به نبيه صلى الله عليه وسلم
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فانه جمع فيه مكارم الاخلاق
لان قوله خذ العفو امر باصلاح قوة الشهوة فان العفو ضد الجهد قال
الشاعر خذي العفو مني تستديمي مودتي اي خذي ما تيسر اخذه و
تسهل وقوله واعرض عن الجاهلين امر باصلاح قوة الغضب اي اعرض
عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافيهم على افعالهم هذا ما يرجع اليه منها
واما ما يرجع الى امته فدل عليه بقوله وامر بالعرف اي بالمعروف والجميل
من الافعال ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه فيما روي عنه امر الله نبيه
بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لها من هذه الآية ومنها قول الشريف
الرضي مالوا الى شعب الرحال واسندوا ايدي الطعان الى قلوب تخفق

بتقدير وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا واما شرط كما
تسبع واما جواب شرط وهو ضربان احدهما ان يحذف لمجرد الاختصار كقوله
تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اى اعرضوا
بدليل قوله بعده الا كانوا عنها معرضين وكقوله ولو ان قرآنا سيرت به
الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى اى لكان هذا القرآن وكقوله قل
ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله
فآمن واستكبرتم اى الستم ظالمين بدليل قوله بعده ان الله لا يهدى القوم
الظالمين والثانى ان يحذف للدلالة على انه شئ لا يحيط به الوصف او لتذهب
نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا او مكروها الا ويجوز ان
يكون الامر اعظم منه ولو عين شئ اقتصر عليه وربما خف امره عنده كقوله
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وكقوله ولو ترى اذ
وقفوا على النار ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم قال السكاكى ولهذا المعنى حذفت الصلة من قولهم جاء بعد اللتيا
اى وللدلالة على انه شئ لا يحيط به الوصف
والتى اى المشار اليهما وهى المحنة والشدائد بلغت شدتها وفظاعة شانها
مبلغا يبهت الواصف معه حتى لا يحير ببنت شفة واما غير ذلك
اى بكلمة لا يتكلم
كقوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بدليل ما بعده ومن

عند العرب قوله تعالى رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا لان اصله
يا ربى انى وهن العظم منى اشتعل الراس منى شيبا وعده السكاكى من
القسم الثانى من الايجاز على ما فسره ذاهبا الى انه وان اشتمل على بسط فان
انقراض الشباب والمام المشيب جدير بان يبسط منه ثم ذكر ان فيه لطايف
يتوقف بيانها على النظر فى اصل المعنى ومرتبته الاولى ثم افاد ان مرتبته الاولى
يا ربى قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن و شيب
الراس ثم تركت هذه المرتبة لتوخى مزيد التقرير الى تفصيلها فى ضعف
بدنى وشاب راسى ثم ترك التصريح بضعف بدنى الى الكناية بوهنت عظام
بدنى لما سيأتى ان الكناية ابلغ من التصريح ثم لقصد مرتبة رابعة ابلغ فى
التقرير بنيت الكناية على المبتدأ فحصل انا وهنت عظام بدنى ثم لقصد
خامسة ابلغ ادخلت ان على المبتدأ فحصل انى وهنت عظام بدنى ثم
لطلب تقرير ان الواهن عظام بدنه قصدت مرتبة سادسة وهى سلوك
طريقى الاجمال والتفصيل فحصل انى وهنت العظام من بدنى ثم لطلب مزيد
اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة وهى ترك توسيط البدن فحصل
انى وهنت العظام منى ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا ترك الجمع
الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد فرد فحصل
ما ترى وهكذا تركت الحقيقة فى شاب راسى الى الاستعارة فى اشتعل شيب

قصدت مرتبة ثامنة

راسي شيبا اي ان الاستعارة ابلغ من الحقيقة ثم تركت هذه المرتبة الى
تحويل الاسناد الى الراس وتفسيره بشيبا لانها ابلغ من جهات احدها
اسناد الاشتعال الى الراس لافادة شمول الشيب الراس اذ وزان اشتعل
شيب راسي واشتعل راسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي
نارا والفرق بين وثانيها الاجمال والتفصيل في طريق التمييز وثالثها
تنكير شيبا لافادة المبالغة ثم ترك اشتعل راسي شيبا لتوخي مزيد التقرير
الى اشتعل الراس مني شيبا على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لقرينة
عطف واشتعل الراس على وهن العظم منى لمزيد التقرير وهو ايهام تادية
مفهومه على العقل دون اللفظ ثم قال عقيب هذا الكلام واعلم ان
الذي فتق اكمام هذه الجهات عن ازاهير القبول في القلوب هو ان
مقدمة هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار
بان حذفت كلمة النداء وهي يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهي
ياء المتكلم واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهي
المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق في نهج البلاغة
نازلة منزلة الاساس للبناء فكما ان البناء الحاذق لا يرى الاساس الا
بقدر ما يقدر من البناء عليه كذلك البليغ يصنع مبدا كلامه فمتى
رايته اختصر المبدا فقدر ذلك باختصار ما يورده انتهى كلامه و

عليك

عليك ان تتنبه لشيء وهو ان ما جعله سببا للعدول عن لفظ العظام
الى لفظ العظم فيه نظر لانا لا نسلم صحة حصول وهن المجموع بوهن البعض
دون كل فرد فالوجه في ذكر العظم دون سائر ما تركب منه البدن وتوحيده
ما ذكره الزمخشري قال انما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل
بنائه واذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا
وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى
الجنسية وقصده تعالى الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد
ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه
لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها واعلم ان المراد بشمول الشيب الراس ان
يعم جملته حتى لا يبقى من السواد شيء او لا يبقى منه الا ما لا يعتد به والثاني اعني
ما يكون جملة اما مسببا ذكر سببه كقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل اي
فعل ما فعل وقوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك
اي اخبرناك وقوله ليدخل الله في رحمته من يشاء اي كان الكف ومنع التعذيب
ومنه قول ابي الطيب اتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم واتيناه
على الهرم اي فساءنا او بالعكس كقوله تعالى فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم
ذلكم خير لكم عند باريكم فتاب عليكم اي فامتثلتم فتاب عليكم وقوله فقلنا
اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اي فضرب بها فانفجرت ونحو ان يقدر فان ضربت

بما فقعد العفرت او غير ذلك كقوله منه الماء تعدون على ما منسى والثالث كقوله
وهو ان تكون المحذوف اكثر من جملة
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى اى فضربوه بها فحيي فقلنا
كذلك يحيي الله الموتى وقوله انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف اى
فارسلوني الى يوسف لاستعبره الرؤيا فارسلوه اليه فاتاه وقال
له يا يوسف وقوله فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا
فدمرناهم تدميرا اى فاتياهم فابلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم
وقوله فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني
اسرائيل قال الم نربك اى فاتياه فابلغاه ذلك فلما سمعه قال الم نربك
ويجوز ان يكون التقدير فاتياه فابلغاه ذلك ثم تقدر فاذا قال فيقع
قوله قال الم نربك استينافا ونحوه قوله اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا ايها الملأ اى ففعل ذلك فاخذت
الكتاب فقرأته ثم كأن سائلا قال فماذا قالت فقيل قالت يا ايها الملأ
واما قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله فقال الزمخشري
في تفسيره هذا موضع الفاء كما تقول اعطيته فشكر ومنعته فصبر وعطفه
بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما العلم كأنه قال ولقد فعلا به وعلماه
وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وقال السكاكي يحتمل عندي
انه تعالى اخبر عما صنع بهما وعما قالا كأنه تعالى قال نحن فعلنا ايتاء العلم

ومنها

ومنها فعلا للمحذوف من غير بيان ترتبه عليها اعتمادا على فهم السامع كقولك قم
يدعوك بدل ثم فانه يدعوك واعلم ان الحذف على وجهين احدهما ان لا يقام
شيء مقام المحذوف كما سبق والثاني ان يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى
فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ليس الابلاغ هو الجواب لتقدمه
على توليهم والتقدير فان تولوا فلا لوم علي لاني قد ابلغتكم او فلا عذر لكم
عند ربكم لاني قد ابلغتكم وقوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي
فلا تحزن واصبر فانه قد كذبت رسل من قبلك وقوله وان يعودوا فقد مضت
سنة الاولين اي فيصيبكم مثل ما اصاب الاولين وادلة الحذف كثيرة منها
ان يدل العقل على الحذف والمقصود الاظهر على تعيين المحذوف كقوله حرمت
عليكم الميتة الاية وقوله حرمت عليكم امهاتكم الاية فان العقل يدل على
الحذف والمقصود الاظهر يرشد الى ان التقدير حرم عليكم تناول
الميتة وحرم عليكم نكاح امهاتكم لان الغرض الاظهر من هذه الاشياء تناولها
ومن النساء نكاحهن ومنها ان يدل العقل على الحذف والتعيين كقوله و
جاء ربك اي امر ربك او عذابه او بأسه وقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله في ظلل من الغمام اي عذاب الله او امره ومنها ان يدل العقل على الحذف
والعادة على التعيين كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز فذلكن الذي لمتنني
فيه دل العقل على الحذف فيه لان الانسان انما يلام على كسبه فيحتمل ان يكون

التقديرية حبه لفتاهن قد شغفها حبا اى ان يكون في مراودته لفتاهن تراود
فتاها عن نفسه وان يكون في شانه وامره فيشملهما والعادة دلت على
تعيين المراودة لان الحب المفرط لا يلام الانسان عليه في العادة لقهر صاحبه
وغلبته وانما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى تمكنه ان يدفعها
عن نفسه ومنها ان تدل العادة على الحذف والتعيين كقوله تعالى لو نعلم قتالا لاتبعناكم
مع انهم كانوا اخبر الناس بالحرب فكيف يقولون انهم لا يعرفونها فلا بد من حذف
قدره مجاهد رحمه الله مكان قتال اى انكم تقاتلونهم في موضع لا يصلح للقتال ويخشى
عليكم منه ويدل عليه انهم اشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج من المدينة
وان الحزم البقاء فيها ومنها الشروع في الفعل في قول المؤمن باسم الله كما اذا قلت
عند الشروع في القراءة باسم الله فانه يفيد ان المراد باسم الله اقرأ وكذا عند
الشروع في القيام والقعود او في اى فعل كان فان المحذوف تقديره ما جعلت
التسمية مبدأ له ومنها اقتران الكلام بالفعل فانه يفيد تقديره كقولك لمن
اعرس بالرفاء والبنين فانه يفيد بالرفاء والبنين اعرست القسم
الرفاء بالالتيام والاتفاق والبناء بالباء
الثالث الاطناب وهو اما بالايضاح بعد الابهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين
او ليتمكن في النفس فضل تمكن فان المعنى اذا القى على سبيل الاجمال والابهام تشوقت
نفس السامع الى معرفته على سبيل التفصيل والايضاح فيتوجه الى ما يرد بعد
ذلك فاذا القى كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به اتم او لتكمل

اللذة

اللذة بالعلم به فان الشيء اذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به الم
واذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس الى العلم بالمجهول فيحصل
لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي الم ثم اذا حصل لها العلم
به حصلت لها لذة اخرى واللذة عقيب الالم اقوى من اللذة التي لم يتقدمها
الم او لتفخيم الامر وتعظيمه كقوله تعالى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي
امري فان قوله اشرح لي يفيد طلب شرح شيء ما له وقوله صدري يفيد تفسيره و
بيانه وكذلك قوله ويسر لي امري والمقام مقتضٍ للتاكيد للارسال المؤذن بتلقي المكاره
والشدائد وكقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
ففي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له ومن الايضاح بعد الابهام باب نعم
وبئس على احد القولين اذ لو لم يقصد الاطناب لقيل نعم زيد وبئس عمرو ووجه حسنه
على قول من جعل المخصوص خبر مبتدأ
سوى الايضاح بعد الابهام امران احدهما ابراز الكلام في معرض الاعتدال
نظرا الى اطنابه من وجه والى اختصاره من آخر وهو حذف المبتدأ في الجواب
الثاني ايهام الجمع بين متنافيين ومنه التوشيع وهو ان يؤتى في عجز الكلام بمثنى
مفسر باسمين احدهما معطوف على الآخر كما جاء في الخبر يشيب ابن آدم ويشب
فيه خصلتان الحرص وطول الامل وقول الشاعر سقتني في ليل شبيه بشعرها
شبيهة خديها بغير رقيب فما زلت في ليلين شعر وظلمة وشمسين
من خمر ووجه حبيب وقول البحتري لما مشين بذي الاراك تشابهت

والعطاف قضبان بدو وقدود ۞ وفي حليتي حبرها وروض فالتقى وشيان
وشي تجلى الارض ووشي برود ۞ وسفرن فامتلأت عيون راقها ۞ وردان
وردي وجني وورد خدود ۞ واما بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على
عطف على قوله اما بالايضاح بعد الابهام
فضله حتى كانه ليس من جنسه تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة
في سائر افراد العام
التغاير في الذات كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل و
ميكائيل وقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف و
ينهون عن المنكر وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى واما
بالتكرير لنكتة كتاكيد الانذار في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
وفي ثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ واشد وكزيادة التنبيه على ما
ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم
اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وقد يكرر اللفظ
لطول في الكلام كما في قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد
ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وفي قوله ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وقد يكرر
لتعدد المتعلق كما كرره تعالى من قوله فباي آلاء ربكما تكذبان لانه ذكر نعمة
بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ومعلوم ان الغرض من ذكره عقيب نعمة
غير الغرض من ذكره عقيب نعمة اخرى فان قيل قد عقب بهذا القول ما ليس

بنعمة كما في قوله يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن قلنا العذاب وجهنم
وان لم يكونا من آلاء الله تعالى فان ذكرها ووصفها على طريق الزجر عن المعاصي و
الترغيب في الطاعات من آلائه تعالى ونحوه قوله ويل يومئذ للمكذبين لانه تعالى ذكر
قصصا مختلفة واتبع كل قصة بهذا القول فصار كانه قال عقيب كل قصة ويل
يومئذ للمكذبين بهذه القصة واما بالايغال واختلف في معناه فقيل هو ختم
البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قول الخنساء ۞ وان
صخرا لتأتم الهداة به ۞ كانه علم في راسه نار ۞ لم ترض ان تشبهه بالعلم
فتوهما كان في علم واف بالمقصود اعني التشبيه
الذي هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في راسه نارا وقول ذي الرمة ۞ قف
العيس في اطلال مية واسأل ۞ رسوما كاخلاق الرداء المسلسل ۞ اظن
الذي يجدي عليك سؤالها ۞ دموعا كتبذير الجمان المفصل ۞ ويقصد التشبيه
في قول امرئ القيس ۞ كان عيون الوحش حول خبائنا ۞ وارحلنا الجزع الذي لم
يثقب ۞ فانه لما اتى على التشبيه قبل القافية واحتاج اليها جاء بزيادة حسنة
في قوله لم يثقب لان الجزع اذا كان غير مثقوب كان اشبه بالعيون ومثله قول
زهير ۞ كان فتات العهن في كل منزل ۞ نزلن به حب الفنا لم يحطم ۞ فان حب الفنا
احمر الظاهر ابيض الباطن فهو لا يشبه الصوف الاحمر الا ما لم يحطم وكذا قول
امرئ القيس ۞ حملت ردينيا كان سنانه ۞ سنا لهب لم يتصل بدخان ۞

كما تنسيا في وقيل المختص بالنظم ومثل بقوله تعالى لا تبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
واما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد وهو ضربان
ضرب لم يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ما قبله كقوله
تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ان قلنا المعنى وهل نجازي ذلك
الجزاء وقال الزمخشري وفيه وجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل
تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم
بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل نعاقب فعلى
هذا يكون من الضرب الثاني وقول الحماسي فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلام
اركبه اذا لم انزل وقول ابي الطيب وما حاجة الاظعان حولك في الدجى الى
قمر ما واجد لك عادمه وقوله ايضا تمنى الاماني صرعى دون مبلغه فما
يقول لشيء ليت ذلك لي وقول ابن نباتة السعدي لم يبق جودك لي شيئا
اؤمله تركتني اصحب الدنيا بلا امل قيل نظر فيه الى قول ابي الطيب وقد ازرى
عليه في المدح ولا ابدع المدوح حيث لم يجعله في حيز من تحصل شيئا وضرب يخرج
مخرج المثل كقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقول الذبياني
ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب وقول الحطيئة
نزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يعط اثمان المكارم يحمد وقد اجتمع الضربان
في قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة

الموت

الموت فان قوله افان مت فهم الخالدون من الاول وما بعده من الثاني وكل منهما
تذييل على ما قبله وهو ايضا اما ان يكون منطوق كلام كقوله تعالى قل جاء الحق الاية و
اما للتأكيد مفهومه كبيت النابغة فان صدره دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال
فحقق ذلك وقرره بعجزه واما بالتكميل ويسمى الاحتراس ايضا وهو ان يؤتى في
كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو ضربان ضرب يتوسط الكلام كقول طرفة
فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي وقول الاخر لو ان عزة
خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها اذ التقدير عند حاكم موفق
فقوله موفق تكميل وقول ابن المعتز صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت
بها ايد سراع وارجل وضرب يقع في اخر الكلام كقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة
على المؤمنين لتوهم ان ذلتهم لضعفهم فلما قيل اعزة على الكافرين علم انها منهم تواضع
لهم ولهذا عدي الذل بعلى لتضمنه معنى العطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه
التذلل والتواضع ويجوز ان يكون التعدية بعلى لان المعنى انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم
وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ومنه قول ابن الرومي فيما كتبه
الى صديق اني وليتك الذي لا يزال تنقاد اليك مودته من غير طمع ولا جزع
واني لليث لذي الرغبة وللذي الرهبة مهيب وكذا قول الحماسي رهنت يدي
بالعجز عن شكر بره وما فوق شكري للشكور مزيد وكذا قول كعب بن سعد

حليمٌ اذا ما الحلم زيّن اهله ۝ مع الحلم في عين العدوّ مَهيبُ

فانه لو اقتصر على وصفه بالحلم لاوهم ان حلمه عن عجز فلم
يكن صفة مدح فقال اذا ما الحلم زين اهله فازال هذا الوهم و
اما بقية البيت فتاكيد للازم ما يفهم من قوله اذا ما الحلم
زين اهله من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم زينا
لاهله فان من لا يكون حليما حين لا يحسن الحلم يكون مهيبا في عين العدو
لا محالة فعلم ان بقية البيت ليست تكميلا كما زعم بعض الناس و
منه قول الحماسي ۝ وما مات منا سيد حتف انفه ۝ ولا طُلّ منا حيث
كان قتيل ۝ فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل اياهم لاوهم ان
ذلك لضعفهم وقلتهم فازال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتليهم
وكذا قول ابي الطيب ۝ اشدّ من الرياح الهوج بطشًا ۝ واسرع
في الندى منها هبوبا ۝ فانه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لاوهم ذلك
انه عنف كله ولا لطف عنده فازال هذا الوهم بوصفه بالسماحة ولم يتجاوز
في ذلك كله صفة الريح التي شبهه بها وقوله واسرع في الندى منها هبوبا
كانه من قول ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجود الناس وكان اجود ما يكون في رمضان كان كالريح المرسلة واما
بالتتميم وهو ان يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة

كالمبالغة

كالمبالغة في قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه اي مع حبه والضمير للطعام اي
مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه واتى المال على حبه وكذا لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله فلا يكون مما نحن
فيه ومنه قول الشاعر ۝ اني على ما ترين من كبري ۝ اعرف من اين
تؤكل الكتف ۝ ومنه قول زهير ۝ من يلق يوما على علاته هرما ۝
يلق السماحة منه والندى خلقا ۝ واما بالاعتراض وهو ان يؤتى
في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل لها
من الاعراب لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل كالتنزيه والتعظيم
في قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون والدعاء
في قول ابي الطيب ۝ وتحتقر الدنيا احتقار مجرب ۝ يرى كل
ما فيها وحاشاك فانيا ۝ فان قوله وحاشاك دعاء حسن في موضعه ونحوه قول
عوف بن محلم الشيباني ۝ ان الثمانين وبُلّغتها ۝ قد احوجت
سمعي الى ترجمان ۝ والتنبيه في قول الشاعر ۝ واعلم فعلم المرء
ينفعه ۝ ان سوف ياتي كل ما قدرا ۝ وتخصيص احد المذكورين بزيادة
التاكيد في امر علق بهما كقوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر
لي ولوالديك والمطابقة مع الاستعطاف في قول ابي الطيب ۝

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ۞ يا جنتي لظننت فيه جهنما ۞
والتنبيه على سبب امر فيه غرابة كما في قول الآخر ۞ فلا هجره
يبدو وفي اليأس راحة ۞ ولا وصله يبدو لنا فنكارمه ۞ فان
قوله فلا هجره يبدو يشعر بان هجر الحبيب احد مطلوبيه وغريب
ان يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب فقال وفي اليأس راحة
لينبه على سببه وقوله تعالى لو تعلمون في قوله فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم اعتراض في
اعتراض لانه اعترض به بين الموصوف والصفة واعترض بقوله
وانه لقسم لو تعلمون عظيم بين القسم والمقسم عليه ومما جاء
بين كلامين متصلين معنى قوله تعالى فاتوهن من حيث
امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث
لكم فان قوله نساؤكم حرث لكم بيان لقوله فاتوهن من
حيث امركم الله يعني ان المأتي الذي امركم به هو مكان الحرث دلالة
على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة
فلا تاتوهن الا من حيث تاتى فيه هذا الغرض وهو مما جاء اكثر
من جملة ايضا ونحوه في كونه اكثر من جملة قوله تعالى قالت رب اني
وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني

سميتها

سميتها مريم فان قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر
كالانثى ليس من قول ام مريم وكذا قوله تعالى الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة و
يريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله
وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه ان جعل من الذين بيانا للذين اوتوا نصيبا من الكتاب
لانهم يهود ونصارى او لاعدائكم فانه على الاول يكون قوله
والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله اعتراضا وعلى الثاني يكون وكفى
بالله وكفى بالله اعتراضا ويجوز ان يكون من الذين صلة لنصيرا
اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين
كذبوا وان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ
محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله ۞
وما الدهر الا تارتان فمنهما ۞ اموت واخرى ابتغي العيش
اكدح ۞ وقد علم مما ذكرنا ان الاعتراض كما يأتي بغير واو
ولا فاء فقد يأتي باحدهما ووجه حسن الاعتراض على الاطلاق
حسن الافادة مع ان مجيئه مجيء ما لا معول عليه في الافادة
فيكون مثله مثل الحسنة تاتيك من حيث لا ترتقبها ومن التابع

من لا يعتقد فائدة الاعتراض بما ذكرناه بل يجوّز ان يكون دفع
توهم ما خالف المقصود وهؤلاء فرقتان فرقة لا يشترط فيه
ان يكون واقعا في اثناء كلام او بين كلامين متصلين معنىً
بل يجوز ان يقع في آخر كلام لا يليه كلام غير متصل به معنى وبهذا
يشعر كلام الزمخشري في مواضع من الكشاف فالاعتراض عند هؤلاء
يشمل التذييل ومن التكميل ما لا محل له من الاعراب جملة كان او اكثر
من جملة ويباين التتميم وفرقة تشترط فيه ذلك لكن
لا تشترط ان يكون جملة او اكثر من جملة فالاعتراض عند
هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا في احد الموقعين ومن التكميل
ما كان واقعا في احدهما ولا محل له من الاعراب جملة كان او اقل
من جملة او اكثر ويباين التذييل واما بغير ذلك كقولهم وابيّنه

عطف على قوله اما بالايضاح بعد الابهام وامّا بكذا او كذا

بعيني ومنه قوله تعالى اذ تلقّونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما
ليس لكم به علم اي هذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور
في افواهكم من غير ترجمة عن علم في القلب كما هو شأن المعلوم اذا ترجم
عن اللسان وكذا قوله تلك عشرة كاملة لازالة توهم الاباحة كما في
نحو جالس الحسن او ابن سيرين وليعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط
به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك قوله

كاملة

91

كاملة تأكيدا آخر وقيل اي كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وقيل اريد
به تأكيد الكيفية لا الكمية حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور
لم يكن كاملة وكذا قوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فانه لو لم يقصد الاطناب
لم يذكر ويؤمنون به لان ايمانهم ليس مما ينكره احد من مثبتيهم وحسن
ذكره اظهار شرف الايمان ترغيبا فيه وكذا قوله اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون فانه لو اختصر لترك قوله والله يعلم انك لرسوله
لان مساق الآية لتكذيبهم في دعوى الاخلاص في الشهادة كما مرّ
وحسنه دفع توهم ان التكذيب للمشهود به في نفس الامر ونحو قول
البلغاء لا واصلحك الله وكذا قوله تعالى هي عصاي اتوكّأ عليها
واهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى وحسنه انه عليه السلام
فهم ان السؤال يعقبه امر عظيم يحدثه الله تعالى في العصى فينبغي
ان يتنبّه لصفاتها حتى يظهر له التفاوت بين

قبل قلبها حيّة

الحالين وكذا قوله قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
وحسنه اظهار الابتهاج بعبادتها والافتخار بمواظبتها
ليزداد غيظ السائل واعلم انه قد يوصف الكلام

بالايجاز والاطناب باعتبار كثرة الحروف وقلتها
بالنسبة الى كلام آخر مساوله في اصل المعنى كالشطر
الاول من قول ابي تمام «يصد عن الدنيا اذا عن سودد
ولو برزت في زي عذراء ناهد» وقول الآخر
ولست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء
في جانب الفقر» ومنه قول الشماخ «اذا ما راية رفعت
لمجد تلقاها عرابة باليمين» وقول بشر بن ابي حازم
اذا ما المكرمات رفعن يوما وقصر مبتغوها
عن مداها» وضاقت اذرع المثرين عنها» سما اوس
اليها فاحتواها» ويقرب من هذا الباب قوله تعالى
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقول الحماسي
وننكر ان شئنا على الناس قولهم» ولا ينكرون
القول حين نقول» وكذا ما ورد في
الحديث الحزم سوء الظن وقول
العرب الثقة بكل احد عجز»
والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب

الفن الثاني علم البيان

وهو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق
مختلفة في وضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ اما على ما وضع له او
على غيره والثاني اما داخل فيه كالاول دخول السقف في مفهوم البيت
او الحيوان في مفهوم الانسان او خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم
السقف او الضاحك عن مفهوم الانسان وتسمى الاولى دلالة وضعية
وكل واحدة من الاخريين دلالة عقلية وتخص الاولى بدلالة
المطابقة والثانية بدلالة التضمن والثالثة بدلالة الالتزام وشرط
الثالثة اللزوم الذهني اعني ان يكون حصول ما وضع اللفظ له
في الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح احد المتساويين
على الآخر لكون نسبة الخارج اليه كنسبة ساير المعاني الخارجة
ولا يشترط في هذا اللزوم ان يكون مما يثبته العقل بل يكفي
ان يكون مما يثبته اعتقاد المخاطب اما لعرف او غيره لامكان
الانتقال من المفهوم الاصلي الى الخارج وقد وقع في كلام بعض
العلماء ما يشعر بالخلاف في اشتراط اللزوم الذهني في دلالة
الالتزام وهو بعيد جدا وان صح فلعل السبب فيه توهم ان
المراد باللزوم الذهني اللزوم العقلي لامكان الفهم بدون اللزوم
الذهني بهذا المعنى كما سبق ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور

لا يتاتى بالدلالة الوضعية لان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ
لم يكن بعضها اوضح دلالة من بعض والا لم يكن كل واحد منها دالا
وانما يتاتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشئ لوازم بعضها
اوضح لزوما من بعض ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان قامت قرينة
على عدم ارادة ما وضع له فهو مجاز والا فهو كناية ثم المجاز منه الاستعارة
وهى تبتنى على التشبيه فتعين التعرض له فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز
والكناية وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة
التى هى مجاز على التشبيه وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها
منزلة الجزء من الكل **القول** في التشبيه التشبيه الدلالة
على مشاركة امر لآخر في معنى والمراد بالتشبيه ههنا ما لم يكن على وجه
الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد
فدخل فيه ما يسمى تشبيها بلا خلاف وهو ما ذكرت فيه اداة التشبيه
كقولنا زيد كالاسد او كالاسد بحذف زيد لقيام قرينة وما يسمى تشبيها
على المختار كما سيأتي وهو ما حذفت فيه اداة التشبيه وكان اسم المشبه
خبرا للمشبه او في حكم الخبر كقولنا زيد اسد وكقوله تعالى صم بكم عمي اي هم
ونحوه قوله من خاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر وكقولنا رايت زيدا الحر او

واذ قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح فاعلم انه مما اتفق
العقلاء على شرف قدره وفخامة امره في فن البلاغة وان تعقيب
المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس
الى المقصود بها مدحا كانت او ذما او افتخارا او غير ذلك وان اردت
تحقيق هذا فانظر الى قول البحتري دان على ايدي العفاة وشاسع
عن كل ند في الندى ضريب كالبدر افرط في العلو وضوءه
للعصبة السارين جد قريب او قول ابن لنكك اذا
اخو الحسن اضحى فعله سمجا رايت صورته من اقبح الصور و
هبكه كالشمس في حسن الم ترنا نفر منها اذا مالت الى الضرر
او قول ابن الرومي بذل الوعد للاخلاء سمحا وابى بعد ذاك بذل
العطاء فغدا كالخلاف يورق للعين ويابى الاثمار كل الاباء
او قول ابي تمام واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها
لسان حسود لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب
عرف العود او قوله ايضا وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه
فاغترب تتجدد فاني رايت الشمس زيدت محبة الى الناس ان
ليست عليهم بسرمد وقس حالك وانت في البيت الاول لم تنته
الى الثاني على حالك وانت قد انتهيت اليه ووقفت عليه تعلم بعد

حالتيك في تمكين المعنى لديك وكذا تعهد الفرق بين ان تقول
الدنيا لا تدوم وتسكت وان تذكر عقيبه ما روي عن النبي عليه
السلام انه قال من في الدنيا ضيف وما في يده عارية والضيف
مرتحل والعارية مؤداة او تنشد قول لبيد وما المال و
الاهلون الا وديعة ولا بد يوما ان ترد الودائع وبين
ان تقول ارى قوما لهم منظر وليس لهم مخبر وتقطع الكلام
وان تتبعه نحو قول ابن لنكك في شجر السرو منهم مثل له رواء
وما له ثمر وانظر في جميع ذلك الى المعنى في الحالة الثانية كيف يتزايد
شرفه عليه في الحالة الاولى ولذلك اسباب منها ما يحصل للنفس من
الانس باخراجها من خفي الى جلي كالاستئناس عما يحصل لها بالفكرة الى
ما تعلم بالفطرة او باخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته كما قيل ما الحب الا
للحبيب الاول او مما تعلمه الى ما هي به اعلم كالانتقال من المعقول الى
المحسوس فانك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ نحو ان تقول
وانت تصف اليوم بالقصر يوم كاقصر ما يتصور فلا تجد السامع
له من الانس ما يجده لنحو قولهم ايام كاباهيم القطا وقول الشاعر
ظللنا عند باب ابي نعيم بيوم مثل سالفة الذباب وكذا تقول
فلان اذا هم بالشيء لم يزل ذاك عن ذكره وقصر خواطره على امضاء

عزمه

عزمه فيه ولم يشغله عنه شيء ثم لا يصادف السامع اريحية حتى اذا
قلت اذا هم القى بين عينيه عزمه امتلأت نفسه سرورا
فادركته هزة لا يملك دفعها عنه ومن الدليل على ان للاحساس في
التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره انك اذا كنت انت وصاحب
لك يسعى في امر على طرف نهر وانت تريد ان تقول له انه لا يحصل من
سعيه على طائل فادخلت يدك في الماء ثم قلت له انظر هل حصل في
كفي من الماء شيء فكذلك انت في امرك كان لذلك ضرب من التأثير في
النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد ومنها الاستطراف
لما سيأتي ومن فضائل التشبيه انه يأتيك من الشيء الواحد
باشباه عدة نحو ان يعطيك من الزند بايرائه شبه الجواد والذكي
والنجح في الامور وباصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي
ومن القمر الكمال عن النقصان كما قال ابو تمام لهفي على تلك الشواهد
فيهما لو امهلت حتى تصير شمائلا لغدا سكونهما حجى وصباهما
حلما وتلك الاريحية نائلا ولا عقب النجم المرذ بديمة ولعاد
ذاك الطل جودا وابلا ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت ان
سيصير بدرا كاملا والنقصان عن الكمال كقول ابي العلاء المعري
وان كنت تبغي العيش فابغ توسطا فعند التناهي يقصر المتطاول

ثم تمحق البدور النقص وهي أهلة. ويدركها النقصان وهي كوامل
ويتفرع من حالتي كماله ونقصه فروع لطيفة كقول ابن بابك في الأستاذ
أبي علي وقد استوزره أبا العباس الضبي فخر الدولة بعد وفاة
ابن عباد: وأغرك شطر الملك تغرب كماله. والبدر في شطر
المسافة يكمل. وقول أبي بكر الخوارزمي: أراك إذا أيسرت خيمت
عندنا مقيما وإن أعسرت زرت لماما. فما أنت إلا البدر إن قل ضوؤه
أغب وإن زاد الضياء أقاما. المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة
على ما يجب لأن الإغباب أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه فإنما
يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل
يظهر في بعض الليالي دون بعض وليس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع
كل ليلة حتى يكون السرار وكذا ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه
وشعاعه نحو ما مضى من بيتي البحتري وإلى ظهوره في كل مكان كما في
قول أبي الطيب: كالبدر من حيث التفت رأيته. يهدي إلى عينيك
نورا ثاقبا. إلى غير ذلك ثم النظر في أركانه التشبيه وهي أربعة طرفاه
ووجهه وأداته وفي الغرض منه وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات أما
طرفاه فهما إما حسيان كما في تشبيه الخد بالورد والقد بالرمح والفيل
بالجبل في المبصرات والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات والنكهة بالعنبر

في المشمومات والريق بالخمر في المذوقات والجلد الناعم بالحرير في الملموسات
وإما عقليان كما في تشبيه العلم بالحياة وإما مختلفان والمعقول هو
المشبه كما في تشبيه المنية بالسبع أو بالعكس كما في تشبيه العطر بخلق
كريم والمراد بالحسي المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة
فدخل فيه الخيالي كما في قوله: وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد. وقوله: كلنا باسط اليد
نحو نيلوفر ندي كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد. والمراد بالعقلي
ما عدا ذلك فدخل فيه الوهمي أي ما هو غير مدرك بشيء من الحواس
الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها كما في قول امرئ القيس: ومسنونة
زرق كأنياب أغوال. وعليه قوله تعالى: طلعها كأنه رؤوس الشياطين
وكذا ما يدرك بالوجدان كاللذة والألم والشبع والجوع. وأما
وجهه فهو المعنى الذي يشتركان فيه تحقيقا أو تخييلا والمراد
بالتخييل أن لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل كما في قول القاضي
التنوخي: وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع. فإن
وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب
شيء مظلم أسود فهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل وذلك
أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي

في الظلمة فلا يهتدي الى الطريق ولا ينفصل الشيء من غيره فلا يامن ان
يتردى في مهواة او يعثر على عدو قاتل او آفة مهلكة شبهت بالظلمة
ولزم على عكس ذلك ان تشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور و
عليهما قوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وشاع ذلك حتى وصف
الصنف الاول بالسواد كما في قول القايل شاهدت سواد الكفر من جبين
فلان والصنف الثاني بالبياض كما في قول النبي عليه السلام اتيتكم بالحنيفية
البيضاء وذلك لتخيل ان السنة ونحوها من الجنس الذي له اشراق وابيضاض
في العين وان البدعة ونحوها على خلاف ذلك فصار تشبيه النجوم ما
بين الدجى بالسنن ما بين الابتداع كتشبيه النجوم في الظلام ببياض
الشيب في سواد الشباب او بالانوار موتلقة بين النبات الشديد
الخضرة فالتاويل فيه انه تخيل ما ليس بمتلون متلونا ويحتمل وجها آخر
وهو ان يتاول بانه اراد معنى قولهم ان سواد الظلام يزيد النجوم حسنا
فانه لما كان وقوف العاقل على عوار الباطل يزيد الحق نبلا في نفسه و
حسنا في مرآة عقله جعل هذا الاصل من المعقول مثالا للشاهد المبصر
هناك غير انه لا يخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر لان الظاهر ان يمثل
المعقول في ذلك بالمحسوس كما فعل البحتري في قوله وتزداد ها افراط
حسن جوارها خلائق اصفار من المجد خيب وحسن دراري الكواكب

ان تبدى طوالعه في داج من الليل غيهب ومن التشبيه التخييلي
قول ابي طالب الرقي ولقد ذكرتك والظلام كانه يوم النوى و
فواد من لم يعشق فانه لما كانت ايام المكاره توصف بالسواد
توسعا فيقال اسود النهار في عينه واظلمت الدنيا عليه وكان الغزل
يدعي القسوة على من لم يعشق والقلب القاسي يوصف بالسواد توسعا تخيل
يوم النوى وفواد من لم يعشق شيئين لهما سواد وجعلهما اعرف به واشهر من الظلام
فشبهه بهما وكذا قول ابن بابك وارض كاخلاق الكرام قطعتها
وقد كحل الليل السماك فابصرا فان الاخلاق لما كانت توصف
بالسعة والضيق تشبيها لها بالاماكن الواسعة والضيقة تخيل اخلاق
الكرام شيئا له سعة وجعلها اصلا فيها فشبه الارض الواسعة بها وكذا قول
التنوخي فانهض بنار الى فحم كانهما في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
فانه لما كان يقال في الحق انه منير واضح فيستعار له صفة الاجسام المنيرة
وفي الظلم خلاف ذلك تخيلهما شيئين لهما انارة واظلام فشبه النار والفحم
مجتمعين بهما مجتمعين وكذا ما كتب به الصاحب الى القاضي ابي الحسن وقد
اهدى له عطر الفطر يا ايها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقايه مشتاقه
اهديت عطرا مثل طيب ثنايه فكانما اهدى له اخلاقه فانه لما كان
الثناء يشبه بالعطر ويشتق له منه تخيله شيئا له رايحة طيبة وشبه العطر به

يتوهم انه اصل في الطيب واحق به منه وكذا قول الآخر ◦ كأن انتضاء البدر
من تحت غيمه ◦ نجاة من البأساء بعد وقوع ◦ فانه لما راى خلاص من في شدة
يشبه خروج البدر من تحت الغيم بالخسارة عنه قلب التشبيه ليريك انصور
النجاة من البأساء لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب اعرف من صورة انتضاء
البدر من تحت غيمه واذا علم ان وجه التشبيه هو ما يشترك فيه الطرفان
علم فساد جعله في قول القائل النحو في الكلام كالملح في الطعام كون القليل
مصلحا والكثير مفسدا لان القلة والكثرة انما يتصور جريانهما في الملح دون
ذلك بان يجعل منه في الطعام القدر المصلح او اكثر منه دون النحو فانه اذا
كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا فان وجد ذلك في الكلام فقد
حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه وصار منتفعا به في فهم المراد منه وان لم
حصل وكان فاسدا لا ينتفع به فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحا و
الاهمال مفسدا لا الاشتراك في ذلك ومما يتصل بهذا ما حكى ان ابن شرف
القيرواني انشد ابن رشيق قوله ◦ غيري جنى وانا المعاقب
فيكم ◦ فكأنني سبابة المتندم ◦ وقال له هل سمعت بهذا المعنى فقال ابن
رشيق نعم سمعته واخذته انت وافسدته اما الاخذ فمن النابغة
الذبياني حيث يقول ◦ لكلفتني ذنب امرئ وتركته ◦ كذي العر يكوى غيره
وهو راتع ◦ واما الافساد فلان سبابة المتندم اول شيء يتألم منه فلا يكون

المعاقب

المعاقب غير الجاني وهذا خلاف بيت النابغة فان المكوي من الابل
يتألم وما يعده البتة وصاحب العر لا يتألم جملة وهو اما غير خارج عن حقيقة
الطرفين او خارج والاول اما تمام حقيقتهما كما في تشبيه انسان بانسان
في كونه انسانا او جزءها كما في تشبيه بعض الحيوانات العجم بالانسان في كونه حيوانا
والثاني صفة حقيقية او اضافية والحقيقية اما حسية وهي الكيفيات الجسمية
مما يدرك بالبصر من الالوان والاشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها
من الحسن والقبح وغير ذلك او بالسمع من الاصوات الضعيفة والقوية والتي بين
بين او بالذوق من انواع الطعوم او بالشم من انواع الروائح او باللمس من
الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين
والصلابة والخفة والثقل وما يتصل بهما واما عقلية كالكيفيات النفسانية
من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقوة والكرم والسخاء والحلم والغضب
وما جرى مجراها من الغرائز والاخلاق والاضافية كازالة الحجاب في تشبيه
الحجة بالشمس ◦ تقسيم آخر باعتبار آخر وجه التشبيه اما واحد
او غير واحد والواحد اما حسي او عقلي وغير الواحد اما بمنزلة الواحد لكونه مركبا
من امرين او امور او متعدد غير مركب والمركب اما حسي او عقلي والمتعدد
اما حسي او عقلي او مختلف والحسي لا يكون طرفاه الا حسيين لامتناع ان يدرك
بالحس من غير الحسي شيء والعقلي طرفاه اما عقليان او حسيان او مختلفان

من الكتب التي [illegible] الفقير الى الله ربه ذي المواهب محمد المدعو بابن الصدر [illegible]

الجواب ان يدرك بالعقل من الحسي شئ ولذلك قال التشبيه بالوجه العقلي
اعم من التشبيه بالوجه الحسي قال السكاكي وههنا نكتة لا بد من
التنبيه لها وهي ان التحقيق في وجه الشبه يابى ان يكون غير عقلي
وذلك انه متى كان حسيا وقد عرفت انه يجب ان يكون موجودا في
الطرفين وكل موجود فله تعين فوجه الشبه مع المشبه متعين يمتنع
ان يكون هو بعينه موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المتعين
ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ونحكم البديهة على امتناعه ان
شيئا يعرا استلزامه اذا عين حمرة الخد دون حمرة الورد او
بالعكس كون الحمرة معروضة موجودة مقابل يكون مثله في المشبه به
لكن المثلين لا يكونان شيئا واحدا ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت
واحد فيلزم ان يكون امرا كليا ماخوذا من المثلين بتجريدهما عن التعين
لكن ما هذا شانه فهو عقلي ويمتنع ان يقال المراد بوجه الشبه حصول المثلين
في الطرفين فان المثلين مشتبهان فيهما وجه تشبيه فان كان عقليا
كان المرجع في وجه الشبه العقلي في المال وان كان حسيا استلزم ان يكون مع
المثلين مثلان آخران وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما و
يلزم التسلسل هذا لفظه ويمكن ان يقال المراد بكونه حسيا ان يكون
افراده مدركة بالحس كالسواد فان افراده مدركة بالبصر وان كان هو

هو في نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس الواحد الحسي كالحمرة في
الكل وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس في تشبيه الخد بالورد
(اي خفاء الصوت)
والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والريق بالخمر والجلد الناعم
بالحرير كما سبق والواحد العقلي كالعراء عن الفائدة في تشبيه
وجود الشئ العديم النفع بعدمه وجهة الادراك في تشبيه العلم بالحيوة
فيما طرفاه معقولان والجراءة في تشبيه الرجل الشجاع بالاسد ومطلق
الاهتداء في تشبيه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالنجوم فيما طرفاه محسوسان
والهداية في تشبيه العلم بالنور والحصيلة ما بين الزيادة والنقصان في
تشبيه العدل بالقسطاس فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس و
استطابة النفس في تشبيه العطر بخلق كريم وعدم الخفاء في تشبيه النجوم
بالسنن فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول قال صاحب المفتاح
وفي اكثر هذه الامثلة في معنى ما وصفت بها تسامح والمركب الحسي طرفاه اما
مفردان كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص
في قول ذي الرمة وسقط كعين الديك عاورت صاحبي اباها وهيانا
لموقعها وكرا وكالهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة
الصغار المقادير في المراى على الكيفية المخصوصة الى المقدار المخصوص في قول
احيحة بن الجلاح وقيس بن الاسلت وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى

كعنقود ملاحية حين نورا وإما مركبان كالهيئة الحاصلة من هوي
أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء
مظلم في قول بشار كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل
تهاوى كواكبه وكالهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة
صغار المقادير في المرأى على سطح جسم أزرق صافي الزرقة في قول
أبي طالب الرقي وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط
أزرق وإما مختلفان كما في تشبيه الشاة الجبلي بحمار أبتر مشقوق
الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا وكما مر في تشبيه الشقيق
والنيلوفر ومن بديع هذا النوع أعني المركب الحسي ما يجيء في الهيئات
التي تقع عليها الحركة ويكون على وجهين أحدهما أن يقترن بالحركة غيرها
من أوصاف الجسم كالشكل واللون كما في قوله والشمس كالمرآة في كف
الأشل من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة
المتصلة مع ما يحصل في الإشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب
حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة
ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي بدأه إلى انقباض كأنه يرجع من الجوانب
إلى الوسط فإن الشمس إذا أحد الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها
وجدها مؤدية لهذه الهيئة وكذا المرآة إذا كانت في يد الأشل

قول المهلبي الوزير والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها
حاجب كأنها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب فإن
البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها في الاستدارة
وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة كأنه يهم بأن ينبسط حتى
يفيض من جوانبها لما في طبعه من النعومة ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض
لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ولذلك لا يقع فيه غليان
على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء وكما في قول الصنوبري
كأن في غدرانها حواجبا ظلت تمط أراد ما يبدو في صفحة الماء
من أشكال كأنصاف دوائر صغار ثم تمتد امتدادا ينقص من انحنائها
فينقلها من التقويس إلى الاستواء وذلك أشبه شيء بالحواجب إذا امتدت
لأن للحاجب انحناء وتقويسا ومده ينقص من تقويسه والوجه الثاني
أن تجرد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم فهناك أيضا لا بد من اختلاط
حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه
إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفل فحركة الرحى والدولاب والسهم
لا تركيب فيها لاتحاد الحركة وحركة المصحف في قول ابن المعتز وكأن البرق
مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا فيها تركيب لأنه يتحرك في الحالتين
إلى جهتين في كل حالة إلى جهة وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاضه

الجسم الى جهة شدة التركيب في هيئة المتحرك اكثر ومن لطيف ذلك قول
الاعشى يصف السفينة في البحر وتقاذف الامواج بها يكفّ السفين
بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع قال الشيخ عبد القاهر الرباح الفصيل
والكرع ماء السماء شبّه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل
في نزوه فانه يكون له حركات متفاوتة يصير لها اعضاؤه في جهات مختلفة
ويكون هناك تسفّل وتصعّد على غير ترتيب وبحيث تدخل اعضاؤه في الآخر
فلا يتبيّنها الطرف مرتفعة ثم بانخفاضه متسفلا وذلك اشبه شيء بحال السفينة و
هيئة حركتها حين يتدافعها الامواج ومنه قول الآخر حُفّت بسرو كالقيان
تلحّفت خضر الحرير على قوام معتدل فكأنها والريح جاء يميلها تبغي
التعانق ثم يمنعها الخجل فان فيه تفصيلا دقيقا وذلك انه راعى الحركتين
حركة التهيؤ للدنو والعناق وحركة الرجوع الى اصل الافتراق وادّى ما
يكون في الثانية من سرعة تابرة تادية لطيفة لان حركة الشجرة المعتدلة
في حال رجوعها الى اعتدالها اسرع لا محالة من حركتها في حال خروجها عن مكانها
من الاعتدال وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع اسرع من حركة من يهمّ بالدنو
لان ازعاج الخوف اقوى بالامن من ازعاج الرجاء وقام منه السهل الممتنع من
هذا الضرب قول امرئ القيس مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر
حطّه السيل من عل تقول ان هذا الفرق لفرط ما فيه من لين الراس وسرعة

الانحراف

الانحراف يُرى كفله في الحال التي يُرى فيها لببه وهو كجلمود صخر حطّه السيل
من مكان عال فان الحجر بطبعه يطلب جهة السفل لانها مركزه فكيف اذا اعانته
قوة دفع السيل من علٍ فهو لسرعة تقلّبه يُرى احد وجهيه حين يُرى الآخر وكما
يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون فمن لطيفه ذلك قول المتنبي
في صفة الكلب يُقعي جلوس البدوي المصطلي انما لطفه من حيث كان لكل
عضو من الكلب في اقعائه موقع خاص وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع
وكذا البيت الثاني من قول الآخر في صفة مصلوب كأنه عاشق قد مدّ صفحته
يوم الوداع الى توديع مرتحل او قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطّيه من
الكسل والتفصيل فيه انه شبّهه بالمتمطي اذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه
وهو اللوثة والكسل [illegible] للجهات الثلاث والوافقة على انه كالمتمطي كان
قريب التناول لان هذا النوع يقع في نفس الرائي للمصلوب ابتداء لانه من
باب الجملة وشبيه بهذا قول الآخر لم أر صفًّا مثل صفّ الزّطّ تسعين منهم
صُلبوا في خطّ من كل عال جذعه بالشطّ كأنه في جذعه المشتطّ اخو نعاس جدّ في
التمطّي قد خامر النوم ولم يغطّ والفرق بين هذا والاول ان الاول اصرح في
الاستدلال على الهيئة والاستدامة لعادة وابدع في الصفة غاية ما يمكن ان يكون
عليها والثاني بالعكس قال الشيخ عبد القاهر وشبيه بها في الاولية الاستقصاء قول
ابن الرومي في المصلوب ايضا كأن له في الجو حبلا يبوعه اذا ما انقضى حبل أتيح

له ضيق فقوله اذا ما انقضى حبل اتيح له حبل كقوله مواصل للتعطية من الكسل في
التشبيه على استقامة الشبه لانه اذا كان لا ينقطع حبل لم ينقبض باعثه
ولم يرسل يده وعُدّ ذلك في تشبيه المصلوب على الاتصال او المركب العقلي كالمنتزع
المطلع من الحبة الموصل الذي هو على عكس ما تقدم في قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه
حسابه شبه ما يعمله من لا يقرن الايمان المعتبر بالاعمال التي يحسبها تنفعه عند الله
وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر
بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد
الساهرة وجه الارض صحاح
زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق فهو
كما ترى منتزع من امور مجموع بعضها الى بعض وذلك انه روعي من الكافر فعل مخصوص
وهو حسبان الاعمال نافعة وان يكون للاعمال صورة مخصوصة وهي صورة
الاعمال الصالحة التي وعد الله بالثواب عليها بشرط الايمان به وبرسله وانها لا تنفع
في العاقبة شيئا وانهم يلقون فيها عكس ما املوه وهو العذاب الاليم وكذا في جانب
المشبه به الحرمان الانتفاع بابلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه في قوله تعالى مثل
الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فانه ايضا منتزع من امور
مجموعة قرن بعضها الى بعض وذلك انه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وان
يكون المحمول شيئا مخصوصا وهو الاسفار التي هي اوعية العلوم وان الحمار جاهل

بما فيها

بما فيها وكذا في جانب المشبه واعلم انه قد يقع بعد اداة التشبيه امور يظن
ان المقصود امر منتزع من بعضها فيقع الخطا لكون المراد منتزعا من مجموعها كقوله
كما ابرقت قوما عطاشا غمامة فلما راوها اقشعت وتجلت فانه ربما يظن
ان الشطر الاول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به الى الثاني على ان المقصود
به ظهور امر مطمع لمن هو شديد الحاجة اليه ولكن بالتامل يظهر ان مغزى الشاعر
في تشبيهه ان يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء مؤيس وذلك يتوقف على
البيت كله فان قيل هذا يقتضي ان يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا زيد
يصفو ويكدر تشبيها واحدا لان الاقتصار على احد الجزئين يبطل الغرض من الكلام
لان الغرض منه وصف المخبر عنه بانه يجمع بين الصفتين وانى يصح الاقتصار قلنا
الفرق بينهما ان الغرض في البيت ان يثبت ابتداء مطمع متصل بانتهاء مؤيس
كما مر وكون الشيء ابتداء للآخر زائد على الجمع بينهما وليس في قولنا زيد يصفو ويكدر ما كان
من الجمع بين الصفتين ونظير البيت قولنا يكدر ثم يصفو لافادة ثم الترتيب
المقتضي ربط احد الوصفين بالآخر وقد ظهر بما ذكرنا ان التشبيهات المجتمعة
تفارق التشبيه المركب في مثل ما ذكرنا بامرين احدهما انه لا يجب فيها ترتيب
والثاني انه اذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في افادة ما كان يفيده قبل الحذف
فاذا قلنا زيد كالاسد باسا والبحر جودا والسيف مضاء لا يجب ان يكون لهذه
التشبيهات نسق مخصوص بل لو قدم التشبيه بالبحر او التشبيه بالسيف

جاز ان تسقط واحدا من الجملة لم يتغير حال الغرض في افادة معناه والمتعدد
الحسي كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة باخرى والمتعدد العقلي كحدة
النظر وكمال الحذر واخفاء السفاد في تشبيه طاير بالغراب والمتعدد المختلف
السفاد نزو الذكر على الانثى
كحسن الطلعة ونباهة الشان في تشبيه انسان بالشمس واعلم ان الطريق في
اي شرفه واشتهاره وهو عقلي
اكتساب وجه الشبه ان يعتبر عداه فاذا اردت ان تشبه جسما بجسم في هيئة
حركة وجب ان تطلب الوفاق بين الهيئتين من جهة تبين عن الجسم وسائر ما فيه
من اللون وغيره كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق فانه لم ينظر الى شيء من اوصافه
سوى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض واما اداته فالكاف
في نحو قولك زيد كالاسد وكان في نحو قولك زيد كانه اسد او كان زيدا الاسد ومثل
في نحو قولك هو مثل الاسد وما في معنى مثل كلفظة نحو وما يشتق من لفظة مثل
وشبه ونحوهما والاصل في نحو الكاف ان يليها المشبه به وقد يليها غيره لا تأتي
التشبيه به وذلك اذا كان المشبه به مركبا كقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه
الرياح اذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره بل
المراد تشبيه حالها في نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال
النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن واما قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله فليس

منه لان المعنى كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين
قال لهم من انصاري الى الله وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه كعلمت
في قولك علمت زيدا اسدا ونحوه هذا اذا قرب التشبيه فان
بعد ادنى تبعيد قيل خلته وحسبته ونحوهما واما الغرض من
التشبيه فيعود في الاغلب الى المشبه وقد يعود الى المشبه به اما
الاول فيرجع الى وجوه مختلفة منها بيان ان وجود المشبه ممكن وذلك
في كل امر غريب يمكن ان يخالف فيه ويدعى امتناعه كما في قول ابي الطيب
فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال اراد
انه فاق الانام في الاوصاف الفاضلة الى حد بطل ان يكون
منهم بل صار نوعا آخر براسه اشرف من الانسان وهذا اغراب ان
بتناهي بعض افراد النوع في الفضايل الى ان يصير كانه ليس منها
امر غريب يفتقر من يدعيه الى اثبات جوازه وجوده على الجملة حتى يجيء
الى اثبات وجوده في الممدوح فقال فان المسك بعض دم الغزال ولا يعد في
الدماء لما فيه من الاوصاف الشريفة التي لا يوجد شيء منها في الدم وخلوه
من الاوصاف التي بها كان الدم
دما فما بان ان لما ادعى اصلا في الوجود على الجملة ومنها بيان حاله كما في تشبيه
ثوب بثوب آخر في السواد اذا علم لون المشبه به دون المشبه ومنها بيان

مقدار وحاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان كما في قوله مداد
مثل خافية الغراب عليه قول الآخر فاصبحت من ليلى الغداة كقابض
على الماء خانته فروج الاصابع اي بلغت في بواب سعي في الوصول اليها
وان امتنع بها اقصى الغايات حتى لم احظ منها بما قل ولا بما كثر ومنها
تقريره حاله في نفس السامع كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن
يرقم على الماء وعليه قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة فانه يبين ما لم
تجر به العادة بما جرت به العادة وهذه الوجوه تقتضي ان يكون وجه الشبه
في المشبه به اتم وهو به اشهر ولهذا ضعف قول البحتري على باب قنسرين
والليل لاطخ جانبيه من ظلمة بمداد فاندرت مداد فانقا اللون والليل
بالسواد اشد ناصع واحرى ولهذا قال ابن الرومي جنبه ابي حفص لعاب
الليل يسيل للاخوان اي سبيل فبالغ في وصف الحبر بالسواد حتى
شبهه بالليل وكانه نظر الى قول العامة في الشيء الاسود هو كنفس المداد ثم
تركه للقافية الى المداد ومنها تزيينه للترغيب فيه كما في تشبيه وجه
اسود بمقلة الظبي ومنها تشويهه للتنفير عنه كما في تشبيه وجه مجدور
بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة وقد اشار الى هذين القاضي ابن الرومي
الرومي في قوله تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان تشأ قلت ذا قيء
الزنابير ومنها استطرافه كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك

موجه الذهب لابرازه في صورة الممتنع عادة وللاستطراف وجه
آخر وهو ان يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن اما مطلقا كما مر
واما عند حضور المشبه كما في قوله ولازوردية تزهو بزرقتها بين
الرياض على حمر اليواقيت كانها فوق قامات ضعفن بها اوائل النار
في اطراف كبريت فان صورة اتصال النار باطراف الكبريت لا يندر حضورها
في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب وانما النادر حضورها
عند حضور صورة البنفسج فاذا احضر مع صحة الشبه استطرف
لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناداهما وعما يقوي به هذا ما يحكى
ان جريرا قال انشدني عدي عرف الديار توهما فاعتادها فلما
بلغ المعولة تزجي اغن كان ابرة روقه رحمته وقلت قد وقع ما عساه
يقوله وهو اعرابي جلف جاف فلما قال قلم اصاب من الدواة مدادها
استحالت الرحمة حسدا فهل كانت الرحمة في الاولى والحسد في الثانية الا
لانه راه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له اول الفكر شبهه وحين
اتمه صادفه قد ظفر باقرب صفة من ابعد موصوف وذكر الشيخ عبد
القاهر للاستطرافة في تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجها آخر وهو انه
اراك شبها لنبات غض يرف واوراق رطبة من لهب نار في جسم مستول
عليه اليبس ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على ان الشيء اذا ظهر من مكان

ايقعد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت
صبابة النفوس به اكثر وكان الشغف اجدر واما الثاني فيكون في
الغالب بيانا ان المشبه به اتم من المشبه في وجه الشبه وذلك في الحاصل المشبه به
وهو عود الغرض
التشبيه المقلوب وهو ان يكون الامر بالعكس كقول محمد بن وهيب و
بدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح فانه قصد ايهام ان
الغرض بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم واستعير
وجه الخليفة اتم من الصباح في الوضوح والضياء واعلم ان هذا ولسان القبح
اي كان في الظاهر يشبه قولهم لا ادري اوجهه انور ام الصبح وغرته
اضوء ام البدر وقولهم اذا افرط نور الصباح خفي في ضوء وجهه او نور
الشمس وقس من نور جبينه ونحو ذلك من وجوه المبالغة فان في الاول
جبينه
خلابة وشيئا من السحر ليس في الثاني وهو كانه يستكثر للصباح ان يشبه
بوجه الخليفة ويوهم انه احتشد له واجتهد في تشبيه يفخم به امره فيوقع المبالغة
في نفسك من حيث لا تشعر ويفيدكها من غير ان يظهر ادعاؤه لها لانه وضع
كلامه من يقيس على اصل متفق عليه لا يشفع من خلاف مخالف وتهكم متهكم
والمعاني اذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من التردد
عجيب فكانت لها نعمة لا يكدرها المنة وكالغنيمة من حيث لا تحتسب في
نفس
قوله حين يمتدح فائدة شريفة وهي الدلالة على اتصاف الممدوح بالاوجد
الاتم وهو كامل في الكرم من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه
ويعظم شانه عند الحاضرين بالاصغاء اليه والارتياح له

وقصد

وقصد من تعظيم شانه في عيون الناس بالاصغاء اليه والارتياح له والدلالة
بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده ومنه قوله تعالى حكاية عن
اي ومن التشبيه المقلوب
مستحلي الربوا انما البيع مثل الربوا فان مقتضى الظاهر ان يقال
انما الربوا مثل البيع اذ الكلام في الربوا لا في البيع فخالفوا فجعلوا الربوا
في الحل اقوى حالا من البيع واعرف به ومنه قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق
فان مقتضى الظاهر العكس لان الخطاب للذين عبدوا الاوثان وسموها
آلهة تشبيها بالله سبحانه فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف في
خطابهم لانهم بالغوا في عبادتها وغلوا حتى صارت عندهم اصلا في
العبادة والخالق سبحانه فرعا فجاء الانكار على وفق
ذلك وقال السكاكي عندي ان المراد بمن لا يخلق الحي العالم القادر من
الخلق تعريضا بانكار تشبيه الاصنام بالله تعالى في قوله افلا تذكرون
تنبيه توبيخ عليه ونحوه قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه بدل
عليه بالغ الانكار
ارايت من اتخذ هواه الهه وقد يكون الغرض العايد الى المشبه به بيان
الاهتمام به كتشبيه الجايع وجها كالبدر في الاشراق والاستدارة
بالرغيف اظهارا للاهتمام بشان الرغيف على وهذا يسمى اظهار المطلوب
قال السكاكي وهو لا يحسن المصير اليه الا في مقام الطمع في تيسر المطلوب كما حكي
اي تسهل
عن الصاحب ان قاضي سجستان دخل عليه فوجده الصاحب متفننا فاخذ

يحدحه قال وعلم بغرض مالبحتري واشار الندماء ان ينظموا
على اسلوبه ففعلوا واحرا بعد واحد الى ان انتهت النوبة الى شريف
في البين فقال الشهي الى النفس من الخبر فامر الصاحب ان يقدم له مايدة
هذا الكله اذا ادى الحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة او ادعاء بالزايد
فانا اريد مجرد الجمع بين الشيئين في امر فالاحسن ترك التشبيه الى الحكم
بالتشابه ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح
احد المتساويين على الآخر كقول ابي اسحق الصابي تشابه دمعي اذ جرى
ومدامتي فمن مثل ما في الكاس عيني تسكب فوالله ما ادري ابالخمر
اسبلت جفوني ام من عبرتي كنت اشرب وكقول الآخر رق الزجاج
ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانه خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر
ويجوز التشبيه ايضا كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة
الفرس متى اريد ظهور منير في مظلم اكثر منه وتشبيه الشمس بالمراة المجلوة
او الدينار الخارج من السكة كما قال وكان الشمس المنيرة دينار جلته
حدايد الضراب وتشبيه المراة المجلوة او الدينار الخارج من السكة
بالشمس متى اريد استدارة متلالي متضمن لخفوض في اللون وان
عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ونور الشمس ونور المراة
والدينار وبين الجرمين فانه ليس شي من ذلك بمنظور اليه في التشبيه

وعلى

وعلى هذا او ورد تشبيه الصبح في الظلام بعلم ابيض على ديباج اسود في
قول ابن المعتز والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز
غير مرقوم فانه تشبيه حسن مقبول وان كان التفاوت في المقدار بين
الصبح والطراز في الامتداد والانبساط شديدا واما تقسيم
التشبيه باعتبار طرفيه اربعة اقسام الاول تشبيه المفرد بالمفرد
وهو ما طرفاه مفردان اما غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد ونحوه
وقوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فان قلت ما وجه التشبيه
في الآية قلت جعله الزمخشري حسيا فانه قال لما كان الرجل والمراة
يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس
المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت
عليه لباسا وقيل شبه كل واحد منهما باللباس للآخر لانه يصونه من
الوقوع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة واما مقيدان
كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شي هو كالقابض على الماء وكالراقم
في الماء فان المشبه هو الساعي لا مطلقا بل مقيدا بكون سعيه كذلك
والمشبه به هو القابض او الراقم لا مطلقا بل مقيدا بكون قبضه
على الماء او رقمه فيه لان وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل
وعدمه في عدم الفائدة والقبض على الماء والرقم فيه كذلك لا فايدة

فصل

قبض اليد على الشيء الذي يحصل فيها فاذا كان مما لا ينماسك فقبضها
عليه وعدمه سواء وكذلك القصد بالرقم في الشيء ان يبقى اثره فيه
فاذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه فالقيد في هاتين الصورتين
هو الجار والمجرور ونحوها قولهم هو كمن يجمع سيفين في غمد وقولهم
هو كمبتغي الصيد في عرّيسة الاسد وقد يكون حالا كقولهم هو
كالحادي وليس له بعير ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر
اني وتزييني بمدحي معشرا * كمعلّق درّا على خنزير
فان المشبه فيه هو المتكلم مقيدا باتصافه بتزيينه بمدحه معشرا متعلق التزيين اعني قوله
بمدحي واصل في المشبه والمشبه به من يعلق درا مقيدا ان يكون تعليقه
اياه على خنزير فالشبه ماخوذ من مجموع المصدر وما في صلته وهو ان
كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها اثر لان الشيء غير قابل للتزيين
والواو في قوله وتزييني بمعنى مع اذ لا يمكن ان يقال اني كذا وان تزييني
كذا لانه ليس معنا شيئان يكون احدهما خبرا عن ضمير المتكلم والآخر عن
تزييني لا يقال تقديره اني كمعلق درا على خنزير وان تزييني بمدحي معشرا
كتعليق در على خنزير لانه لا يتصور ان يشبه المتكلم نفسه من حيث هو هو
بمعلق در على خنزير بل لا بد وان
يكون باعتبار تزيينه بمدحه معشرا او اما تخلفان و المقيد

هو

اي احدهما مفرد والآخر مقيد

هو المشبه به كقوله والشمس كالمرآة في كف الاشل فان المشبه
هو الشمس على الاطلاق والمشبه به هو المرآة لا على الاطلاق بل
مقيدا بكونها في يد الاشل او على عكسه ذلك كتشبيه المرآة في كف الاشل
بالشمس الثاني تشبيه المركب بالمركب في ما طرفاه كثيران مجتمعان
كما في قول البحتري تري اجاله يصعدن فيه * صعود البرق في
الغيم الجهام * لا يريد به تشبيه سياض الحجول على الانفراد بالبرق
بل مقصوده الهيئة الحاصلة من مخالطة احد اللونين بالآخر وكذلك
المقصود في بيت بشار ولذلك وجب الحكم بان اسيافنا في حكم
الصلة للمصدر ونصب الاسياف لا يمنع من تقدير الاتصال لان الواو
فيها بمعنى مع كقولهم لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها ومما نبتة
على ذلك ان قوله تهاوى كواكبه جملة وقعت صفة لليل لان الكواكب
مذكورة على سبيل التبع لليل ولو كانت مستبدة بشانها لقال ليل
وكواكب واما بيت امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي فهو على خلاف هذا لان
احد الشيئين فيه في الطرفين معطوف على الآخر اما في طرف المشبه به
فبيّن واما في طرف المشبه فلان الجمع المتفق كالعطف في الحالين
فاجتماع شيئين او اشياء في لفظ تثنية او جمع لا يوجب ان احدهما

الخاتم

او اصعدها في حكم التابع للآخر كما يكون ذلك اذا جرى الثاني صفة
للاول او حالا منه او ما اشبه ذلك وقد صرح بالعطف في ما اجراه
بيانا له من قوله رطبا ويابسا وبعد المشبه فيه باعتبار احدهما مالا
تشبيه كل جزء من احد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقوله غدا و
الصبح تحت الليل باد كطرف اشهب ملقى الجلال فان الجلال
فيه في مقابلة الليل ولو شبه بعلم يكن شيئا وكقول الآخر كانما المريخ
والمشتري قدامه في شامخ الرفعة منصرف بالليل عن دعوة
قد اسرجت قدامه الشمعة فان المريخ في مقابلة المنصرف عن الدعوة
ولو قيل كان المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان خلفا من القول و
الثاني ما يصح تشبيه كل جزء من اجزاء احد طرفيه بما يقابله من اجزاء
الطرف الآخر غير ان الحال تتغير ومثاله قوله وكان اجرام
النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق فانه لو قيل
كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان تشبيها
صحيحا لكن اين من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملأ القلوب
سرورا وعجبا من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة في اديم السماء
وهي زرقاء زرقتها الصافية الثالث تشبيه المفرد
بالمركب كما مر من تشبيه الشاة الجبلي والشقيق و النيلوفر

النيلوفر الرابع تشبيه المركب بالمفرد كقول ابي تمام يا صاحبيّ
تقصّيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصوّر تريا نهارا مشمسا
قد شابه زهر الربى فكانما هو مقمر يعني ان النبات من شدة
خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه الى السواد فنقص من ضوء
الشمس حتى صار كضوء القمر وايضا ان تعدد طرفاه فهو اما ملفوف
او مفروق والملفوف ما اتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما كقول امرئ
القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب و
الحشف البالي والمفروق خلاف ذلك كقول المرقش
الاكبر النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم ومنه
قول ابي الطيب بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت
غزالا وان تعدد طرفه الاول اعني المشبه دون الثاني سمي تشبيه
التسوية كقول الآخر صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي و
ثغره في صفاء وادمعي كاللآلي وان تعدد طرفه الثاني اعني المشبه به
دون الاول سمي تشبيه الجمع كقول البحتري كانما يبسم عن لؤلؤ
منضد او برد او اقاح ومثله قول امرئ القيس كان المدام و
صوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر يعل به برد انيابها

اذا طربت الطاير المستحن الآن فيه شوها مثل العقد المذهبة الاخضاع

واما باعتبار وجه فلثلث تقسيمات تمثيل وغير تمثيل ومجمل ومفصل

وقريب وبعيد التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد امرين او امور وقيده

السكاكي بكونه غير حقيقي ومثل بصور مثل بها غيره ايضا منها قول ابن

المعتز اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله فالنار تأكل نفسها

ان لم تجد ما تأكله فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته مع تطلبه اياها

لينال بها نفثة مصدور بالنار ولم تمد بالحطب امر غير حقيقي

منتزع من متعدد وهو اسراع الفناء لانقطاع ما به مدد البقاء ومنها

قول صالح بن عبد القدوس وان من ادبته في الصبا كالعود يسقى الماء

في غرسه حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذي ابصرت من يبسه فان تشبيه المؤدب

في صباه بالعود المسقى اوان غرسه فيما يلزم كلا من كون المؤدب في صباه

مهذب الاخلاق وحميد الفعال لتاديبه المصادف وقته وكون العود المسقى

اوان غرسه مونقا باوراقه ونضرته لسقيه المصادف وقته من تمام الميل

وكمال الاستحسان بعد ظلام ذلك ومنها قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا

فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان تشبيه

حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الاية في امر غير حقيقي منتزع

من متعدد وهو الطمع في حصول المطلوب لمباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان

والخيبة لانقلاب الاسباب وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك كما سبق في

الامثلة المذكورة والمجمل ما لم يذكر وجهه فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل احد حتى

العامة كقولنا زيد اسد اذ لا يخفى على احد ان المراد به التشبيه في الشجاعة

دون غيرها ومنه ما هو خفي لا يدركه الا من له ذهن يرتفع به عن طبقة

العامة كقول من وصف بني المهلب للحجاج لما سأله عنهم وايهم انجد

كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها اى لتناسب اصولهم

وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم افضل منه

كما ان الحلقة المفرغة لتناسب اجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها

وسطا هكذا نسبه الشيخ عبد القاهر الى من وصف بني المهلب

ونسبه الزمخشري الى الانمارية قيل هي فاطمة بنت الخرشب سئلت عن

بنيها ايهم افضل فقالت عمارة لا بل فلان لا بل فلان ثم قالت ثكلتهم

ان كنت اعلم ايهم افضل كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها وايضا منه

ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به كالمثال الاول ومنه ما ذكر فيه وصف

المشبه به وحده كالمثال الثاني ونحوه قول زياد الاعجم وانا وما تلقي لنا

ان هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق وكذا قول النابغة الذبياني

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب ومنه

ما ذكر فيه وصف كل واحد منهما كقول ابي تمام صدفت عنه ولم تصدف مواهبه

عن وعاوده ظلم كلم جنب كالغيث ان جيئته وافاك ريقه وان
ترحلت عنه لج في الطلب والمفصل ما ذكر وجهه كقول ابن الرومي
يا شبيه البدر في الحسن وفي بعد المنال جد فقد تنفجر الصخرة بالماء
الزلال وقول ابي بكر الخالدي يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا
وشبيه الغصن لينا وقواما واعتدالا انت مثل الورد لونا
ونسيما وملالا زارنا حتى اذا ما سرنا بالقرب زالا وقد يتسامح
بذكر ما يستتبعه مكانه كقولهم في صفة الالفاظ اذا وجدوها لا
تثقل على اللسان لتنافي حروفها او تكرارها ولا تكون غريبة وحشية
تستكره لكونها غير مالوفة ولا متماثلة بتعسفه لانها على معانيها هي
كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة وقولهم في
الحجة اذا كانت معلومة الاجزاء يقينية التاليف بينة الاستلزام
للمطلوب هي كالشمس في الظهور والجامع في الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل
الطبع ولازم السلاسة والرقة وهو افادة النفس نشاطا وروحا ولازم
الظهور وهو ازالة الحجاب فان شان النفس مع الالفاظ الموصوفة بتلك
الصفات كشانها مع العسل الذي يلذ طعمه فتهش النفس له ويميل الطبع
اليه ويحب وروده عليه وكشانها مع الماء الذي يسوغ في الحلق ومع
النسيم الذي يسري في البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه فيفيد ا

النفس نشاطا وروحا وشانها مع الشبهة التي تمنع القلب ادراك ما
هي شبهة فيه كشانها مع الحجاب الحسي الذي يمنع ان يرى ما يكون وراءه
ولذلك توصف بانها اعترضت دون الذي يروم القلب ادراكه قال
السكاكي وتسامحهم هذا لا يقع الا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباري
كالذي نحن فيه واقول يشبه ان يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه
ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا انتهى كلامه والقريب المبتذل
وهو ما ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور
وجهه في بادي الراي بسبب ظهوره امران الاول كون الشبه امرا
جمليا فان الجملة اسبق ابدا الى النفس من التفصيل الا ترى ان الرؤية
لا تصل في اول امرها الى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل
ولذلك قيل النظرة الاولى حمقاء وفلان لم ينعم النظر وكذا سائر
الحواس فانه يدرك من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم
يدرك في الاولى ثم يروم التفصيل لكن بتمييز الشيء من بين جملة
بل مع تمييزه عما اختلط به ومتى يروم الاجمال لكن يريد اخذ الشيء جزافا
وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى الجمل ابدا تسبق الى الذهن والتفاصيل
مغمورة فيها لا تحضر الا بعد اعمال الروية والثاني كونه قليل التفصيل
مع غلبة حضور المشبه به في الذهن اما عند حضور المشبه لقرب المناسبة

بينها

بينها كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالاجاصة في الشكل والمقدار
او الجرة الصغيرة بالكوز كذلك واما مطلقا لتكرره على الحس كما من في
تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة في الاستدارة والاستنارة فان
قرب المناسبة والتكرر كل منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال
والبعيد الغريب وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به الا بعد فكر
لخفاء وجهه في بادي الراي وسبب خفائه امران احدهما كثرة التفصيل
كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الاشل فانه مما لا يكاد الهيئة لا
يقوم في نفس الرائي للمرآة الدائمة الاضطراب الا ان يستانف
تاملا ويكون في نظره متمهلا والثاني ندور حضور المشبه به في الذهن
اما عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كما تقدم من تشبيه البنفسج
بنار الكبريت واما مطلقا لكونه وهميا او مركبا خياليا او مركبا عقليا كما في
تشبيه نصال السهام بانياب الاغوال وتشبيه الشقيق باعلام
ياقوت منشورة على رماح من زبرجد وتشبيه مثل احبار اليهود في حمل
الحمار يحمل اسفارا او لقلة تكرره على الحس كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة
في يد الاشل فانه ربما يقضي الرجل دهره ولا يتفق له ان يرى مرآة في يد
الاشل فالغرابة في هذا التشبيه من الوجهين والمراد بالتفصيل ان تنظر
في اكثر من وصف واحد لشيء واحد او اكثر وذلك يقع على وجوه كثيرة والاغلب

الاعرف

الاعرف منها وجهان احدهما ان تاخذ بعضا وتدع بعضا كما فعل امرؤ
القيس في قوله حملت ردينيا كان سنانه سنا لهب لم يتصل
بدخان ففصل السنا عن الدخان واثبته مفردا والثاني ان تعتبر الجميع
كما فعل الآخر في قوله وقد لاح في الصبح الثريا لمن راى كعنقود ملاحية
حين نورا فانه اعتبر من الانجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها
على المسافة المخصوصة في القرب ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنور
من الملاحية وكلما كان التركيب من امور اكثر كان التشبيه ابعد وابلغ
كقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها
حصيدا كان لم تغن بالامس فانها عشر جمل اذا فصلت وهي وان ادخل
بعضها في بعض حتى صارت كانها جملة واحدة فان ذلك لا يمنع من ان
تشير اليها واحدة واحدة ثم ان الشبه منتزع من مجموعها من غير ان يمكن
فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة اخل ذلك بالغرض من التشبيه
ومن تمام القول في هذه الآية ونحوها ان الجملة اذا وقعت في جانب المشبه
به يكون على وجوه احدها ان يلي نكرة فتكون صفة لها كما في هذه الآية و
عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة والثاني ان

تلي

معرفة ثم باسم موصول فتكون صلة له كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا الآية والثالث ان يلي معرفة ليست باسم موصول متبوعا اسميا فا
كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا ومن ابلغ الاستقصاء في التفصيل في التشبيه قول ابن المعتز
كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قوادم جون شبه
ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح باشخاص الغربان ثم شرط ان يكون
قوادم ريشها بيضا لان تلك الفرق من الظلمة تبقى في حواشيها من حيث
يلي معظم الصبح وبعده لمع نور يتخيل منها في العين كشكل قوادم بيض
وتمام التدقيق في هذا التشبيه ان جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه
لظلام الليل كانه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بان تتمهل في حركتها
ثم لما بنى ذلك في التشبيه ابتداء راعاه آخرا حيث قال نطير غرابا ولم
يقل غراب يطير ونحوه لان الطاير اذا كان واقعا في مكان فازعج واطير
منه او كان قد حبس فيها وقيد فارسل كان ذلك لا محالة اسرع لطيرانه
واعجل له ان يستمر على الطيران حتى يصير الى حيث لا تراه العيون بخلاف
ما اذا طار عن اختيار فانه يجوز ان لا يسرع في طيرانه وان يصير الى مكان
قريب من مكانه الاول وكذا قول ابي نواس في صفة منقار البازي كقطعة
الجيم بكف اعسر في خطها ان الجيم خطان اولهما الذي هو مبدأه و

هو

وهو الاعلى الذي يذهب الى اليسار واذا لم يوصل فلها تعريق و
المنقار انما يشبه الخط الاعلى فقط فلهذا قال كقطعة الجيم ولم يقل كالجيم
ثم دقق بان جعلها بكف اعسر لان جيم الاعسر يكون اشبه بالمنقار من
جيم الايمن ثم اراد ان يؤكد ان الشبه مقصور على الخط الاعلى من شكل
الجيم فقال يقول من فيها بعقل فكرا لو زاده عينا الى فاء ورا فاتصلت
بالجيم صار ذاك جعفرا فابان انه لم يقصد التعريق في التشبيه لان الوصل
يسقطه اصلا ولا الخط الاسفل وان كان لا بد منه مع الوصل لانه قال
فاتصلت بالجيم اي بالقطعة المذكورة ولم يقتصر على قوله لو زاده عينا
الى فاء ورا ولاجل هذا التدقيق قال يقول من فيها بعقل فكرا فنبه على
ان بالمشبه حاجة الى فضل فكر وان يكون فكره فكر من يراجع عقله
واذا تحققت ما ذكرنا في التفصيل علمت ان قول امرئ القيس في وصف
السنان اعلى طبقة من قول الآخر يتابع لا يبتغي غيره بابيض كالقبس الملتهب
لخلو الثاني من التفصيل الذي تضمنه الاول وهو قصر التشبيه على مجرد
السنا وتصويره مقطوعا عن الرمح فمعلوم ان هذا ابلغ في الخاطر
اول وهلة بل لا يتقضى من ان يتثبت وينظر في حال كل من الفرع والاصل
حتى يقع في النفس ان في الاصل شيئا يقدح في حقيقة التشبيه وهو الدخان
الذي يعلو راس الشعلة وكذا قوله وكأن اجرام النجوم لوامعا درر

نثرن على بساط ازرق افضل من قول ذي الرمة كأنها فضة
قد مسها ذهب لان الاول لم يقيد وجوده دون الثاني فان
الناس ابدا يرون في الصياغات فضة قد موهت بذهب ولا يكاد
يتفق ان يوجد در قد نثر على بساط ازرق وكذا بيت بشار
اعلى طبقة من قول ابي الطيب يزور الاعادي في سماء عجاجة
اسنته في جانبيها الكواكب وكذا من قول الآخر تبني
سنابكها من فوق رؤسهم سقفا كواكبه البيض المباتر لان
كل واحد منهما وان راعى التفصيل في التشبيه فانه اقتصر على ان اداك
لمعان السيوف في اثناء العجاجة بخلاف بشار فانه لم يقتصر على ذلك بل
عبر عن هيئة السيوف وقد سلت عن اغمادها وهي تعلو وترسب
وتجيء وتذهب وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلا لانها لا
تقع في النفس الا بالنظر الى اكثر من جهة واحدة وذلك ان للسيوف
عند احتدام الحرب واختلاف الايدي بها في الضرب اضطرابا شديدا
وحركات سريعة ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بين
الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ثم هي باختلاف هذه
الامور تتلاقى ويصدم بعضها بعضا ثم اشكالها مستطيلة فنبه
على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله تهاوى لان الكواكب اذا تهاوت

اختلف

اختلف جهات حركاتها وكان لها في تهاويها تواقع وتداخل ثم
استطالت اشكالها وكذا قول الآخر في الآذريونة مداهن من ذهب
فيها بقايا غالية اعلى وافضل من قوله فيه كأس عقيق في قرارتها مسك
لان السواد الذي في باطن الآذريونة الموضوع بازاء الغالية والمسك فيه
امران احدهما انه ليس بشامل له والثاني انه مستدير في قعرها بل ارتفع منه
حتى اخذ شيئا من سمكها من كل الجهات وله في منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية
في جوانب المدهن اذا كانت بقية بقيت عن الاصابع وقوله في قرارتها مسك
يبين الامر الاول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال فيها
مسك لم يشترط ان يكون في القرارة واما الثاني فلا يدل عليه كما يدل قوله
بقايا غالية لان من شان المسك والشيء اليابس اذا حصل في شيء مستدير له
قعر ان يستدير في القعر ولا يرتفع في الجوانب الارتفاع الذي في سواد
الآذريونة بخلاف الغالية فانها رطبة ثم تؤخذ بالاصابع فلا بد في البقية منها
ان ترتفع عن القرارة وذلك الارتفاع ثم هي لتقوم منها ترق فتكون كالصبغ الذي
لا يظهر له جرم وذلك اصدق للشبه والبليغ من التشبيه ما كان من هذا
النوع اعني البعيد لغرابته ولان الشيء اذا نيل بعد الطلب له والاشتياق
اليه كان نيله اوقع في النفس والطف وبالمسرة اولى ولهذا ضرب المثل لكل ما
لطف موقعه ببرد الماء على الظماء كما قال وهن ينبذن من قول يصبن به

مواقع الماء من ذى الغلة الصادى ثم بيّن ان عدم الظهور ضرب من التعقيد
عطشان
والتعقيد مذموم لانا نقول التعقيد كما سبق له سببان سوء ترتيب الالفاظ
واختلال الانتقال من المعنى الاول الى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ و
المراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته او ترتيب
بعض المعانى على بعض كما يشعر بذلك قولنا فى بادى الرأى فان المعانى
الشريفة لا بد فيها فى غالب الامر من بناء ثان على اول ورد تال الى سابق
كما فى قول البحترى دان على ايدى العفاة البيتين فانك تحتاج فى تعريف
معنى البيت الاول الى معرفة وجه المجازة فى كونه دانيا وشاسعا ثم تعود
الى ما يعرض البيت الثانى عليك من حال البدر ثم تقابل احدى الصورتين
بالاخرى وتنظر كيف شرط فى العلو الافراط لتشاكل قوله شاسع لان الشسوع
هو الشديد فى البعد ثم قابله بما شاكله من مراعاة التناهى فى القرب فقال جد
قريب فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة الى الفكر وهل شيء احلى من الفكر
اذا صادف نهجا قويما الى المراد قال الجاحظ فى اثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر
من الفضيلة واين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع الدم
واكل اللحم من سرور الظفر بالاعداء ومن انفتاح باب العلم بعد ادمان
قرعه وقد يتصرف فى القريب المبتذل بما يخرجه من الابتذال الى الغرابة وهو
على وجوه منها ان يكون كقوله لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا الا بوجه

ليس فيه حياء وقوله فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم
من جانب الخدر تطلع فوالله ما ادرى أأحلام نائم المت بنا ام
كان فى الركب يوشع فان تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل لكن
حديث الحياء فى الاول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام فى
الثانى اخرجه من الابتذال الى الغرابة وشبيه بالاول قول الآخر ان
السحاب لتستحيى اذا نظرت الى نداك فقاسته بما فيها ومنها ان
يكون كقوله عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبات افول
وقوله مها الوحش الا ان هاتا اوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل
وقوله يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر
الذهبا والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت والاسد لو لم تصد
والبحر لو عذبا وهذا يسمى التشبيه المشروط ومنها ان يكون كقوله فى طلعة البدر
شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها وقول ابن بابك الا يا رياض
الحزن من ابرق الحمى نسيمك مسروق ووصفك منتحل حكيت ابا سعد
فنشرك نشره ولكن له صدق الهوى ولك الملل وقد يخرج من الابتذال
بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله كانما يبسم عن لؤلؤ منضد او برد
او اقاح كما يزداد بذلك لطفا وغرابة كقوله له ايطلا ظبي وساقا
نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل واما باعتبار اداته فاما مؤكد

او مرسل المؤكد ما حذفت اداته كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب وقوله
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا وقول الحماسي هم البحور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء اذا تلقى بهم
بهم الى غير ذلك كما سبق ومنه نحو قول الشاعر والريح تعبث بالغصون
وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء وقول الآخر يصف الفرس الاغر المشهور حجل
تبل النزال كانما ادهم الاظلام حين نجا من اشهب الصبح القى نعل
حافره وقول الشريف الرضي ارسى النسيم بواديكم ولا برحت حوامل
المزن في اجداثكم تضع ولا يزال جنين النبت ترضعه على قبوركم
العراض الهمع والمرسل ما ذكرت اداته كقوله تعالى كعرض السماء والارض
وقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله وقول امرئ القيس
وتعطو برخص غير شثن كأنه اساريع ظبي او مساويك اسحل وقول المعري
واذا الاسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في ماء الى غير ذلك
تقسيم واشار باعتبار الغرض اما مقبول او مردود والمقبول الوافي
بافادة الغرض كان يكون المشبه به اعرف شيء بوجه الشبه اذا كان الغرض بيان
حال المشبه من جهة وجه الشبه او بيان المقدار او تم الطرفان في الثاني ان تساويا
في وجه الشبه في التشبيه كاملة القبول والا فكلما كان المشبه به اسلم من الزيادة
والنقصان كان اقرب الى الكمال او كان يكون المشبه اتم شيء في وجه الشبه اذا

١١٤

قصد الحاق الناقص بالكامل او كان يكون المشبه به مسلم الحكم معروفه عند
المخاطب في وجه الشبه اذا كان الغرض بيان امكان الوجود والمردود بخلاف
ذلك اي القاصر عن افادة الغرض **خاتمة** قد سبق ان اركان التشبيه
اربعة المشبه والمشبه به واداة التشبيه ووجهه فالحاصل من مراتب التشبيه
في القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر اركانه كلها او بعضها ثمان احدها
ذكر الاربعة كقولك زيد كالاسد في الشجاعة ولا قوة لهذه المرتبة وثانيتها
ترك المشبه كقولك كالاسد في الشجاعة اي زيد وهي كالاولى في عدم القوة و
ثالثتها ترك كلمة التشبيه كقولك زيد اسد في الشجاعة وفيها نوع قوة
ورابعتها ترك المشبه وكلمة التشبيه كقولك اسد في الشجاعة اي زيد وهي
كالثالثة في القوة وخامستها ترك وجه الشبه كقولك زيد كالاسد وفيها نوع
قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر وسادستها ترك المشبه ووجه
التشبيه كقولك كالاسد اي زيد وهي كالخامسة وسابعتها ترك كلمة
التشبيه ووجهه كقولك زيد اسد وهي اقوى الجميع وثامنتها افراد المشبه
به بالذكر كقولك اسد اي زيد وهي كالسابعة واعلم ان التشبيه قد ينتزع من
نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه ثم ينزل منزلة التناسب بواسطة تمليح او
تهكم فيقال للجبان ما اشبهه بالاسد وللبخيل هو حاتم والله اعلم

القول في الحقيقة والمجاز

وقد يقيدان باللغويين الحقيقة الكلمة

ايضا حقيق على ما صرح به صاحب المفتاح لانا نقول هذا لا يسدد على المصنف لان الكلام انما استعملت في الاسم الموضوع له مع جواز الارادة الملزوم م

الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب فقولنا
المستعملة احتراز عما لم يستعمل لان الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة
وقولنا ما وضعت له احتراز عن شيئين احدهما ما استعمل في غير ما وضعت له
غلطا كما اذا اردت ان تقول لصاحبك خذ هذا الكتاب مشيرا الى كتاب بين
يديك فغلطت فقلت خذ هذا الفرس والثاني احد قسمي المجاز وهو ما استعمل
فيما لم يكن موضوعا له لا في اصطلاح التخاطب ولا في غيره
كلفظ الاسد في الرجل الشجاع وقولنا في اصطلاح به التخاطب احتراز عن
القسم الآخر من المجاز وهو ما استعمل فيما وضع له لا في اصطلاح به التخاطب
كلفظ الصلوة يستعمل المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا والوضع تعيين
اللفظ للدلالة على معنى بنفسه فقولنا بنفسه احتراز عن تعيين اللفظ للدلالة
على معنى بقرينة اعني المجاز فان ذلك التعيين لا يسمى وضعا ودخل المشترك في
الحد لان عدم دلالته على احد معنييه بلا قرينة لعارض اعني الاشتراك لا ينافي
تعيينه عليه بنفسه وذهب السكاكي الى ان المشترك كالقرء معناه الحقيقي
هو ما لا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض غير مجموع بينهما قال فهذا ما يدل
عليه بنفسه ما دام منتسبا الى الوضعين اما اذا خصصته بواحد اما صريحا
مثل ان تقول القرء بمعنى الطهر واما استلزاما مثل ان تقول القرء لا بمعنى
الحيض فانه يتعين حينئذ دليلا بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الواضع عينه

دالا م

للدلالة م

بازائه

بازائه بنفسه ثم قال في موضع آخر واما ما يظن بالمشترك من الاحتياج الى القرينة
في دلالته على ما هو معناه فقد عرفت ان منشأه عدم تحصيل معنى
المشترك الدائر بين وضعين هو فيما ذكره نظر لانا لا نسلم ان معناه الحقيقي ذلك
وما الدليل على انه عند الاطلاق يدل عليه ثم قوله اذا قيل القرء بمعنى الطهر
او لا بمعنى الحيض فهو دال بنفسه على الطهر بالتعيين سهو ظاهر فان
القرينة كما تكون معنوية تكون لفظية وكل من قوله بمعنى الطهر وقوله لا
بمعنى الحيض قرينة وقيل دلالة اللفظ على معناه لذاته وهو ظاهر
الفساد لاقتضائه ان يمتنع نقله الى المجاز وجعله علما ووضعه للمتضادين
كالجون للاسود والابيض فان ما بالذات لا يزول بالغير ولاختلاف
اللغات باختلاف الامم وتأوله السكاكي على انه تنبيه على ما عليه ائمة
علمي الاشتقاق والتصريف من ان للحروف في انفسها خواص بها تختلف
كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك مستدعية
ان العالم بها اذا اخذ في تعيين شيء منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما
قضاء لحق الحكمة كالفصم بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير
ان يبين والقصم بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين وان
للتركيبات كالفعلان والفعلى بالتحريك كالنزوان والحيدى وفعُل مثل
شرف وغيره كذلك خواص ايضا فيلزم فيها ما يلزم في الحروف وفي ذلك نوع تأثير

حمار حيدى اى يحيد عن ظله لنشاطه اى يميل م صحاح

لاشتمال الكلمة اختصاصها بالمعاني والمجاز مفرد ومركب اما
المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب
على وجه يصح مع قرينة عدم ارادته فقولنا المستعملة احتراز عما لم يستعمل
لان الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازا كما لا تسمى حقيقة وقولنا في اصطلاح
به التخاطب ليدخل فيه نحو لفظ الصلوة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع
في الدعاء مجازا فانه وان كان مستعملا في ما وضع له في الجملة فليس بمستعمل
في ما وضع له في الاصطلاح الذي وقع به التخاطب وقولنا على وجه يصح احتراز
عن الغلط كما سبق وقولنا مع قرينة عدم ارادته احتراز عن الكناية كما
تقدم والحقيقة لغوية وشرعية وعرفية خاصة او عامة لان واضعها ان كان
واضع اللغة فلغوية وان كان الشارع فشرعية والا فعرفية والعرفية ان
تعين صاحبها نسبت اليه كقولنا كلامية ونحوية والا بقيت مطلقة
مثال اللغوية لفظ اسد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في السبع المخصوص
ومثال الشرعية لفظ صلوة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في العبادة
المخصوصة ومثال العرفية الخاصة لفظ فعل اذا استعمله المخاطب بعرف
النحو في الكلمة المخصوصة ومثال العرفية العامة لفظ دابة اذا استعمله
المخاطب بالعرف العام في ذي الاربع وكذلك المجاز المفرد لغوي وشرعي
وعرفي مثال اللغوي لفظ اسد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في الرجل

الشجاع

كان دلالتهما الاولى كما مر في اول البيان

الشجاع ومثال الشرعي لفظ صلوة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء
ومثال العرفي الخاص لفظ فعل اذا استعمله المخاطب بعرف النحو في الحدث و
مثال العرفي العام لفظ دابة اذا استعمله المخاطب بالعرف العام في الانسان
والحقيقة اما فعيل بمعنى مفعول من قولك حققت الشيء احقه اذا اثبته
او فعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء يحق اذا ثبت اي المثبتة او
الثابتة في موضعها الاصلي فاما التاء فقال السكاكي هي عندي للتانيث
في الوجهين لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على
الموصوف وهو الكلمة وفيه نظر وقيل هو لنقل اللفظ من الوصفية الى
الاسمية الصرفة كما في ذبيحة واكيلة ونطيحة اي التاء فيهما لنقلهما من الوصفية
الى الاسمية ولذلك لا يوصف بهما فلا يقال شاة اكيلة او نطيحة والمجاز
قيل مفعل من جاز المكان يجوزه اذا تعداه اي تعدت موضعها الاصلي
وفيه نظر والظاهر انه من قولهم جعلت كذا مجازا الى حاجتي اي طريقا له
على ان معنى جاز المكان سلكه على ما فسره الجوهري وغيره فان المجاز
طريق الى تصور معناه واعتبار التناسب يغاير اعتبار المعنى في الوصف
كتسمية انسان له حمرة باحمر ووصفه باحمر فان الاول لترجيح الاسم على غيره
حال وضعه له والثاني لصحة اطلاقه فلا يصح نقض الاول بوجود المعنى في غير
اي اعتبار المعنى في الوصف
المسمى كما يلهج به بعض الضعفاء والمجاز ضربان مرسل واستعارة لان

العلاقة المصححة ان كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة
والا فهو مرسل وكثيرا ما يطلق الاستعارة على استعمال الاسم المشبه به في
المشبه فيسمى المشبه به مستعارا منه والمشبه مستعارا له واللفظ مستعارا وعلى
الاول لا يشتق منه لكونه اسما للفظ لا الحدث **الضرب الاول**
المرسل وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير
التشبيه كاليد اذا استعملت في النعمة لان من شانها ان تصدر عن الجارحة
ومنها تصل الى المقصود بها ويشترط ان يكون في الكلام اشارة الى
المولي لها فلا يقال اتسعت اليد في البلد او اقتنيت يدا كما يقال
اتسعت النعمة في البلد او اقتنيت نعمة وانما يقال جلت يده عندي
وكثرت اياديه لدي ونحو ذلك ونظير هذا قولهم في صفة راعي الابل
ان له عليها اصبعا ارادوا ان يقولوا له عليها اثر حذق فدلوا عليه
بالاصبع لانه ما من حذق في عمل يد الا وهو مستفاد من حسن تصريف
الاصابع واللطف في رفعها ووضعها كما في الخط والنقش وعلى ذلك قيل في
تفسير قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه اي نجعلها كخف البعير
فلا يتمكن من الاعمال اللطيفة فارادوا بالاصبع الاثر الحسن حيث يقصد
الاشارة الى حذق في الصنعة لا مطلقا حتى يقال رايت اصابع الدار وله
اصبع حسنة او اصبع قبيحة على معنى اثر حسن او اثر قبيح ونحو ذلك ويلحظ

المعنى

الى هذا قولهم ضربته سوطا لانهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم
السوط فجعلوا الاثر السوط سوطا وتفسيرهم له بقولهم المعنى ضربته ضربة
بالسوط بيان لما كان الكلام عليه في اصله ونظير قولنا له علي يد قول
النبي عليه السلام لازواجه اسرعكن لحوقا بي اطولكن
يدا وقوله اطولكن يحتمل ترشيح الاستعارة ولا باس بان يجعل ترشيح
المجاز والمعنى بسط اليد بالعطاء وقيل قوله علم اطولكن من الطول بمعنى
الفضل يقال لفلان على فلان طول اي فضل فاليد على هذين الوجهين
بمعنى النعمة ويحتمل ان يريد اطولكن يدا بالعطاء اي امدكن فحذف قوله
بالعطاء للعلم به وكاليد ايضا اذا استعملت في القدرة لانه اكثر ما يظهر
سلطانها في اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والاخذ والدفع و
الوضع والرفع وغير ذلك من الافعال التي تنبئ عن وجوه القدرة ومكانها
واما اليد في قول النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون تتكافا دماؤهم ويسعى
بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم فهو استعارة والمعنى ان مثلهم مع
كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة فكما لا يتصور ان يخذل
بعض اجزاء اليد بعضا وان تختلف بها الجهة في التصرف كذلك سبيل المؤمنين
في تعاضدهم على المشركين لان كلمة التوحيد جامعة لهم وكالراوية للمزادة
مع كونها للبعير الحامل لها لحمله اياها وكالحفض في البعير مع كونه لمتاع البيت

الراوية في الاصل اسم للبعير الذي يحمل المزادة اي المزود وهو الذي يجعل فيه الزاد اي الطعام المتخذ للسفر والعلاقة كون البعير حاملا لها

لحلاوة ابا وكالسماء في الغيث كقولهم اصابتنا السماء لكونه من جهة المظلة
وكالاكاف في قول الشاعر يا كلني كل ليلة اكافا اى علفا يشترى باكاف وهذا
الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكر منها تسمية الشيء باسم جزءه
كالعين في الربيئة لكون الجارحة المخصوصة هي المقصودة في كون الرجل ربيئة
اذ ما عداها لا يغني شيئا مع فقدها فصارت كانها الشخص كله وعليه قوله
تعالى قم الليل الا قليلا نصفه اى صل ونحوه لا تقم فيه ابدا اى لا تصل وقول
النبي صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من
ذنبه اى من صلى ومنها عكس ذلك نحو يجعلون اصابعهم في اذانهم اى انامِلهم
وعليه قولهم قطعت السارق وانما قطعت يده ومنها تسمية المسبب
باسم السبب كقولهم رعينا الغيث اى النبات الذى سببه الغيث وعليه
قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم سمى جزاء الا
اعتداء لانه مسبب عن الاعتداء وقوله ونبلو اخباركم تجوز بالبلاء عن
العرفان لانه مسبب عنه كانه قيل ونعرف اخباركم وعليه قول عمرو بن كلثوم
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا الجهل الاول حقيقة والثاني
مجاز عبر به عن مكافاة الجهل وكذا قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص لانه مسبب عنها قيل وان عبر بها عما
ساء اى احزن لم يكن مجازا لان الاقتصاص محزن في الحقيقة كالجناية وكذا

وكذا قوله ومكروا ومكر الله تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لانه سببها
قيل ويحتمل ان يكون مكر الله حقيقة لان المكر هو التدبير فيما يضر
الخصم وهذا محقق في الله تعالى باستدراجه اياهم بنعمه مع ما اعد
لهم من نقمه ومنها تسمية السبب باسم المسبب كقولهم امطرت
السماء نباتا وعليه قولهم كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى و
كذا لفظ الاسنمة في قوله يصف غيثا اقبل في المستن من ربابه
اسنمة الآبال في سحابه وكذا تفسير انزال ازواج الانعام
في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج بانزال الماء على
وجه انها لا تعيش الا بالنبات والنبات لا تقوم الا بالماء وقد انزل
الماء فكا[نه] انزلها ويؤيده ما ورد ان كل ما في الارض من
السماء ينزلها الله الى الصخرة ثم يقسمه وقيل وهذا معنى قوله الم تر ان
الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض وقيل معناه
وقضى لكم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث
كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وكذا
قوله تعالى وينزل لكم من السماء رزقا اى مطرا هو سبب الرزق
وقوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا وقولهم فلان اكل الدم اى
الدية التي هي مسببة عن الدم قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة

تعالى ح

بعيدة مهوى القرط طيبة النشر وقوله تعالى واذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله اى اردت القراءة بقرينة الفاء مع استفاضة
السنة بتقديم الاستعاذة وقوله ونادى نوح ربه اى اراد بقرينة
فقال رب وقوله تعالى وكم اهلكناها اى اردنا اهلاكها بقرينة
فجاءها بأسنا بياتا وكذا قوله ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها
بقرينة انهم يؤمنون وفيه دلالة ظاهرة على الوعيد بالاهلاك
اذ لا نفع الانكار في انهم يؤمنون في الحق الا مقدرين ونحن على
ان نهلكهم ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه كقوله تعالى
وآتوا اليتامى اموالهم اى الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ و
قوله تعالى من يأت ربه مجرما سماه مجرما باعتبار ما كان عليه في
الدنيا من الاجرام ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى انى
ارانى اعصر خمرا ومنها تسمية الحال باسم محله كقوله تعالى فليدع ناديه
اى اهل ناديه ومنها عكسه كقوله تعالى فاما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله اى في الجنة ومنها تسمية الشيء باسم آلته كقوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اى الا بلغة قومه وقوله تعالى واجعل
لى لسان صدق في الآخرين اى ذكرا جميلا وثناء حسنا وكذا غير ذلك مما
بين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه قال السكاكي

وللتعلق

وللتعلق بين الصارف عن فعل الشيء والداعي الى تركه احتمل عندي
ان يكون المراد بمنعك في قوله تعالى ما منعك الا تسجد اذ امرتك
دعاك ولا غير صلة بقرينة المجاز وكذا ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان
لا تتبعن وقال الراغب رحمه الله قال بعض المفسرين ان معنى ما
منعك ما حملك وجعلك في منعة من ترك السجود اى في معاقبة
تركه وقد استبعد ذلك بعضهم بان قال لو كان كذلك لم يكن يجب
بان يقول انا خير منه فان ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه
وانما هو جواب من قيل له ما منعك ان تسجد ويمكن ان يقال في جواب
ذلك ان ابليس لما كان الزم ما لم يجد سبيلا الى الجواب عنه اذ لم يكن
له مكان لئلا يخرسه وجبه عدل عما كان جوابا كما يفعل المأخوذ بكظمه
في المناظرة انتهى كلامه وقسم السكاكي المجاز المرسل الى خال عن الفائدة
ومفيد وجعل الخالي عن الفائدة ما استعمل في اعم مما هو موضوع له
كالمرسن في قول العجاج وفاحما ومرسنا مسرجا فانه مستعمل في
الانف لا بقيد كونه لمرسون مع كونه موضوعا له بهذا القيد لا مطلقا
وكالمشفر في نحو قولنا فلان غليظ المشافر اذا قامت قرينة على ان
المراد هو الشفة لا غير وقال في هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام
احد المترادفين من نحو ليث واسد وحبس ومنع عند المصير الى المراد منه

واراد بالمفيد ما عدا الخالي عن الفائدة والاستعمال كما مر والشيخ
عبد القاهر جعل الخالي عن الفائدة ما استعمل في شيء بقيد مع كونه
موضوعا لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ومثله ببعض
ما مثله السكاكي ونحوه من حكاية الشفة والانف موضوعا
للعضوين المخصوصين من الانسان فان قصد التشبيه صار اللفظ
استعارة كقولهم في موضع الذم غليظ المشفر فانه بمنزلة ان يقال كان
شفته في الغلظ مشفر البعير وعليه قول الفرزدق فلو كنت ضبيا
عرفت قرابتي ولكن زنجي غليظ المشافر اي ولكنك زنجي كانه جمل
لا يهتدي لشرفي وكذا قول الحطيئة يخاطب الزبرقان قروا
جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره فانه
عنى نفسه بالجار وجاز ان يقصد الى وصف نفسه بنوع من سوء
الحال ليزيد في التهكم بالزبرقان ويؤكد ما قصده من رميه باضاعة
الضيف واسلامه للضر والبؤس وكذا قول الآخر سامنعها او سوف
اجعل امرها الى ملك اظلافه لم تشقق **الضرب الثاني من
المجاز الاستعارة** وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع
له وقد تقيد بالتحقيقية لتحقق معناها حسا او عقلا اي التي تتناول
امرا معلوما يمكن ان ينص عليه ويشار اليه اشارة حسية او عقلية

او عقلية فيقال ان اللفظ نقل عن مسماه الاصلي فجعل اسما له على
سبيل الاعارة للمبالغة في التشبيه اما الحسي فكقولك رايت
اسدا وانت تريد رجلا شجاعا وعليه قول زهير لدى اسد شاكي
السلاح مقذف اي لدى رجل شجاع ومن لطيف هذا الضرب ما يقع
التشبيه في الحركات كقول ابن دلامة يصف بغلته ارى الشهباء
تعجن اذ غدونا برجليها وتخبز باليدين شبه حركة رجليها حين
لم تثبتا على موضع تعتمدهما عليه وهوتا ذاهبتين نحو يديها
بحركة يدي العاجن فانهما لا تثبتان في موضع بل تزلان الى قدام لرخاوة
العجين وشبه حركة يديها بحركة يد الخابز فانه يثني يده نحو بطنه
ويحدث فيهما ضربا من التقويس كما تجده في يد الدابة اذا اضطربت
في سيرها ولم تقف على ضبط يديها وان ترمي بهما الى قدام وان تشد
اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي يقع عليه فلا تزول عنه ولا تنثني
واما العقلي فكقولك ابديت نورا وانت تريد حجة فان الحجة
مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس اذ المفهوم من الالفاظ هو الذي
ينور القلب ويكشف عن الحق لا الالفاظ انفسها وعليه قوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم واما قوله تعالى فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف فعلى ظاهر قول الزمخشري استعارة عقلية لانه قال شبه

شبه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من
بعض الحوادث وعلى الظاهر هو قول السكاكي حسنة لانه جعل اللباس
استعارة لما يلبسه الانسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون
ورثاثة الهيئة فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له
والمراد بمعناه ما عني به اي ما استعمل فيه فلم يتناول ما استعمل فيما
وضع له وان تضمن التشبيه نحو زيد اسد ورايته اسدا ومررت
به اسدا لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه على ان المراد وقولنا ما تضمن
مجاز بقرينة تقسيم المجاز الى الاستعارة وغيرها والمجاز لا يكون مستعملا
فيما وضع له وههنا شيء لا بد من التنبيه عليه وهو انه اذا اجرى
في الكلام لفظ دلت قرينة على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين
احدهما ان لا يكون المشبه مذكورا ولا مقدرا كقولك عنّت لنا ظبية
وانت تريد امرأة ولقيت اسدا وانت تريد رجلا شجاعا ولا خلاف
ان هذا ليس بتشبيه وان الاسم فيه استعارة والثاني ان يكون المشبه
مذكورا او مقدرا فاسم المشبه به ان كان خبرا او في حكم الخبر كخبر كان وان
والمفعول الثاني لباب علمت والحال فالاصح انه يسمى تشبيها وان
الاسم فيه لا يسمى استعارة لان الاسم اذا وقع في هذه المواضع فالكلام موضوع
لاثبات معناه لما يعتمد عليه او نفيه عنه فاذا قلت زيد اسد فقد

وضعت كلامك في الظاهر لاثبات معنى الاسد لزيد واذا امتنع اثبات
ذلك له على الحقيقة كان لاثبات شبه من الاسد له فيكون اجتلابه لاثبات
التشبيه فيكون خليقا بان يسمى تشبيها اذ كان انما جاء ليفيده بخلاف
الحالة الاولى فان الاسم فيها لم يجتلب لاثبات معناه للشيء كما اذا قلت
جاءني اسد ورايت اسدا فان الكلام في ذلك موضوع لاثبات المجيء واقعا من
الاسد والرؤية واقعة منك عليه لا لاثبات معنى الاسد للشيء فلم يكن ذكر
المشبه به لاثبات التشبيه وصار قصد التشبيه مكنونا في الضمير وهو
انه اذا لم يكن المشبه مذكورا جاز ان يتوهم السامع في ظاهر الحال ان
المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له فلا يعلم قصد التشبيه فيه الا
بعد شيء من التامل بخلاف الحالة الثانية فانه يمتنع ذلك فيه مع كون
المشبه مذكورا او مقدرا ومن الناس من ذهب الى ان الاسم في الحالة
الثانية استعارة لاجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه وهذا
الخلاف لفظي راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه في الاصطلاح
وما اخترناه هو الاقرب لما اوضحنا من المناسبة وهو اختيار المحققين
كالقاضي ابي الحسن الجرجاني والشيخ عبد القاهر والزمخشري والسكاكي وغيرهم
اما الشيخ عبد القاهر فقال بعد تقرير ما ذكرنا فان ابيت الا ان تطلق
اسم الاستعارة على هذا القسم فان حسن دخول ادوات التشبيه لا يحسن

وذلك ان يكون اسم المشبه به معرفة كقولك زيد الاسد وهو
شمس النهار فانه يحسن ان يقال زيد كالاسد وخليفة كشمس
النهار وان يحسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب
في الحالة وذلك ان يكون نكرة غير موصوفة كقولك زيد
اسد فانه لا يحسن ان يقال زيد كاسد ويحسن ان يقال
كان زيدا اسد ووجدته اسدا وان لم يحسن دخول
شيء منها الا بتغيير لصورة الكلام كان اطلاقه اقرب لغموض
تقدير اداة التشبيه فيه وذلك ان يكون نكرة موصوفة بما
لا يلائم المشبه به كقولك فلان بدر يسكن الارض وهو
شمس لا يغيب وكقوله شمس تألق والفراق غروبها
عنا وبدر والصدود كسوفه فانه لا يحسن دخول الكاف
ونحوه في شيء من هذه الامثلة ونحوها الا بتغيير صورته كقولك
هو كالبدر الا انه يسكن الارض وكالشمس الا انه لا يغيب
وكالشمس المتألقة الا ان الفراق غروبها وكالبدر الا ان
الصدود كسوفه وقد يكون في الصفات والصلات التي تجيء في
هذا النحو ما يحيل تقدير اداة التشبيه فيه فيقرب اطلاقه
اكثر وذلك مثل قول ابي الطيب اسد دم الاسد الهزبر

خضابه

خضابه موت فريص الموت منه يرعد فانه لا سبيل الى ان
يقال المعنى هو كالاسد وكالموت لما في ذلك من التناقض لان
تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل انه دونه او مثله وجعل
دم الهزبر الذي هو اقوى الجنس خضاب يده دليل على
انه فوقه وكذلك لا يصح ان يشبه بالموت المعروف ثم يجعل
الموت يخاف منه وكذا قول البحتري وبدر اضاء الارض
شرقا ومغربا وموضع رحلي منه اسود مظلم ان يرجع فيه الى
التشبيه الساذج حتى يكون المعنى هو كالبدر لزم ان يكون
قد جعل البدر المعروف موصوفا بما ليس فيه فظهر انه انما اراد
ان يثبت من الممدوح بدرا له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف
للبدر فهو مبني على تخييل انه زاد في جنس البدر واحد له تلك
الصفة فالكلام موضوع لا لاثبات الشبه بينهما ولكن لاثبات تلك
الصفة فهو كقولك زيد رجل كيت وكيت لم تقصد اثبات كونه
رجلا لكن اثبات كونه متصفا بما ذكرت فاذا لم يكن اسم المشبه
به في البيت مجتلبا لاثبات التشبيه تبين انه خارج عن الاصل
الذي تقدم من كون الاسم مجتلبا لاثبات الشبه فالكلام فيه مبني
على ان كون الممدوح بدرا امر قد استقر وثبت وانما العمل في اثبات

الصفة الغريبة وكما يمتنع دخول الكاف في هذا ونحوه يمتنع دخول
كان وحسب لاقتضائهما ان يكون الخبر والمفعول الثاني
امرا ثابتا في الجملة الا ان كونه متعلقا بالاسم والمفعول الاول
مشكوك فيه كقولنا كان زيدا منطلق وحسبت زيدا منطلقا
او خلاف الظاهر كقولنا كان زيدا اسد والنكرة فيما نحن فيه غير
ثابتة فدخول كان وحسب عليها كالقياس على المجهول وايضا هذا
النحو اذا قلت عن ره وجدت حصوله انك تدعي حدوث
شيء هو من الجنس المذكور الا انه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها
على ذلك الجنس فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى وان لم يكن اسم المشبه به
خبرا للمشبه ولا في حكم الخبر كقولهم رايت بفلان اسدا ولقيني منه
اسد سمي تجريدا كما سياتي ان شاء الله تعالى ولم يسم استعارة
لانه انما تتصور الحكم على الاسم بالاستعارة اذا جرى بوجه على
ما يدعى انه مستعار له اما باستعماله فيه او باثبات معناه
له والاسم في مثل هذا غير جار على المشبه بوجه ولانه يجي على هذه
الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه فيظن انه استعارة كقوله تعالى
لهم فيها دار الخلد اذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد اذ
هي نفسها دار الخلد وكقول الشاعر يا خير من تركب المطي ولا

يشرب

يشرب كاسا بكف من بخلا فانه لا يتصور فيه التشبيه
وانما المعنى انه ليس بنجل ولا يتاتي تشبيهها ايضا لان اسم المشبه به
لم يجتلب فيه لاثبات التشبيه كما سبق وعده السكاكي تشبيها
والخلاف ايضا لفظي والدليل على ان الاستعارة مجاز لغوي كونها
موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لامر اعم منهما كالاسد فانه موضوع
للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلق لانه لو كان
موضوعا لاحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق
لا من جهة التشبيه وايضا لو كان موضوعا للشجاع مطلق لكان
وصفا لا اسم جنس وقيل الاستعارة مجاز عقلي بمعنى ان التصرف
فيها في امر عقلي لا لغوي لانها لا تطلق على المشبه الا بعد ادعاء
دخوله في جنس المشبه به لان نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت
الاعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة ولما كانت الاستعارة
ابلغ من الحقيقة لانه لا بلاغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه
ولما صح ان يقال لمن قال رايت اسدا يعني زيدا انه جعله اسدا
كما لا يقال لمن سمى ولده اسدا انه جعله اسدا لان جعل اذا تعدى
الى مفعولين كان بمعنى صير فافاد اثبات صفة الشيء حتى لا تقول
جعلته اميرا الا على معنى انك اثبتت له صفة الامارة وعليه قوله تعالى

وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا المعنى انهم اثبتوا
للملائكة صفة الانوثة واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد
صدر عنهم اطلاق اسم الاناث عليهم لا انهم اطلقوه من غير اعتقاد
ثبوت معناه لهم بدليل قوله تعالى اشهدوا خلقهم واذا كان نقل
الاسم تبعا لنقل المعنى كان الاسم مستعملا فيما وضع له ولهذا صح التعجب
في قول ابن العميد قامت تظللني من الشمس نفس اعز علي من نفسي
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس والنهي عنه في
قول الآخر لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر وقوله ترى
الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر احيانا فيبليها فكيف تنكر
ان تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها والجواب عنه
ان ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملا
في غير ما وضع له واما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فللبناء الاستعارة على
تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة فان قيل اصرار المتكلم على ادعاء
الاسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من ان يراد به السبع المخصوص
قلنا لا منافاة ووجه التوفيق ما ذكره السكاكي وهو ان تبني دعوى
الاسدية للرجل على ادعاء ان افراد جنس الاسد قسمان بطريق
التاويل متعارف وهو الذي له غاية الجراءة ونهاية قوة البطش مع

الصورة

الصورة المخصوصة وغير متعارف وهو الذي له تلك الجراءة وتلك القوة
لا مع تلك الصورة بل مع صورة اخرى على نحو ما ارتكب المتنبي
هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير
حيث قال نحن قوم ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال
مستشهدا لدعواك هاتيك بالتخيلات العرفية واي التخصص
القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق الى الفهم ليتعين الآخر ومن
البناء على هذا التنويع قوله تحية بينهم ضرب وجيع وقوله عتابك
السيف وقوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
ومنه قوله وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس واذ
قد عرفت معنى الاستعارة وانها مجاز لغوي فاعلم ان الاستعاردة
تفارق الكذب من وجهين بناء الدعوى فيها على التاويل ونصب
القرينة على ان المراد بها خلاف ظاهرها فان الكاذب يتبرأ من
التاويل ولا ينصب دليلا على خلاف زعمه وانها لا تدخل في الاعلام
لما سبق من انها تعتمد ادخال المشبه في جنس المشبه به والعلمية
تنافي الجنسية وايضا لان العلم لا يدل الا على تعيين شيء من غير اشعار
بانه انسان او فرس او غيرهما فلا اشتراك بين معناه وغيره الا في
مجرد التعيين ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفي شيء منها

جامع لخ الاستعارة اللهم الا اذا تضمن نوع وصفية بسبب خارج
كتضمن اسم حاتم الجود ومادر البخل وما جرى مجراهما وقرينة
الاستعارة اما معنى واحد كقولك رايت اسدا يرمي او اكثر كقول بعض
العرب فان تعافوا العدل والايمانا فان في ايماننا نيرانا اي
سيوفا تلمع كانها شعل نيران كما قال الاخر ناهضتهم والبارقات
كانها شعل على ايديهم تتلهب فقوله تعافوا باعتبار كل واحد من
تعلقه بالعدل وتعلقه بالايمان قرينة لذلك لدلالته على ان جوابه
انهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف او معان مربوط
بعضها ببعض كما في قول البحتري وصاعقة من نصله تنكفي
بها على ارؤس الاقران خمس سحائب عنى بخمس سحائب انامل
الممدوح فذكر ان هناك صاعقة ثم قال من نصله فبين انها من نصل
سيفه ثم قال على ارؤس الاقران ثم قال خمس فذكر عدد اصابع اليد
فبان من مجموع ذلك غرضه ثم الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين و
باعتبار الجامع وباعتبار الثلثة وباعتبار اللفظ وباعتبار آخر خارج عن
ذلك كله اما باعتبار الطرفين فهي قسمان لان اجتماعهما في شيء اما ممكن
او ممتنع ولتسم الاولى وفاقية والثانية عنادية اما الوفاقية فكقوله
تعالى احييناه من قوله او من كان ميتا فاحييناه فان المراد باحييناه

مطلب تقسيم الاستعارة

هديناه اي ومن كان ضالا فهديناه والهداية والحيوة لا شك في جواز
اجتماعهما في شيء واما العنادية فمنها ما كان وضع التشبيه فيه على
ترك الاعتداد بالصفة وان كانت موجودة لخلوها عما هو ثمرتها
والمقصود منها وما اذا خلت منه لم تستحق الشرف كاستعارة
اسم المعدوم للموجود اذا لم يحصل منه فايدة من الفوايد المطلوبة
من مثله فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك او اسم الموجود للمعدوم اذا
كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركا
للموجود في ذلك او اسم الميت للحي الجاهل لانه عدم فايدة الحيوة
والمقصود بها اعني العلم فيكون مشاركا للميت في ذلك ولذلك جعل
النوم موتا لان النايم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت او للحي
العاجز لان العجز كالجهل حط من قدر الحي ثم الضدان ان كانا قابلين
للشدة والضعف كان استعارة اسم الاشد للاضعف اولى فكل
من كان اقل علما واضعف قوة كان اولى بان يستعار له اسم الميت
ولما كان الادراك اقدم من الفعل في كونه خاصة للحيوان كان الاقل
علما اولى باسم الميت او الجماد من الاقل قوة وكذا في جانب الاشد
فكل من كان اكثر علما كان اولى بان يقال انه حي وكذا من كان اشرف
علما وعليه قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه فان العلم بوحدة الله تعالى

وما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم اشرف العلوم ومنها ما
استعمل في ضد معناه او نقيضه بتنزيل التضاد او التناقض منزلة
التناسب بواسطة تهكم او تمليح على ما سبق في التشبيه كقوله
تعالى فبشرهم بعذاب اليم ويخص هذا النوع باسم التهكمية او التمليحية
واما باعتبار الجامع فهي قسمان احدهما ما يكون الجامع فيه داخلا
في مفهوم الطرفين كاستعارة الطيران للعدو كما في قول امراة من
بني الحارث ترثي قتيلا لو يشا طار به ذو ميعة لاحق الآطال
نهد ذو خصل وكما جاء في الخبر كلما سمع هيعة طار اليها فان
الطيران والعدو يشتركان في امر داخل في مفهومهما وهو قطع المسافة
بسرعة ولكن الطيران اسرع من العدو ونحوها قول بعض العرب
فطرت بمنصلي في يعملات دوامي الايد يخبطن السريحا وقول
انه قام بسيفه مسرعا الى نوق فعقرهن فقد مثبت ايديهن يخبطن
السيور المشدودة على ارجلهن وكاستعارة الفيض للانبساط
النجم في قوله كالبحر فاض على النجوم الغيهب فان الفيض موضوع لحركة
الماء على وجه مخصوص وذلك ان يفارق مكانه دفعة فينبسط وللنجم
انبساط شبيه بذلك وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وابعاد
بعضهم عن بعض في قوله تعالى وقطعناهم في الارض امما فان القطع

موضوع لازالة الاتصال بين الاجسام التي بعضها ملتزق ببعض
فالجامع بينهما ازالة الاجتماع التي هي داخلة في مفهوميهما وهي في
القطع اشد وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع في قول القطامي
لم تلق قوما هم شر لاخوتهم منا عشية يجري بالدم الوادي
نقريهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد فان الخياطة
تضم خرق القميص والسرد تضم حلق الدرع فالجامع بينهما الضم
الذي هو داخل في مفهومهما وهو في الاول اشد وكاستعارة النثر
لاسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول ابي الطيب نثرتهم فوق
الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم لان
النثر ان يجمع اشياء في كف او وعاء ثم يقع فعل يتفرق معه دفعة
من غير ترتيب ونظام وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه
المخصوص وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة من
غير ترتيب ونظام ونسبه الى الممدوح لانه سببه والثاني ما يكون
الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين كقولك رايت شمسا وتريد انسانا
يتهلل وجهه فالجامع بينهما التلالؤ وهو غير داخل في مفهومهما
وتنقسم باعتبار الجامع ايضا الى عامية وخاصية فالعامية المبتذلة
لظهور الجامع فيها كقولك رايت اسدا او وردت بحرا والخاصية الغريبة

التي لا يظفر بها الا من ارتفع عن طبقة العامة كما سياتي من الاستعارات
الواردة في التنزيل وكقول طفيل الغنوي وجعلت كوري
فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل وموضع اللطف والغرابة
منه انه استعار الاقتيات لاذهاب الرحل شحم السنام مع ان الشحم
مما يقتات وقول ابن المعتز حتى اذا ما عرف الصيد الضار واذن
الصبح لنا في الابصار لما كان تعذر الابصار منعا من الليل
جعل امكانه عند ظهور الصبح اذنا منه وقول الآخر بعرض تنوفة
للريح فيها نسيم لا يروع الترب وان وقوله يناجيني الاخلاف
من تحت مطله فتختصم الآمال واليأس في صدري ثم الغرابة قد تكون
الشبه نفسه كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج
بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبي في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك
يصف فرسا له بانه مؤدب واذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم
الى انصراف الزائر وقد تحصل بتصرف في العامية كما في قول الآخر و
سالت باعناق المطي الاباطح اراد انها سارت سيرا حثيثا في غاية
السرعة وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كانها كانت سيولا وقعت في
تلك الاباطح فجرت بها ومثلها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة
بعينها قول ابن المعتز سالت عليه شعاب الحي حين دعا انصاره
بوجوه كالدنانير اراد انه مطاع في الحي وانهم يسرعون الى نصرته وانه
لا يدعوهم لخطب الا اتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم
كالسيول تجيء من هاهنا وهاهنا وتنصب من هذا المسيل وذاك
حتى يغص بها الوادي ويطفح منها وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن
التصرف فيه افاده اللطف والغرابة وذلك انه اسند الفعل الى الاباطح
والشعاب دون المطي او اعناقها والانصار او وجوههم حتى افاد انه
امتلأت الاباطح من الابل والشعاب من الرجال على ما تقدم في قوله
تعالى واشتعل الرأس شيبا وفي كل واحد منهما شيء غير الذي في الآخر يؤكد
امر الدقة والغرابة اما الذي في الاول فهو انه ادخل الاعناق في
السير لان السرعة والبطء في سير الابل يظهران غالبا في اعناقها على
ما مر واما الذي في الثاني فهو انه قال عليه فعدى الفعل الى ضمير الممدوح
بعلى فاكد مقصوده من كونه مطاعا في الحي وكما في قوله فرعاء ان نهضت
لحاجتها عجل القضيب وابطأ الدعص اذ وصف القضيب بالعجلة
والدعص بالبطء وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لالحاق
الشكل بالشكل كقول امرئ القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا
وناء بكلكل اراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلبا يتمطى به
اذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيء وبالغ في ذلك بان جعل له

ذي م

اعجازه بأن يردف بعضها بعضاً ثم اراد ان يصفه بالثقل على قلب ساهره و
الضغط لمكابده فاستعار له كلكلاً ينوء به اي يثقل به وقال الشيخ
(كابدت الامر اذا قاسيت شدته)
عبد القاهر لما جعل لليل صلباً قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له اعجازاً
قد اردف بها الصلب وثلث فجعل له كلكلاً قد ناء به فاستوفى
له جملة اركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من سواده اذا نظر قدامه
واذا نظر خلفه واذا رفع البصر ومده في عرض الجو واما باعتبار
الثلاثة اعني الطرفين والجامع فستة اقسام استعارة محسوس لمحسوس بوجه
حسي او بوجه عقلي او بما بعضه حسي وبعضه عقلي واستعارة معقول
لمعقول واستعارة محسوس لمعقول واستعارة معقول لمحسوس كل
ذلك بوجه عقلي لما مر اما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي
فكقوله تعالى فاخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فان المستعار منه ولد
البقرة والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حلي القبط
التي سبكتها نار السامري عند القائه فيها التربة التي اخذها
من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام والجامع لهما الشكل والجميع حسي
وكقوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض فان المستعار منه
حركة الماء على الوجه المخصوص والمستعار له حركة الانس والجن او يأجوج
ومأجوج وهما حسيان والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة و

الاضطراب

والاضطراب واما قوله واشتعل الرأس شيباً فليس مما نحن
فيه وان عد منه لان فيه تشبيهين تشبيه الشيب بشواظ
النار في بياضه وانارته وتشبيه انتشاره في الشعر باشتعالها
في سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه والاول استعارة بالكناية
(تدارك)
والجامع في الثاني عقلي وكلامنا في غيرهما واما استعارة محسوس
لمحسوس بوجه عقلي فكقوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه
النهار فان المستعار منه كشط الجلد وازالته عن الشاة
ونحوها والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظلمه
وهما حسيان والجامع لهما ما يعقل من ترتب امر على آخر و
(اي حصوله عقيبه)
قيل المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل وليس بسديد لانه
لو كان ذلك لقيل فاذا هم مبصرون او نحوه ولم يقل فاذا هم مظلمون
اي داخلون في الظلام قيل ومنه قوله تعالى اذ ارسلنا عليهم
الريح العقيم فان المستعار منه المرأة والمستعار له الريح و
الجامع المنع عن ظهور النتيجة والاثر فالطرفان حسيان و
الجامع عقلي وفيه نظر لان العقيم صفة للمرأة لا اسم لها وكذلك
جعل صفة للريح لا اسماً والحق ان المستعار منه ما في المرأة من
الصفة التي تمنع من انشاء مطر والقاح شجر والجامع لهما ما ذكر
(اي حمل شجر)

واما استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي
فكقولك رايت شمسا وانت تريد انسانا شبيها بالشمس في
حسن الطلعة ونباهة الشان واهمل السكاكي هذا القسم و
واما استعارة معقول لمعقول فكقوله تعالى من بعثنا من مرقدنا
فان المستعار منه الرقاد والمستعار له الموت والجامع لهما
عدم ظهور الافعال والجميع عقلي واما استعارة محسوس
لمعقول فكقوله تعالى فاصدع بما تؤمر فان المستعار منه صدع
الزجاجة وهو كسرها وهو حسي والمستعار له تبليغ الرسالة و
الجامع لهما التاثير وهما عقليان كانه قيل ابن الامر ابانة لا
ينمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة وكقوله تعالى ضربت عليهم الذلة
جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة
من ضربت عليه او ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب
الطين على الحائط فيلزمه والمستعار منه اما ضرب القبة على
الشخص واما ضرب الطين على الحائط وكلاهما حسي والمستعار له
حالهم مع الذلة والجامع الاحاطة او اللزوم وهما عقليان واما
استعارة معقول لمحسوس فكقوله تعالى انا لما طغى الماء فان
المستعار له كثرة الماء وهو حسي والمستعار منه التكبر والجامع الاستعلاء

المفرط

المفرط وهما عقليان واما باعتبار اللفظ فقسمان لانه ان كان اسم
جنس فاصلية كاسد وقتل والا فتبعية كالافعال والصفات
المشتقة منها والحروف لان الاستعارة تعتمد التشبيه
والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا وانما يصلح للموصوفية
الحقايق كما في قولك جسم ابيض او بياض صاف دون معاني الافعال
والصفات المشتقة منها والحروف فان قلت فقد قيل نحو شجاع
باسل وجواد فياض وعالم نحرير ان باسلا وصف للشجاع وفياضا
وصف للجواد ونحريرا وصف للعالم قلت ذلك متاول بان الثواني
لا تقع صفات الا لما يكون موصوفا بالاول فالتشبيه في الافعال
والصفات المشتقة منها لمعاني مصادرها وفي الحروف
لمتعلقات معانيها كالمجرور في قولنا زيد في نعمة و
رفاهية فيقدر التشبيه في قولنا نطقت الحال بكذا او الحال
ناطقة بكذا للدلالة بالنطق وعليه في التهكمية قوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم بدل فانذرهم وقوله انك لانت الحليم الرشيد
بدل السفيه الغوي وفي لام التعليل كقوله فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا للعداوة والحزن الحاصلين بعد
الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط وقد يتصل بهذا ان باحرف

حرف وضع في اصله لنداء البعيد ثم استعمل في مناداة القريب
لتشبيهه بالبعيد باعتبار امر راجع اليه او الى المنادي اما
الاول فكقولك لمن سها وغفل وان قرب يا فلان و اما
الثاني فكقول الداعي في جؤاره يا رب يا الله وهو اقرب اليه
من حبل الوريد فانه استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من
مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين
هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله تعالى مع
فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله و
اعلم ان مدار قرينة التبعية في الافعال والصفات المشتقة
منها على نسبتها الى الفاعل كما مر في قولك نطقت الحال او الى
المفعول كقول ابن المعتز جمع الحق لنا في امام قتل البخل واحيى
السماحا وكقول كعب بن زهير صبحنا الخزرجية مرهفات
اباد ذوي ارومتها ذووها والفرق بينهما ان الثاني مفعول
ثان دون الاول ونظيرا الثاني في قوله نقريهم لهذميات نقد بها
ما كان خاط عليهم كل زراد او الى المفعول الاول والثاني كقول
الحريري واقرى المسامع اما نطقت بيانا وبقود الحروف
الشموسا او الى المجرور كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم قال السكاكي

او الى الجميع كقول الآخر تقري الرياح رياض الحزن مزهرة
اذا سرى النوم في الاجفان ايقاظا وفيه نظر واما
باعتبار الخارج فثلثة اقسام احدها المطلقة وهي التي لم تقرن بصفة
ولا تفريع كلام والمراد المعنوية لا النعت وتابعها المجردة وهي التي قرنت
بما يلائم المستعار له كقوله كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت
لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف ثم نظر الى المستعار له وعليه
قوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف حيث قال اذاقها ولم يقل
كساها فان المراد بالاذاقة اصابتهم بما استعير له اللباس كانه قال
فاصابها الله بلباس الجوع والخوف قال الزمخشري الاذاقة جرت عندهم
مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها
فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك
من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع فان قيل
الترشيح ابلغ من التجريد فهلا قيل فكساها الله لباس الجوع
والخوف قلنا لان الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس من
غير عكس فكان في الاذاقة اشعار بشدة الاصابة بخلاف الكسوة
فان قيل لم لم يقل فاذاقها الله طعم الجوع والخوف قلنا لان الطعم
وان لاءم الاذاقة فهو مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان

ان المجرد والمرشح انما يكونان بعد تمام الاستعارة بالقرينة
المرشحة وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله ينازعني
ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي
ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر فانه استعار الرداء
للسيف لنحو ما سبق ثم وصفه بالاعتجار الذي هو وصف الرداء
نظرا الى المستعار منه وعليه قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم فانه استعار الاشتراء للاختيار وقفاه
بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء نظرا الى المستعار
منه وقد يجتمع التجريد والترشيح كما في قول زهير لدى اسد شاكي
السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم والترشيح ابلغ من
التجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة ولهذا كان مبناه على تناسي
التشبيه حتى انه يوضع الكلام في علو المنزلة وضعه في علو المكان
كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء
فلولا ان قصده ان يتناسى التشبيه ويصمم على انكاره فيجعله صاعدا
في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه وكما
قال ابن الرومي يا آل نوبخت لا عدمتكم ولا تبدلت بعدكم بدلا
ان صح علم النجوم كان لكم حقا اذا ما سواكم انتحله كم عالم فيكم

وليس بان قاس ولكن بان رقي صعدا اعلاكم في السماء مجدكم فلستم
تجهلون ما جهلا شافهتم البدر بالسؤال عن الامر الى ان بلغتم
زحلا وكما قال بشار اتتني الشمس زايرة ولم تك تبرح الفلكا
وكما قال ابو الطيب كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس
وليس فيها المشرق وكما قال غيره ولم ار قبلي من مشى البدر نحوه و
لا رجلا قامت تعانقه الاسد ومن هذا الفن ما سبق من التعجب
والنهي عنه غير ان موجب التعجب على عكس موجب النهي عنه فان موجبه
اثبات وصف ممتنع ثبوته للمستعار منه وموجب النهي عنه اثبات خاصة
من خواص المستعار منه واذا جاز البناء على المشبه به مع الاعتراف
بالمشبه كما في قول العباس بن الاحنف هي الشمس مسكنها في السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا فلن تستطيع اليها الصعود ولن
تستطيع اليك النزولا وقول سعيد بن حميد قلت زوري
فارسلت انا آتيك سحره قلت فالليل كان اخفى وادنى
منه ره فاجابت بحجة زادت القلب حيرة انا شمس وانما
تطلع الشمس بكرة فلان يجوز مع جحده في الاستعارة اولى
ومن هذا الباب قول الفرزدق ابي احمد الغيثين صعصعة
الذي متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر اجاد بنات الوائدين

ومن يجزع على الموت فاعلم انه غير مخلد ادعى لابيه اسم الغيث
ادعاء من سلم له ذلك ومن الخطى بباله انه متناول له من طريق
التشبيه وكذا قول عدي بن الرقاع يصف حاديين وحشيتين
يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى اذا وردا مكانا محزنا واذا السنابك اسهلت نشراها

واما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما
شبه بمعناه الاصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه اي
تشبه احدى صورتين منتزعتين من امرين او امور بالاخرى ثم
تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر
بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه كما كتب به الوليد بن يزيد
لما بويع الى مروان بن محمد وقد بلغه انه متوقف في البيعة اما
بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاذا اتاك كتابي هذا
فاعتمد على ايتهما شئت والسلام شبه صورة تردده في
المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في امر فتارة يريد
الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر اخرى وكما
يقال لمن يعمل في غير معمل اراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء والمعنى
انك في فعلك كمن يفعل ذلك وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه

صاحبه الى حالة كان يمتنع منه ما زال يفتل منه في الذروة والغارب
حتى بلغ منه ما اراد والمعنى انه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه
حاله فيه حال من يجيء الى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر في
ذروته وغاربه حتى يسكن ويستانس وهذا المعنى نظير قولهم
فلان يقرد فلانا اي يتلطف به فعل من ينزع القراد من
البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من اخذه
وكذا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
فانه لما كان التقدم بين يدي الرجل خارجا عن صفة المتابع له صار
النهي عن التقدم متعلقا باليدين مثلا للنهي عن ترك الاتباع وكذا
قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة اذ المعنى والله اعلم ان
مثل الارض في تصرفها تحت امر الله وقدرته مثل الشيء يكون في
قبضة الاخذ له منا والجامع يده عليه وكذا قوله تعالى والسموات مطويات
بيمينه اي يخلق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوي بيمين
الواحد منا وخص اليمين ليكون اعلى في التفخيم للمثل لانها اشرف اليدين
واقواهما والتي لا غنى للاخرى بدونها فلا يهش انسان لشيء
الابداء بيمينه فهي بابها البتة ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية
جعل في اليمين ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى كما قال ابن ميادة

في م

المراد نفي ينبئك حولت فلا تجعلني بعد هاني شمالك اي كنت
مكرماً عندك فلا تجعلني مهاناً وكنت في المكان الشريف منك
فلا تحطني في المنزل الوضيع وكذا اذا قلت للمخلوق الامر بيدك اراد
المثل اي الاحكام التي يحصل غيرك ولا يمتنع عليك وكذا قوله تعالى
ولما سكت عن موسى الغضب قال الزمخشري كأن الغضب كان يغريه
على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك
اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم تستحسن هذه الكلمة ولم
تستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل
شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب
لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة
واما قولهم اعتصمت بحبله فقال الزمخشري ايضا يجوز ان يكون
تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان
مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده
والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه
وكذا قول الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
التشبيه فيه ماخوذ من مجموع التلقي واليمين على حد قولهم تقبلته
بكلتا اليدين ولهذا لا يصلح حيث يقصد التجوز فيها وحدها فلا يقال

هو

هو عظيم اليمين بمعنى هو عظيم القدرة ولا عرفت يمينك على العدو بمعنى عرفت
قدرتك عليه ومثله قول الآخر هون عليك فان الامور بكف الاله
مقاديرها ولكذا ما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احدكم اذا
تصدق بالتمرة من الطيب ولا يقبل الله الا الطيب جعل الله ذلك
في كفه فيربيها كما يربي احدكم فلوه حتى يبلغ بالتمرة مثل احد والمعنى
فيها على انتزاع الشبه من المجموع وكل هذا التمثيل على سبيل الاستعارة
يكون وجهه منتزعا من عدة امور
وقد يسمى التمثيل مطلقا ومتى فشا استعماله كذلك يسمى مثلا ولذلك لا
تغير الامثال ومما يبتنى على التمثيل نحو قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
لان الاستعارة يجب ان يكون لفظ المشبه به المستعار
كان له قلب معناه لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي ان ينظر فيه واع لما
يجب وعيه لكن عدل عن هذه العبارة ونحوها الى ما عليه التلاوة لقصد
البناء على التمثيل ليفيد ضربا من التخييل وذلك انه لما كان الانسان حين
لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغي ان ينظر فيه ولا يعيه ولا يعي جعل كأنه
قد عدم القلب جملة كما يجعل من لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤديان
اليه بمنزلة العادم لهما ولزم على هذا ان لا يقال فلان له قلب الا اذا كان
ينتفع بقلبه فينظر فيما ينبغي ان ينظر فيه ويعي ما يجب وعيه فكان في
قوله تعالى لمن كان له قلب تخييل ان من لا ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة
خلافه نحو قولنا لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي ان ينظر فيه واع لما يجب

وعيه

لكن عدل عن هذه العبارة وعن قوله الى ما عليه التلاوة لقصد البناء على
التمثيل لغيبه ضربا من التخييل وذلك انه لما كان الانسان حين لا ينتفع بقلبه
ولا ينظر فيما ينبغي ان ينظر فيه ولا يفهم ولا يعي جعل كانه قد عدم القلب
جملة كما جعل من لا ينتفع بسمعه وبصره ولا يفكر فيما يؤديان اليه عدمهما
العادم لهما ولزم على هذا ان لا يقال فلان له قلب الا اذا كان ينتفع
بقلبه فينظر فيما ينبغي ان ينظر فيه ويعي ما يجب ان يعيه فكان تقدير قوله
تعالى لمن كان له قلب قيل ان من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة
بخلاف نحو قولنا لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي ان ينظر فيه واع لما يجب ان يعيه
وفي نظم الآية فائدة اخرى شريفة وهي تقليل اللفظ مع تكثير المعنى و
نقل الشيخ عبد القاهر عن بعض المفسرين انه قال المراد بالقلب العقل
ثم شدد عليه النكير في هذا التفسير وقال وان كان المرجع فيما ذكرناه عند
التحصيل الى ما ذكره ولكن يجب عليه ان الكلام مبني على التخييل ان من
لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعي بمنزلة من عدم قلبه جملة كما يقولون في قول الرجل فيما ينتفع به
اذا قال قد غاب عني قلبي او ليس يحضرني قلبي انه يريد ان يخيل الى السامع
انه قد غاب عنه قلبه جملة دون ان يريد الاخبار انه علمه لم يكن هناك و
ان كان المرجع عند التحصيل الى ذلك وكذا اذا قال لم اكن هناك يريد غفلته
عن الشيء فهو يضيع كلامه على التحصيل هذا معنى كلام الشيخ وهو حق لان المراد

بالآية الحث على النظر والتقريع على تركه فاذا اراد هذا المفسر تفسير
ان المعنى لمن كان له عقل مطلقا فهو ظاهر الفساد وان اراد ان المعنى لمن كان
له عقل ينتفع به ويعمله فيما خلق له من النظر فيفسر القلب بالعقل ثم تقييد
القلب بالتيقظ عري عن الفائدة لصحة وصف القلب بذلك بدليل قوله
تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها **اصل** اعلم ان المثل السائر لما كان فيه
غرابة استعير لفظ المثل للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان
وفيها غرابة وهو في القرآن كثير كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا
اي حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكقوله ولله المثل
الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة وقوله مثلهم في التورية
اي صفتهم وشانهم المتعجب منه وكقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي
فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها
الى غير ذلك **فصل** قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء
من اركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بان يثبت للمشبه امر مختص
بالمشبه به من غير ان يكون هناك امر ثابت حسا او عقلا اجري عليه اسم
ذلك الامر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية او مكنيا عنها واثبات ذلك
الامر للمشبه استعارة تخييلية كما في قول لبيد وغداة ريح
قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه جعل للشمال يدا

به ومعلوم انه ليس هناك امر ثابت حسا او عقلا تجرى اليد عليه كاجراء

الاسد على الرجل الشجاع والصراط على ملة الاسلام فيما سبق ولكن لما

شبه الشمال لتصريفها القرة على حكم طبيعتها في التصريف بالانسان المتصرف

لما زمامه بيده واثبت لها يدا على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهها

به وحكم الزمام في استعارته للقرة حكم اليد في استعارتها للشمال فجعل

على القرة زماما ليكون اتم في اثباتها متصرفة كما جعل للشمال يدا ليكون

ابلغ في تصييرها متصرفة فوفى المبالغة حقها من الطرفين فالضمير في اصبحت

وزمامها للقرة وهو قول الزمخشري والشيخ عبد القاهر جعله للغداة

والاول اظهر واعلم ان الامر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه منه ما لا

يكمل وجه الشبه في المشبه بدونه كما في قول ابي ذؤيب الهذلي

واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع فانه

شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير

تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم ولا ابقاء على ذي فضيلة

فاثبت للمنية الاظفار التي لا يكمل ذلك في السبع بدونها تحقيقا

للمبالغة في التشبيه ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه في المشبه

به كما في قول الآخر ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي

بالشكاية انطق فانه شبه الحال الدالة على المقصود بانسان متكلم

في الدلالة على المقصود فاثبت لها اللسان الذي به قوام الدلالة

في الانسان واما قول زهير صحا القلب عن سلمى واقصر

باطله وعري افراس الصبا ورواحله فيحتمل ان يكون استعارة

تخييلية وان يكون استعارة تحقيقية اما التخييل فان يكون اراد

ان يبين انه ترك ما كان يرتكبه اوان المحبة من الجهل والغي واعرض

عن معاودته فتعطلت الآته كامر وطنت النفس على تركه فانه

تهمل الآلة فتتعطل فشبه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة

قضى منها الوطر فاهملت آلاتها فتعطلت فاثبت له الافراس و

الرواحل فالصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل والفتوة لا من

الفتاء واما التحقيق فان يكون اراد دواعي النفوس وشهواتها و

القوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات او الاسباب التي قلما تتاخذ

في اتباع الغي الا اوان الصبا **فصل** اعلم ان كلام السكاكي

في هذا الباب اعني باب الحقيقة والمجاز والفصل الذي يليه مخالف

لما في الاستعارة
لمواضع مما ذكرناه فلا بد من التعرض لها ولبيان ما فيها فمنها انه عرف

الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تاويل

في الوضع وقال انما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة فان الكلمة مستعملة فيما

هي موضوعة له على احد القولين ولا تسميها حقيقة بل نسميها مجازا
لغويا لبناء دعوى المستعار موضوعا للمستعار له على ضرب من
التأويل كما مر ثم عرف المجاز اللغوي بالكلمة المستعملة في غير ما
هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها
مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع وقال قولي بالتحقيق
احتراز عن ان لا تخرج الاستعارة التي هي من باب المجاز نظرا الى
دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له على ما مر وقوله استعمالا في الغير
بالنسبة الى نوع حقيقتها بمنزلة قولنا في تعريف المجاز في اصطلاح
به التخاطب كما مر وقوله مع قرينة الى آخره احتراز عن الكناية كما
تقدم وفيهما نظر لان لفظ الوضع وما يشتق منه اذا اطلق لا يفهم
منه الوضع بتأويل وانما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير
الوضع فلا حاجة الى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل و
في تعريف المجاز بالتحقيق اللهم الا ان يراد زيادة البيان لا تتميم
الحد ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه اذا كان لا بد منه
في تعريف المجاز لئلا يدخل فيه نحو لفظ الصلوة اذا استعمله المخاطب
بعرف الشرع في الدعاء مجازا فلا بد منه في تعريف الحقيقة ايضا لئلا يخرج
نحو هذا اللفظ منه كما سبق وقد اهمله في تعريفها لا يقال قوله في تعريفها

من غير تأويل في الوضع احترز عن هذا القيد فان استعمال اللفظ فيما وضع
له في غير اصطلاح التخاطب انما يكون بتأويل في وضعه لان التأويل
في الوضع يكون في الاستعارة على احد القولين دون سائر اقسام المجاز
ولئن سلم قال وانما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة ثم تعريفه
للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم ومنها انه قسم المجاز الى
الاستعارة وغيرها وعرف الاستعارة بان يذكر احد طرفي
التشبيه ويريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس
المشبه به وقسم الاستعارة الى المصرح بها والمكنى عنها و
عنى بالمصرح بها ان يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه
به وجعلها ثلثة اضرب تحقيقية وتخييلية ومحتملة للتحقيق و
التخييل وفسر التحقيقية بما مر وعد التمثيل على سبيل الاستعارة
منها وفيه نظر لان التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون الا
مركبا كما سبق فكيف يكون قسما من المجاز المفرد ولو لم يقيد الاستعارة
بالافراد وعرفها بالمجاز الذي اريد به ما شبه بمعناه الاصلي
مبالغة في التشبيه دخل كل من التحقيقية والتمثيل في تعريفه
الاستعارة ومنها انه فسر التخييلية بما استعمل في صورة وهمية
محضة قدرت مشابهة لصورة محققة هي معناه كلفظ الاظفار

في قول الهذلي فانه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال على ما تقدم
اخذ الوهم في تصويرها بصورته واختراع مثل لوازم صورته
فيتم به شكله لها من الهيئات والجوارح وعلى الخصوص ما يكون
قوام اغتياله للنفوس به فاخترع للمنية صورة مشابهة لصورة
الاظفار المحققة فاطلق عليها اسمها وفيه نظر لان تفسير التخييلية بما
ذكره بعيد لما فيه من التعسف وايضا فهو بتفسيره لها بقولهم
جعل الشي للشي كجعل لبيد للشمال يدا ينافي تفسيره ان
يجعل للشمال صورة متوهمة مثل صورة اليد لا ان يجعل لها يدا
فاطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة وعلى تفسير غيره حقيقة
والاستعارة اثباتها للشمال كما قلنا في المجاز العقلي الذي فيه المسند
حقيقة لغوية وايضا فيلزمه ان يقول بمثل ذلك على باثبات صورة متوهمة
في ترشيح الاستعارة لان كل واحد من التخييلية والترشيح فيه اثبات
بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه غير ان التعبير عن المشبه في
التخييلية بلفظه الموضوع له وفي الترشيح بغير لفظه وهذا لا يفيد فرقا
في ذلك والقول بهذا يقتضي ان يكون الترشيح ضربا من التخييلية فيه
لبعد كذلك ايضا فتفسيره للتخييلية اعم من ان يكون تابعة للاستعارة
بالكناية كما في بيت الهذلي او غير تابعة بان يتخيل ابتداء صورة وهمية

مشابهة لصورة محققة فيستعار لها اسم الصورة المحققة والثاني بعيدة
جدا ومن كلامه ما يدل على ارادته دخول الثانية في تفسير التخييلية انه قال حسنها
بحسب حسن المكني عنها متى كانت تابعة لها كما في قولك فلان بين انياب
المنية ومخالبها وقلما يحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ولذلك استهجنت
في قول الطائي لا تسقني ماء الملام فان قيل لم لا يجوز ان يريد بغيرها
التابعة للمكني عنها التابعة لغير المكني عنها قلنا غير المكني عنها هو
المصرح بها فتكون التابعة لها ترشيح الاستعارة وهو من احسن وجوه
البلاغة فكيف يصح استهجانه واما قول ابي تمام فليس لي فيه دليل الجواز
ان يكون ابو تمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملوم
كما ان الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته او مرارته فتكون
التخييلية في قوله تابعة للمكني عنها او بالماء نفسه لان اللوم قد يسكن
حرارة الغرام كما ان الماء يسكن غليل الاوام فتكون تشبيها على حد لجين
الماء فيخرج عن الاستعارة والاستهجان على الوجهين لانه كان ينبغي له ان
يشبهه بظرف شراب مكروه او بشراب مكروه ولهذا لم يستهجن نحو
قولهم اغلظت لفلان القول وجرعته منه كاسا مرة او سقيته امر من
العلقم ومنها انه عنى بالاستعارة المكني عنها ان يكون المذكور من طرفي
التشبيه هو المشبه على ان المراد بالمنية في قول الهذلي السبع بادعاء

السبعية لها فكان ان يكون شيئا غير السبع لقرينة اضافة الاظفار
اليها وفيه نظر للقطع بان المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان
المفترس فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق وكذا كل ما هو نحوه ولا شيء
من الاستعارات مستعملا كذلك واما ما ذكره في تقرير قوله من انا ندعي
ههنا ان اسم المنية اسم للسبع مرادف للفظ السبع بارتكاب تاويل وهو
ان تدخل المنية في جنس السبع للمبالغة في التشبيه ثم تذهب على سبيل
التخييل الى ان الواضع كيف يصح منه ان يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونا
مترادفين فيتهيا لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح
بلفظ المنية فلا يفيده لان ذلك لا ينفي كون اسم المنية غير مستعمل فيما هو
جواب اما ما ذكره
موضوع له على التحقيق من غير تاويل فيدخل في تعريف الحقيقة ويخرج من
تعريف المجاز وكانه لما راى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على
نحو ما نحن فيه وعلى احد نوعي المجاز اللغوي الذي هو اللفظ المستعمل فيما
شبه بمعناه الاصلي ويقولون الاستعارة تنافي ذكر طرفي التشبيه ظن
ان مرادهم بلفظ الاستعارة عند الاطلاق وفي قولهم استعارة بالكناية
معنى واحد فبنى على ذلك ما تقدم ومنها انه قال في آخر فصل الاستعارة
التبعية هذا ما امكن من تلخيص كلام الاصحاب في هذا الفصل ولو انهم
جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية بان قلبوا

اي استعارة بالكناية

جعلها في نحو قولهم نطقت الحال بكذا اذ ذكروها عندهم قرينة الاستعارة
بالتصريح استعارة بالكناية من المتكلم بواسطة المبالغة
في التشبيه على مقتضى المقام وجعلوا نسبة النطق اليه
قرينة الاستعارة كما تراهم في قوله واذا المنية انشبت اظفارها
يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ويجعلون اثبات
الاظفار لها قرينة الاستعارة وهكذا لو جعلوا البخل عن حي
ابطلت حيوته بسيف او غير سيف فالتحق بالعدم وجعلوا
نسبة القتل اليه قرينة الاستعارة ولو جعلوا ايضا اللهذميات
استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على
سبيل التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى اليها قرينة الاستعارة
لكان اقرب الى الضبط هذا لفظه وفيه نظر لان السبعية التي جعلها
قرينة لقرينتها التي جعلها استعارة بالكناية كنطقت في قولنا
نطقت الحال بكذا لا يجوز ان تقدرها حقيقة لانه لو قدرها حقيقة
بان يراد بها معناها الحقيقي
لم يكن استعارة تخييلية لان الاستعارة التخييلية عنده مجاز
كما مر ولو لم يكن تخييلية لم يكن الاستعارة بالكناية مستلزمة
للتخييلية واللازم باطل بالاتفاق فتعين ان تقدرها مجازا
واذا قدروها مجازا لزمهم ان تعذروها من قبيل الاستعارة لكون

استعارة بالكناية

العلاقة بين المعنيين هي المشابهة فلا يكون مما ذهب اليه مغنيا

عن قسمة الاستعارة الى اصلية وتبعية ولكن يستفاد مما ذكر

ه الزكيّ البتعة الى تركيب الاستعارة بالكناية على ما

فسرناها ويصير التبعية حقيقة واستعارة تخييلية لما سبق في

التخييلية على ما فسرناها حقيقة لا مجاز فصل واذ قد

عرفت معنى الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخييلية و

الاستعارة بالكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة فاعلم ان

لحسنها شروطا ان لم تصادفها عريت عن الحسن وربما اكتسبت قبحا

وهي في كل من التحقيقية والتمثيل رعاية ما سبق ذكره من جهات

حسن التشبيه وان لا يشم من جهة اللفظ رائحته ولذلك يوصى فيه

ان يكون التشبيه بين طرفيها جليا بنفسه او عرفا او غيره والا صار

تعمية والغازا لا استعارة وتمثيلا كما اذا قيل رايت اسدا واريد

انسان ابخر وكما اذا قيل رايت ابلا مائة لا تجد فيها راحلة واريد

الناس او قيل رايت عيرا مستفيا واريد الحسن واريد انسان

مودب في صباه وبهذا ظهر انهما لا يجيئان في كل ما يجيء فيه التشبيه

ومما يتصل بهذا انه اذا قوي الشبه بين الطرفين حيث صار الفرع

كانه الاصل لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة وذلك كالنور

كالنور اذا شبه العلم به والظلمة اذا شبهت الشبهة بها فانه لذلك

يقول الرجل اذا فهم المسئلة حصل في قلبي نور ويقول لمن اوقعه في شبهة

او قعتني في ظلمة ولا يقول كانه نور او وقعت في ظلمة وكذا المكنية عنها في حسنها

برعاية جهات حسن التشبيه واما التخييلية فحسنها بحسب حسن المكنية

عنها لما بينا انها لا تكون الا تابعة لها فصل واعلم ان الكلمة

كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الاصلي كما مر توصف به ايضا

لنقلها عن اعرابها الاصلي الى غيره لحذف لفظ او زيادة لفظ اما الحذف

فكقوله تعالى واسئل القرية اي اهل القرية فالاعراب القرية في الاصل هو الجر

فحذف المضاف واعطي المضاف اليه اعرابه ونحوه قوله تعالى وجاء ربك

اي امر ربك وكذا قولهم بنو فلان يطؤهم الطريق اي اهل

الطريق واما الزيادة فكقوله تعالى ليس كمثله شيء على القول بزيادة

الكاف اي ليس مثله شيء فاعراب مثله في الاصل هو النصب فزيدت

الكاف فصار جرا فان كان الحذف او الزيادة لا يوجب تغيير

الاعراب كما في قوله تعالى او كصيب من السماء اذ اصله او كمثل ذوي

صيب فحذف ذوي لدلالة يجعلون اصابعهم في آذانهم عليه و

حذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله كمثل الذي استوقد نارا اذ

لا حاجة الى التشبيه ليس بين صفة المنافقين الحيية الثاني وذو

دون حبيب وكقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقوله لئلا يعلم
اهل الكتاب فلا توصف الكلمة بالمجاز وقد بالغ الشيخ عبد
القاهر في الانكار على من اطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف او
الزيادة

القول في الكناية

الكناية لفظ اريد
به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ كقولك فلان طويل النجاد
اي طويل القامة وفلانة نؤوم الضحى اي مرفهة مخدومة غير محتاجة
الى السعي بنفسها في اصلاح المهمات وذلك ان وقت الضحى وقت
سعي نساء العرب في امر المعاش وكفاية اسبابه وتحصيل ما يحتاج
اليه في تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها فلا تنام فيه من نسائهم
الا من يكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك ولا يمتنع ان يراد
مع ذلك طول النجاد والنوم في الضحى من غير تاويل فالفرق بينها
وبين المجاز من هذا الوجه اي من جهة جواز ارادة المعنى مع ارادة
لازمه فان المجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو قولك في الحمام اسد ان
تريد معنى الاسد من غير تاويل لان المجاز ملزوم قرينة معاندة
لارادة الحقيقة كما عرفت وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء
وفرق السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر ايضا وهو ان مبنى الكناية
على الانتقال من اللازم الى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من

الملزوم

الملزوم الى اللازم وفيه نظر لان اللازم ما لم يكن ملزوما
امتنع ان ينتقل منه الى الملزوم فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم
الى اللازم ولو قيل اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دون
المجاز او شرط لها دونه اندفع هذا الاعتراض لكن اتجه منع الاختصاص
والاشتراط ثم الكناية ثلثة اقسام لان المطلوب بها اما غير صفة
ولا نسبة او صفة او نسبة والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم
والشجاعة وامثالها لا النعت الاولى المطلوب بها غير صفة ولا
نسبة فمنها ما هو معنى واحد كقولنا المضياف كناية عن زيد ومنه
قوله كناية عن القلب الضاربين بكل ابيض مخذم
والطاعنين مجامع الاضغان ونحوه قول البحتري في قصيدته التي
يذكر فيها قتله للذيب فاتبعتها اخرى فاضللت نصلها بحيث
يكون اللب والرعب والحقد فقوله بحيث يكون اللب والرعب
والحقد ثلث كنايات لا كناية واحدة لاستقلال كل واحد منها بافادة
المقصود ومنها ما هو مجموع معان كقولنا كناية عن الانسان
حي مستوي القامة عريض الاظفار وشرط كل واحد منهما ان يكون
مختصة بالمكنى عنه لا يتعداه ليحصل الانتقال منها اليه وجعل
السكاكي الاولى قريبة والثانية بعيدة والقريبة ما ينتقل

منها الى المطلوب وفيه نظر الثانية المطلوب بها صفة وهي ضربان
قريبة وبعيدة القريبة ما ينتقل منها الى المطلوب بها لا بواسطة
وهي اما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاده و
طويل النجاد والفرق بينهما ان الاول كناية ساذجة والثاني
كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف
الاول ومنها قول الحماسي ابت الروادف والثدي لقمصها
مس البطون وان تمس ظهورا واما خفية كقولهم كناية عن الابله
عريض القفا فان عرض القفا وعظم الرأس اذا افرط فيما يقال
دليل الغباوة والاشارة الى قول طرفة بن العبد انا الرجل الضرب
الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد والبعيدة ما ينتقل
منها الى المطلوب بها بواسطة كقولهم كناية عن الابله عريض
الوسادة فانه ينتقل من عرض الوسادة الى عرض القفا ومنه الى
المقصود وقد جعله السكاكي من القريبة على انه كناية عن عرض القفا
وفيه نظر وكقولهم كثير الرماد كناية عن المضياف فانه ينتقل من
كثرة الرماد الى كثرة احراق الحطب تحت القدر ومنها الى كثرة الطبائخ
ومنها الى كثرة الاكلة ومنها الى كثرة الضيفان ومنها الى المقصود و
كقوله وما يك فيّ من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل

فانه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار
من هو بمرصد لان يعس دونها مع كون الهرير في وجه من لا
يعرفه طبيعيا له الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته
وجوها اثر وجوه ومن ذلك الى كونه مقصد اداني واقاصي
ومن ذلك الى انه مشهور بحسن قرى الاضياف وكذا ينتقل من هزال
الفصيل الى فقد الام ومنه الى قوة الداعي الى نحرها لكمال عناية
العرب بالنوق لاسيما المتليات ومنها الى صرفها الى الطبائخ ومنها
الى انه مضياف ومن هذا النوع قول نصيب لعبد العزيز على
قومه وغيرهم منن ظاهرة فبابك اسهل ابوابهم ودارك مأهولة
عامرة وكلبك آنس بالزائرين من الام بالابنة الزائرة فانه ينتقل
من وصف كلبه بما ذكر الى ان الزائرين معارف عنده ومن ذلك الى
اتصال مشاهدته اياهم ليلا ونهارا ومنه الى لزومهم سدته
ومنه الى تسني مباغيهم لديه من غير انقطاع ومنه الى وفور احسانه
الى الخاص والعام وهو المقصود ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر يكاد
اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم ومنه قوله لا امتع العوذ
بالفصال ولا ابتاع الا قريبة الاجل فانه ينتقل من عدم امتاعها الى
انه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها

ومن ذلك الى خرها او لا يبقى العودة لبنائه على فضالها وكذا قرب الاجل
ينتقل منها الى خرها ومن خرها الى انه مضياف ومن لطيف هذا
القسم قوله تعالى ولما سقط في ايديهم اي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم
على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده
غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وكذا قول ابي الطيب
كناية عن الكذب « تشتكي ما اشتكيت من الم الشوق اليها و
الشوق حيث النحول » وكذا قوله الى كم ترد الرسل عما اتوا به كانهم
فيما وهبت ملام « فان اوله كناية عن الشجاعة واخره كناية عن
السماحة وكذا قول ابي تمام « فان انا لم يحمدك عني صاغرا عدوك فاعلم
انني غير حامد » يريد بحمد معنه حفظه مدحه فيه وانشاده اي ان لم
اكن اجيد القول في مدحك حتى يدعو حسنه عدوك الى ان يحفظه ويبلغ
به صاغرا فلا تعدني حامدا لك بما اقول فيك ووصفه بالصغار لان من
حفظ مديح عدوه وينشده فقد اذل نفسه فكنى بحفظ عدو الممدوح
مدحه له عن اجادته القول في مدحه وكذا قول من يصف راعي ابل او
غنم ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس
اصبعا « وقول الاخر صلب العصا بالضرب قد دماها اي جعلها
كالدمى في الحسن والغرض بقوله الاول ضعيف العصا وقول الثاني صلب العصا

وهما وان كانا في الظاهر متضادين فانهما كنايتان عن شيء واحد
وهو حسن الرعية والعمل بما يصلحها ويحسن اثره عليها فاراد
الاول انه رفيق بها مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا ان يوجعها
بالضرب من غير فائدة فهو يتخيرها لان من العصي واراد الثاني انه
جيد الضبط لها عارف بسياستها في الرعي يزجرها عن المراعي
التي لا تحمد ويتوخى بها ما تسمن عليه وتتضمن ايضا انه يمنعها عن
التشرد والتبدد وانها لما عرفت من شدة شكيمته وقوة عزيمته
تنساق في الجهة التي يريدها وقوله بالضرب قد دماها تقديره حسنة
ويدعوا مرها قوله صلب العصا الثالثة المطلوب بها النسبة
كقول زياد الاعجم « ان السماحة والمروة والندى في قبة
ضربت على ابن الحشرج « فانه اراد ان لا يصرح باثبات هذه
الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة تنبيها بذلك على ان محلها
ذو قبة وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين
فافاد اثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية ونظيره
قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه قال السكاكي وقد
يظن هذا من قسم زيد طويل نجاده وليس بذلك فطويل نجاده
باسناد الطويل الى النجاد تصريح باثبات الطول للنجاد وطول

النجاد وكناية عن تمام مقام طول القامة فاذا صرح بعد ما باثبات
طول النجاد له زيد بالاضافة كان ذلك تصريحا باثبات الطول لزيد
فتأمل وكقول الآخر والمجد يدعو ان يدوم لجيده عقد مساعي
ابن العميد نظامه فانه شبه المجد بانسان بديع الجمال في ميل
النفوس اليه واثبت له جيدا على سبيل الاستعارة التخييلية
ثم اثبت لجيده عقدا ترشيحا للاستعارة ثم خص مساعي ابن
العميد بانها نظامه فنبه بذلك على اعتنائه خاصة بنبهه
بذلك على محبته وجعله له وبها على اختصاصه به ونبه بدعاء المجد
ان يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد وبذلك
على اختصاصه به وكقول ابي نواس فما جازه جود ولا حل دونه و
لكن يصير الجود حيث يصير فانه كنى عن جميع الجود بان نكره ونفى
ان يجوز ممدوحه ويحل دونه فيكون متوزعا في نواحي شتى بهذا
وعن اثباته له بتخصيصه بجهته بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم
ونظيره قولهم مجلس فلان مظنة الجود والكرم هذا قول السكاكي و
قيل كنى بالشطر الاول عن اتصافه بالجود وبالثاني عن لزوم الجود
له ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به
عدم الاقتصار على احدهما للتاكيد والتقرير وذكرهما على الترتيب المذكور

لان الاولى بواسطة بخلاف الثانية وكقولهم مثلك لا يبخل قال
الزمخشري نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا
المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن
يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره
قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا
تخفر ومنه قولهم ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه
وبلوغه وعليه قوله تعالى ليس كمثله شيء على احد الوجهين وهو ان لا
تجعل الكاف زائدة قيل وهذا غاية لنفي التشبيه اذ لو كان له مثل
لكان لمثله شيء وهو ذاته تعالى فلما قال ليس كمثله شيء دل على انه ليس له
مثل واورد انه يلزم منه نفيه تعالى لانه مثل مثله ورد بمنع انه
مثل مثله لان صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله تعالى عن ذلك وكقول
الشنفرى الازدي في وصف امرأة بالعفة يبيت بمنجاة
من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت فانه نبه بنفي
اللوم عن بيتها على انتفاء انواع الفجور عنه وبه على براءتها منها و
قال يبيت دون يظل ليريد اختصاصها بالليل بالنواحي هذا كما
رواه الشيخ عبد القاهر والسكاكي وفي الاغاني الكبير يحل بمنجاة
وقد يظن ان ههنا قسما رابعا وهو ان يكون المطلوب بالكناية

الوصف والنسبة معاً كما تقال بكثرة الرماد في ساحة عمرو في
الكناية عن انه كان مضيافاً ولبس بذلك اذ ليس هاهنا كناية
واحدة بل هو كنايتان احديهما عن المضيافية والثانية على ثباتها
لعمرو وقد ظهر بهذا ان طرق النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز
ان يكون مكنياً عنه ايضاً كما في المثال ونحو بيت الشنفرى المتقدم
فان حلول البيت منجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة الى صاحبها
والمنجاة من اللوم كناية عن العفة ثم اعلم ان الموصوف في القسم
الثاني والثالث قد يكون مذكوراً كما مر وقد يكون غير مذكور كما تقال
في عرض من يؤذي المسلمين المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
اي ليس المؤذي مسلماً وعليه قوله تعالى في عرض المنافقين هدى للمتقين
الذين يؤمنون بالغيب ان فسّر الغيب بالغيبة اي يؤمنون مع الغيبة
عن حضرة النبي عليه السلام واصحابه رضي الله عنهم اي هدى للمؤمنين
عن اخلاص لا للمؤمنين عن نفاق وقال السكاكي الكناية تتفاوت الى
تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة متباعدة لكثرة الوسايط
فان كانت عرضية فالمناسب ان تسمى تعريضاً والا فان كان بينها وبين
المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسايط كما في كثير الرماد واشباهه
فالمناسب ان تسمى تلويحاً لان التلويح هو ان تشير الى غيرك عن بعد

والا فان كان فيها نوع خفاء فالمناسب ان تسمى رمزاً لان الرمز
هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال ورمزت اليّ
مخافة من بعيها ان تبدى هناك والا فالمناسب ان تسمى ايماء واشارة
كقول ابي تمام يصف ابلاً ابين فما يزرن سوى كريم وحسبك
ان يزرن ابا سعيد فانه في افادة ان ابا سعيد كريم غير خاف
وكقول البحتري او ما رايت المجد القى رحله في آل طلحة ثم لم
يتحول فانه في افادة ان آل طلحة امجاد ظاهر وكقول الآخر
اذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بني حنبل وسقى
ديارهم باكراً من الغيث في الزمن الممحل وكقول الآخر
متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم ثم قال والتعريض
كما يكون كناية قد يكون مجازاً كقولك آذيتني فستعرف وانت
لا تريد المخاطب بل تريد انساناً معه وان اردتهما جميعاً كان
كناية تنبيه اطبق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة
وان الاستعارة ابلغ من التصريح بالتشبيه وان التمثيل على سبيل
الاستعارة ابلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة وان الكناية
ابلغ من الافصاح بالذكر قال الشيخ عبد القاهر ليس ذلك لان
الواحد من هذه الامور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه

بل لانه يفيد تاكيداً لاثبات المعنى لا يفيده حالاوه فليست فضيلة في
قولنا رايت اسداً على قولنا رايت رجلاً هو والاسد سواء في
الشجاعة ان الاول افاد زيادة في مساواته للاسد في الشجاعة
لم يفدها الثاني بل هي ان الاول افاد تاكيداً لاثبات كثرة القوة
لم هفه يفده الثاني والسبب في ذلك ان الانتقال في الجميع من الملزوم
الى اللازم فيكون اثبات المعنى بمكذ عوى الشئ ببينة ولا شك ان
دعوى الشئ ببينة ابلغ في اثباته من دعواه بلا بينة ولقايل
ان يقول قد تقدم ان الاستعارة اصلها التشبيه وان الاصل في
وجه الشبه ان يكون في المشبه به اتم منه في المشبه واظهر فقولنا رايت
اسداً يفيد للمرئي شجاعة اتم مما يفيدها قولنا رايت رجلاً كالاسد
لان الاول يفيد له شجاعة الاسد والثاني شجاعة دون شجاعة الاسد
ويمكن ان يجاب عنه بحمل كلام الشيخ عبد القاهر على ان السبب في كل
صورة ليس هو ذلك الا ان ذلك ليس بسبب في شئ من الصور اصلا هذا
اخر الكلام في الفن الثاني وذكر السكاكي بعد الفراغ منه تفسير البلاغة
بما نقلنا عنه في صدر الكتاب ثم قسم الفصاحة الى معنوية ولفظية
وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد وعني به التعقيد المعنوي
اللفظي على ما سبق تفسيره وفسر اللفظية بان يكون الكلمة عربية

فان وجود الملزوم يستلزم وجود اللازم
لامتناع انفكاك الملزوم من اللازم

لاثبات بل المساواة لم يعطها الثاني
وليس فيه فضيلة وقولنا [illegible]
[illegible] ان الاول افاد زيادة
[illegible] ان الاول
افاد تاكيدا م

اصلية

اصلية وقال وعلامة ذلك ان يكون على السنة الفصحاء من العرب
الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر لا مما احدثه المولدون
ولا مما اخطأت فيه العامة وان يكون اجرى على قوانين اللغة
وان يكون سليمة عن التنافر فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة
وحصر مرجع البلاغة في الفنين ولم يجعل الفصاحة مرجعاً لشئ منهما
ثم قال واذ قد وقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية
فانا اذكر على سبيل الانموذج اية اكشف لك فيها عن وجوه البلاغة
والفصاحتين ما عسى يستر ها عنك وذكر ما اورده الزمخشري في
تفسير قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء
وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين وزاد
عليه نكتاً لا باس بها فرايت ان اورد تلخيص ما ذكره جارياً على اصطلاحه
اصطلاحه في معنى البلاغة والفصاحة قال اما النظر فيها من جهة
علم البيان فهو انه تعالى لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر
من الارض الى بطنها فارتد وان يقطع طوفان السماء فانقطع و
ان يغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضي امر نوح وهو انجاز
ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي
فاستوت وابقينا الظلمة غرقى بني الكلام على تشبيه المراد منه

بالماء والذي لا تأتي منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين
المراد منه بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود وتصويرا لاقتداره
تعالى وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته
كانها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب
الانقياد لامره وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على
تشبيهه هذا نظم الكلام فقال تعالى قيل على سبيل المجاز عن الارادة
الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد وهو
يا ارض ويا سماء ثم قال يا ارض ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل
الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغؤور الماء في الارض البلع
الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم بجامع الذهاب الى مقر خفي و
استتبع ذلك بتشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية
لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار وجعل قرينة
الاستعارة لفظة ابلعي لكونه موضوعا للاستعمال في الغذاء
دون الماء ثم امر على سبيل الاستعارة للشبه المتقدم ذكره ثم قال ماءك
باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض
باتصال الملك بالمالك واختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل
الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان وخاطبه في الامرين ترشيحا للاستعارة

ثم قال وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا
للقوم فلم يصرح بالغائض والقاضي والمسوي والقائل كما لم يصرح
بقائل يا ارض ويا سماء سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية
ان تلك الامور العظام لا تتأتى الا من ذي قدرة لا يكتنه قهار لا يغالب
فلا مجال لذهاب الوهم الى ان يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره ثم ختم
الكلام بالتعريض لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم ختم
اظهارا لمكان السخط ولجهة استحقاقهم اياه واما النظر فيها من
حيث علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتاخير
بين جملها فذلك انه اختير يا دون سائر اخواتها لكونها اكثر استعمالا و
لدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة ويؤذن
بالتهاون به ولم يقل يا ارضي بالكسر تجنبا لاضافة التشريف تاكيدا للتهاون
ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار مع الاحتراز عما في ايتها من تكلف
التنبيه غير المناسب للمقام واختير لفظ الارض دون سائر اسمائها
السماء ص لكونه اخف وادور واختير لفظ لتمثل في ذكر مع قصد المطابقة واختير ابلعي
على ابتلعي لكونه اخصر ولمجيء حظ التجانس بينه وبين اقلعي اوفر وقيل
لدلالة الجمع م ماءك بالافراد دون الجمع على الاستكثار الذي يأباه مقام اظهار
الكبرياء وهو الوجه في افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا

يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار
وغيرها نظرا الى مقام ورود الامر الذى هو مقام عظمة وكبريا
ثم اذا تبين المراد اختصر الكلام مع اقلعي فلم يقل اقلعي عن ارسال
الماء احترازا عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر وهو الوجه
في انه لم يقل وقيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء اقلعي فاقلعت
واختير غيض على غيض المشدد لكونه اخصر واخف واوفق لقيل و
قيل الماء دون ان يقال ماء طوفان السماء وكذا الامر دون ان
يقال امر نوح للاختصار ولم يقل سويت على الجودي بمعنى اقرت على
نحو قيل وغيض وقضي في البناء للمفعول اعتبارا لبناء الفعل للفاعل
مع السفينة في قوله وهي تجري بهم مع قصد الاختصار ثم قيل بعدا
للقوم دون ان يقال ليبعد القوم طلبا للتوكيد مع الاختصار وهو
نزول بعدا منزلة ليبعدوا بعدا مع افادة اخرى وهي استعمال اللام
مع بعدا الدال على معنى ان البعد حق لهم ثم اطلق الظلم ليتناول كل نوع
حتى يدخل فيه ظلمهم انفسهم بتكذيب الرسل هذا من حيث النظر الى الكلم
واما من حيث النظر الى الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا ارض
ابلعي ويا سماء اقلعي دون ان يقال ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء جريا
على مقتضى اللازم فيمن كان مامورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن

الامر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم
امر الارض على امر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة
منزلة الاصل ثم اتبعها قوله وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء ثم اتبعه ما
هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الامر اي انجز الموعود من اهلاك
الكفرة وانجاء نوح ومن معه في السفينة ثم اتبع حديث السفينة ثم ختمت
القصة بما ختمت هذا كله نظر في الاية من جانبي البلاغة واما النظر
فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف
وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المقصود
المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد بل الفاظها تسابق معانيها
ومعانيها تسابق الفاظها واما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية
فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن
التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات
كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة

الفن الثالث علم البديع

وهو علم يعرف به وجوه
تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة
وهذه الوجوه ضربان ضرب يرجع الى المعنى وضرب يرجع الى اللفظ **اما**
المعنوي **فمنه المطابقة** وتسمى الطباق والتضاد ايضا و

قوله لا يغدرون لاحتمل الكلام ضربا من المدح اذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة فقال لا يبغون ليفيد انه للعجز كما ان ترك الوفاء للؤم وحصل مع ذلك ايغال حسن لانه لو اقتصر على قوله لا يغدرون ولا يبغون تم المعنى الذي قصده لكنه لما احتاج الى القافية افاد بها معنى زائدا حيث قال الجار لان ترك الوفاء للجار اشنع وقبح من ترك الوفاء لغيره والطباق قد يكون ظاهرا كما ذكرنا وقد يكون خفيا نوع خفاء كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا طابق بين اغرقوا وادخلوا نارا وقول ابي تمام ۝ مها الوحش الا ان هاتا اوانس ۝ قنا الخط الا ان تلك ذوابل ۝ طابق بين هاتا وتلك من حيث ان هاتا اشارة الى القريب وتلك الى البعيد

والطباق ينقسم الى طباق الايجاب كما تقدم والى طباق السلب وهو ان يجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي او امر ونهي كقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وقوله فلا تخشوا الناس واخشون وقول الشاعر ۝ ونُنكر ان شئنا على الناس قولهم ۝ ولا ينكرون القول حين نقول ۝ وقول البحتري ۝ يُقيَّض لي من حيث لا اعلم النوى ۝ ويسري الي الشوق من حيث اعلم ۝ وقول ابي الطيب ۝ ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ۝ ولقد جهلت وما جهلت خمولا ۝ وقول الآخر ۝ خُلقوا وما خُلقوا لمكرمة ۝ فكأنهم خُلقوا وما خُلقوا ۝ رُزقوا وما رُزقوا سماح يد ۝ فكأنهم رُزقوا وما رُزقوا ۝ قيل ومنه قوله تعالى لا يعصون

وهي الجمع بين متضادين اي معنيين متقابلين في الجملة ويكون ذلك اما بلفظين من نوع واحد اسمين كقوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود او فعلين كقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء وقول النبي صلعم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقول ابي صخر الهذلي ۝ اما والذي ابكى واضحك والذي ۝ امات واحيا والذي امره الامر ۝ وقول بشار ۝ اذا ايقظتك حروب العدى ۝ فنبه لها عمرا ثم نم ۝ او حرفين كقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول الشاعر ۝ على انني راض بان احمل الهوى ۝ واخلص منه لا علي ولا ليا ۝ واما بلفظين من نوعين كقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه اي ضالا فهديناه وقول طفيل ۝ بساهم الوجه لم تقطع اباجله ۝ يصان وهو ليوم الروع مبذول ۝ ومن لطيف الطباق قول ابن رشيق ۝ وقد اطفأوا شمس النهار واوقدوا ۝ نجوم العوالي في سماء عجاج ۝ وكذا قول القاضي الارجاني ۝ ولقد نزلت من الملوك بماجد ۝ فقر الرجال اليه مفتاح الغنى ۝ وكذا قول الفرزدق ۝ لعن الاله بني كليب انهم ۝ لا يغدرون ولا يفون لجار ۝ يستيقظون الى نهيق حمارهم ۝ وتنام اعينهم عن الاوتار ۝ وفي البيت الاول تكميل حسن اذ لو اقتصر على

ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون اي لا يعصون في الحال ويفعلون ما
يؤمرون في المستقبل وفيه نظر لان العصيان يضاد فعل المأمور به فكيف
يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تضادا ومن الطباق قول ابي
تمام ؛ تردى ثياب الموت حمرا فما اتى لها الليل الا وهي من سندس
خضر ؛ وقول ابن حيوس ؛ ان ترد علم حالهم عن يقين فالقهم يوم نائل
او نزال ؛ تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال
وقول الحريري ؛ فمذ ازور المحبوب الاصفر واغبر العيش الاخضر اسود
يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو
الازرق فياحبذا الموت الاحمر ؛ ومن الناس من سمى نحو ما ذكرناه
تدبيجا وفسره بان يذكر في معنى من المدح او غيره الوان لقصد الكناية
او التورية اما تدبيج الكناية فكبيت ابي تمام وبيتي ابن حيوس
اما تدبيج التورية فكلفظ الاصفر في قول الحريري ويلحق بالطباق
شيئان احدهما نحو قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم فان
الرحمة مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة وعليه قوله تعالى ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
فان ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون والعدول
عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل لان الحركة ضربان حركة للمصلحة

وحركة لمفسدة والمراد الاولى لا الثانية ومن فاسد هذا الضرب
قول ابي الطيب ؛ لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها ؛ سرور محب
او مساءة مجرم ؛ فان ضد المحب هو المبغض والمجرم قد لا يكون مبغضا
وله وجه بعيد والثاني ما يسمى ايهام التضاد كقول دعبل ؛ لا
تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى ؛ وقول ابي تمام
ما ان ترى الاحساب بيضا وضحا ؛ الا بحيث ترى المنايا سودا ؛
وقوله ايضا في الشيب ؛ له منظر في العين ابيض ناصع ولكنه في
القلب اسود اسفع ؛ وقوله وتنظري خبب الركاب ينصها
محيي القريض الى مميت المال ؛ ودخل في المطابقة ما يخص باسم
المقابلة وهو ان يؤتى بمعنيين متوافقين او معان متوافقة ثم بما
يقابلهما او يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل
وتعبير كتبه المقابلة من طباق وملحق به مثال مقابلة اثنين باثنين
قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقول النبي صلى الله عليه وسلم
ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه وقول
الذبياني ؛ فتى تم فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا ؛
وقول الآخر ؛ فوا عجبا كيف اتفقنا فناصح ؛ وفي ومطوي على الغل
غادر ؛ فان الغل ضد النصح والغدر ضد الوفاء ومثال مقابلة

ثلثة بثلثة قول ابي دلامة ، ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا ،
واقبح الكفر والافلاس بالرجل ، وقول ابي الطيب فلا الجود
يفني المال والجد مقبل ، ولا البخل يبقي المال والجد مدبر ، ومثال
مقابلة اربعة باربعة قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى فان المراد باستغنى انه زهد فيما عند الله كانه مستغن عنه
فلم يتق او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق وقيل
في قول ابي الطيب ، ازورهم وسواد الليل يشفع لي ، وانثني
وبياض الصبح يغري بي ، مقابلة خمسة بخمسة على ان المقابلة
الخامسة بين لي وبي وفيه نظر لان اللام والباء فيهما صلتان
للفعلين فهما من تمامهما ورجح بيت ابي الطيب على بيت ابي
دلامة بكثرة المقابلة مع سهولة النظم وبان قافية هذا متمكنة
وقافية ذاك مستدعاة فان ما ذكره غير مختص بالرجال و
بيت ابي دلامة على بيت ابي الطيب بجودة المقابلة فان ضد الليل
المحض هو النهار لا الصبح ومن لطيف المقابلة ما حكي عن محمد بن عمران
الطلحي اذ قال له المنصور بلغني انك بخيل فقال يا امير المؤمنين
ما اجمد في حق ولا اذوب في باطل وقال السكاكي المقابلة ان يجمع

بين

هنا ،
بين شيئين متوافقين او اكثر وضديهما ثم اذا شرطت هنا شرطا
شرطت هناك ضده كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى الآيتين لما جعل
التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده و
هو التعسير مشتركا بين اضداد تلك وهي المنع والاستغناء والتكذيب

ومنه مراعاة النظير ويسمى التناسب والايتلاف

والتوفيق ايضا وهي ان يجمع في الكلام بين امر وما يناسبه لا
بالتضاد كقوله تعالى والشمس والقمر بحسبان وقول بعضهم للمهلبي
الوزير انت ايها الوزير اسمعيلي الوعد شعيبي التوفيق
يوسفي العفو محمدي الخلق وقول ابن عنقاء الفزاري ،
كان الثريا علقت في جبينه ، وفي خده الشعرى وفي وجهه القمر ،
وقول الآخر في فرس ، من جلنار ناضر خده ، واذنه من ورق
الآس ، وقول البحتري في صفة الابل الانضاء كالقسي المعطفات
بل الاسهم مبرية بل الاوتار ، وقول ابن رشيق ، اصح واقوى
ما سمعناه في الندى ، من الخبر الماثور منذ قديم ، احاديث ترويها
السيول عن الحيا عن البحر عن كف الامير تميم ، فانه ناسب فيه
بين الصحة والقوة والسماع والخبر الماثور والاحاديث والرواية ثم
بين السيل والحيا والبحر وكف تميم مع ما في البيت الثاني من صحة

الترتيب في العنعنة اي جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند
الاحاديث فان السيول اصلها المطر والمطر اصله البحر على ما
يقال ولهذا جعل كف الممدوح اصلا للبحر مبالغة ومن مراعاة النظير
ما يسميه بعضهم تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب
اوله في المعنى كقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير فان اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبير يناسب ما
يدرك شيئا فان من يدرك شيئا يكون خبيرا به وقوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد قال الغني الحميد لينبه على
ان ما له ليس لحاجة بل هو غني عنه جواد به فاذا جاد به حمده
المنعم عليه ومن خفي هذا الضرب قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فان قوله وان تغفر لهم يوهم
ان الفاصلة الغفور الرحيم ولكن اذا انعم النظر علم انه يجب ان
تكون على ما عليه التلاوة لانه لا يغفر لمن يستحق العذاب الا من ليس
فوقه احد يرد عليه حكمه فهو العزيز لان العزيز في صفات الله هو الغالب
من قولهم عزه يعزه عزا اذا غلبه ومنه المثل من عزبز اي من غلب
سلب ووجب ان يوصف بالحكيم ايضا لان الحكيم من يضع الشيء في محله
والله تعالى كذلك الا انه قد يخفى وجه الحكمة في بعض افعاله فيتوهم الضعفاء

انه خارج عن الحكمة فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن اي وان تغفر لهم
مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لاحد في ذلك والحكمة في ما فعلته
ومما يلحق بالتناسب نحو قوله والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان
يسمى ايهام التناسب واما ما يسميه بعضهم التفويف وهو ان يؤتى
في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير او متقاربتها كقوله
من يصف سحابا تسربل وشيا من خزور تطرزت مطارفها طرزا
من البرق كالتبر فوشي بلا رقم ونقش بلا يد ودمع بلا عين
وضحك بلا ثغر وكقول عنترة ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا
اشدد وان يلقوا بضنك انزل وكقول ابن زيدون ته احتمل
واحتكم اصبر وعز اهن ودل اخضع وقل اسمع ومر اطع
وكقول ديك الجن احل وامرر وضر وانفع ولن واخشن ورش
وابر ثم انتدب للمعالي فبعضه من مراعاة النظير وبعضه من
المطابقة **ومنه الارصاد** ويسمى التسهيم ايضا وهو
ان يجعل قبل العجز من الفقرة او البيت ما يدل على العجز اذا عرف
الروي كقوله تعالى وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
وقوله وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضي بينهم فيما هم فيه يختلفون وقول زهير سئمت تكاليف

الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسأم وقول الآخر
اذا لم تستطع امرا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع وقول الحماسي
أبكيكما دمعا ولو اني على قدر الجوى ابكي بكيتكما دما وقوله أحلّت
دمي من غير جرم وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي فليس
الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمته بحرام ومنه المشاكلة
وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا او تقديرا اما
الاول فكقوله قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا
لي جبة وقميصا كأنه قال خيطوا لي وعليه قوله تعالى تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
ومنه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار
قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة
فقال الرجل انها لم تجعد عني والذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة
هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ولولا سبوطة
الشهادة لامتنع تجعيدها ومنه قول بعض العراقيين في قاض شهد عنده رجل
برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته أترى القاضي أعمى أم تراه يتعامى سرق
العيد كأن العيد اموال اليتامى واما الثاني فكقوله تعالى صبغة الله و
هو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله والمعنى تطهير الله لان الايمان

يطهر

يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فامر المسلمون بان يقولوا
لهم آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به
تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته
ولم نصبغ صبغتكم وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة وان لم يكن قد تقدم
لفظ الصبغ لان قرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارى اولادهم
في الماء الاصفر دلت على ذلك كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان
تريد رجلا يصطنع الكرام ومنه الاستطراد وهو الانتقال
من معنى الى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الاول التوصل الى ذكر الثاني
كقول الحماسي وانا لقوم ما نرى القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول
وقول الآخر اذا ما اتقى الله الفتى واطاعه فليس به بأس وان كان
من جرم وعليه قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم
وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون
قال الزمخشري هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو
السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس
ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان
الستر باب عظيم من ابواب التقوى هذا اصله وقد يكون الثاني هو المقصود

فيذكر الاول قبله ليتوصل اليه كقول ابي اسحق الصابي ۞ ان كنت خنتك
في المودة ساعة ۞ فذممت سيف الدولة المحمودا ۞ وزعمت ان له شريكا
في العلى ۞ وجحدته في فضله التوحيدا ۞ قسما لو اني حالف بغموسها
لغريم دين ما اراد مزيدا ۞ ولا باس بان يسمى هذا ايهام الاستطراد

ومنه المزاوجة وهي ان تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء
كقول البحتري ۞ اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى ۞ اصاخت الى الواشي
فلج بها الهجر ۞ وقوله ايضا ۞ اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

ومنه العكس والتبديل
وهو ان تقدم في الكلام جزء ثم يوخر ويقع على وجوه منها ان يقع بين احد
طرفي جملة وما اضيف اليه كقول بعضهم عادات السادات سادات
العادات ومنها ان يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي وقول الحماسي ۞ فرد شعورهن السود
بيضا ۞ ورد وجوههن البيض سودا ۞ ومنها ان يقع بين لفظين في طرفي
جملتين كقوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن وقوله لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء وقول الحسن البصري ان من خوفك حتى تلقى الامن خير ممن امنك
حتى تلقى الخوف وقول ابي الطيب ۞ فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ۞

ولا مال في الدنيا لمن قل مجده ۞ وقول الآخر ۞ ان الليالي للانام مناهل ۞
تطوى وتنشر دونها الاعمار ۞ فقصارهن مع الهموم طويلة ۞ وطوالهن
مع السرور قصار ۞

ومنه الرجوع وهو العود على الكلام السابق
بالنقض لنكتة كقول زهير ۞ قف بالديار التي لم يعفها القدم ۞ بلى
وغيرها الارواح والديم ۞ قيل لما وقف على الديار تسلطت عليه كآبة
اذهلته فاخبر بما لم يتحقق فقال لم يعفها القدم ثم ثاب اليه عقله فتدارك
كلامه فقال بلى وغيرها الارواح والديم وعلى هذا بيت الحماسة ۞ اليس
قليلا نظرة ان نظرتها اليك وكلا ليس منك قليل ۞ ونحوه ۞ فاف لهذا
الدهر لا بل لاهله

ومنه التورية وتسمى الايهام ايضا وهي ان
يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما وهي ضربان
مجردة ومرشحة اما المجردة فهي التي لا تجامع شيئا مما يلائم المورى به اعني
المعنى القريب كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى واما المرشحة فهي التي قرن
بها ما يلائم المورى به اما قبلها كقوله تعالى والسماء بنيناها بايد بقوة
قيل ومنه قول الحماسي ۞ فلما نات عنا العشيرة كلها ۞ انخنا فحالفنا السيوف
على الدهر ۞ فما اسلمتنا عند يوم كريهة ۞ ولا نحن اغضينا الجفون على
وتر ۞ فان الاغضاء مما يلائم جفن العين لا جفن السيف وان كان المراد به اغماد
السيوف لان السيف اذا اغمد انطبق الجفن عليه واذا جرد انفتح الخلل

الذي بين الوقتين واما بعدها كلفظة الغزالة في قول القاضي الامام
ابي الفضل عياض في صيفية باردة كأن كانون اهدى من ملابسه
لشهر تموز انواعا من الحلل او الغزالة من طول المدى خرفت فما
تفرق بين الجدي والحمل واعلم ان التوهم ضربان ضرب يستحكم حتى يصير
اعتقادا كما في قوله حملناهم طرا على الدهم بعدما خلعنا عليهم
بالطعان ملابسا وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ولكنه شيء يجري في الخاطر
وانت تعرف حاله كما في قول ابن الربيع لولا التطير بالخلاف وانهم قالوا
مريض لا يعود مريضا لقضيت نحبي في فنائك خدمة لاكون مندوبا
قضى مفروضا ولا بد من اعتبار هذا الاصل في كل ما بني على
التوهم فاعلم وقال السكاكي ان متشابهات القرآن من التورية و
منه الاستخدام وهو ان يراد بلفظ له معنيان
احدهما ثم بضميره معناه الآخر او يراد باحد ضميريه احدهما وبالآخر
الآخر فالاول كقوله اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا
غضابا اراد بالسماء الغيث وبضميرها النبت والثاني كقول البحتري
فسقى الغضا والساكنيه وان هم شبوه بين جوانحي وضلوعي اراد
بضميره في قوله والساكنيه المكان وفي قوله شبوه النار ومنه اللف
والنشر وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل او الاجمال ثم ما لكل

من غير تعيين ثقة بان السامع يرده اليه فالاول ضربان لان النشر
اما على ترتيب اللف كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقول ابن حيوس فعل المدام و
لونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه وقول ابن الرومي
آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجون نجوم فيها
معالم للهدى ومصابيح تجلو الدجى والاخريات رجوم واما
على غير ترتيبه كقول ابن حيوس كيف اسلو وانت حقف وغصن وغزال
لحظا وقدا وردفا وقول الفرزدق لقد خنت قوما لو لجأت اليهم
طريد دم او حاملا ثقل مغرم لالفيت فيهم معطيا او مطاعنا وراءك
شزرا بالوشيج المقوم والثاني كقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى فان الضمير في قالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى
وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من
كان نصارى فلف بين الفريقين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله
وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما
صاحبه ومنه الجمع وهو ان يجمع بين شيئين او اشياء في حكم واحد كقوله تعالى
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقول الشاعر ان الشباب والفراغ و
الجدة مفسدة للمرء اي مفسدة ومنه قول محمد بن وهيب ثلاثة تشرق

الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحق والقمر **ومنه التفريق** وهو ايقاع تباين بين امرين من نوع واحد في المدح او غيره كقوله ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الامير يوم سخاء فنوال الامير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء ونحوه قوله من قاس جدواك بالغمام فما انصف بالحكم بين شكلين انت اذا جدت ضاحكا ابدا وهو اذا جاد دامع العين **ومنه التقسيم** وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين كقول ابي تمام فما هو الا الوحي او حد مرهف تميل ظباه اخدعي كل مائل فهذا دواء الداء من كل عالم والاخر دواء الداء من كل جاهل وكقول الآخر ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان عير الحي والوتد هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له احد وقال السكاكي هو ان تذكر شيئا ذا جزئين او اكثر ثم تضيف الى كل واحد من اجزائه ما هو له عندك كقوله اديبان في بلخ لا ياكلان اذا صحبا المرء غير الكبد فهذا طويل كظل القناة وهذا قصير كظل الوتد وهذا يقتضي ان يكون التقسيم اعم من اللف والنشر **ومنه الجمع مع التفريق** وهو ان يدخل شيئان في معنى واحد ويفرق بين جهتي الادخال كقوله فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها شبه وجه الحبيب وقلبه نفسه بالنار وفرق بين وجهي المشابهة ومنه قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة **ومنه الجمع مع التقسيم** وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه او تقسيمه

ثم

فالاول

ثم جمعه كقول ابي الطيب حتى اقام على ارباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا جمع في البيت الاول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الاجمال حيث قال تشقى به الروم ثم قسم في الثاني وفصله والثاني كقول حسان قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا سجية تلك منهم غير محدثة ان الخلائق فاعلم شرها البدع قسم في البيت الاول صفة الممدوحين الى ضر الاعداء ونفع الاولياء ثم جمعها في الثاني حيث قال سجية تلك ومن لطيف هذا الضرب قول الاخر لو ان ما انتم فيه يدوم لكم ظننت ما انا فيه دائما ابدا لكن رايت الليالي غير تاركة ما سر من حادث او ساء مطردا فقد سكنت الى اني وانكم سنستجد خلاف الحالتين غدا فقوله خلاف الحالتين جمع لما قسم لطيف وقد ازداد لطفا لحسن ما بناه عليه من قوله فقد سكنت الى اني وانكم **ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم** كقوله تعالى يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ اما الجمع ففي قوله تعالى يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه فان قوله نفس متعدد معنى لان النكرة في سياق النفي

نعم واما التفريق ففي قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد واما التقسيم ففي قوله فاما
الذين شقوا الى آخر الآية وقول ابن شرف القيرواني لمختلفي الحاجات
جمع ببابه فهذا له فن وهذا له فن فللخامل العليا وللمعدم الغنى
وللمذنب العتبى وللخايف الامن وقد يطلق التقسيم على امرين آخرين
احدهما ان يذكر احوال الشي مضافا الى كل حال ما يليق بها كقول ابي الطيب
ساطلب حقي بالقنا ومشايخ كانهم من طول ما التثموا مرد ثقال اذا
لاقوا خفاف اذا دعوا كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا وقوله ايضا
بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا ونحوه قول
الآخر سفرن بدورا وانتقبن اهلة ومسن غصونا والتفتن جآذرا
والثاني استيفاء اقسام الشي بالذكر كقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله وقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم
ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما ومنه ما حكي عن اعرابي وقف على حلقة
الحسن فقال رحم الله من تصدق من فضل او آسى من كفاف او آثر من قوت
فقال الحسن ما ترك لاحد عذرا ومثاله من الشعر قول زهير واعلم علم اليوم
والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم وقول طريح ان يعلموا الخير
يخفوه وان علموا شرا اذاعوا وان لم يعلموا كذبوا وقول ابي تمام

الافشين

الافشين لما احترق صلى لها حيا وكان وقودها ميتا ويدخلها مع
الفجار وقول نصيب فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق ايمن
الله ما ندري فانه ليس في اقسام الاجابة غيرها وقول الآخر فهبها
كشي لم يكن او كنازح به الدار او من غيبته المقابر **ومنه**
التجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله في تلك الصفة
مبالغة لكمالها فيه وهو اقسام منها نحو قولهم لي من فلان صديق حميم
اي بلغ من الصداقة مبلغا صح معه ان يستخلص منه صديق آخر ومنها
نحو قولهم لئن سالت فلانا لتسالن به البحر ومنها نحو قول الشاعر
وشوهاء تعدو بي الى صارخ الوغى بمستلئم مثل الفنيق المرحل
اي تعدو بي ومعي من نفسي لكمال استعدادها للحرب مستلئم اي
لابس لامة ومنها نحو قوله تعالى لهم فيها دار الخلد فان جهنم اعاذنا
الله منها هي دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل معدا فيها
للكفار تهويلا لامرها ومنها نحو قول الحماسي فلئن بقيت لارحلن
بغزوة تحوي الغنايم او يموت كريم وعليه قراءة من قرا فاذا
انشقت السماء فكانت وردة كالدهان بالرفع بمعنى فحصلت سماء
وردة وقيل تقدير الاول او يموت مني كريم والثاني فكانت منها
وردة كالدهان وفيه نظر ومنها نحو قوله يا خير من يركب المطي ولا

يشرب كأسا بكف من بخلا ونحوه قول الآخر ان تلقني لا ترى غيري بناظره
وانما اشرب بكف كريم وهو نفسه
تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد ومنها مخاطبة الانسان نفسه
كقول الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا
ايها الرجل وقول ابي الطيب لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد
النطق ان لم يسعد الحال **ومنه المبالغة المقبولة** والمبالغة
ان يدعى لوصف بلوغه في الشدة او الضعف حدا مستحيلا او مستبعدا
لئلا يظن انه غير متناه في الشدة او الضعف وتنحصر في التبليغ والاغراق و
الغلو لان المدعى للوصف من الشدة او الضعف اما ان يكون ممكنا في نفسه او لا
الثاني الغلو والاول اما ان يكون ممكنا في العادة ايضا او لا الاول التبليغ و
الثاني الاغراق اما التبليغ فكقول امرئ القيس فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكا ولم ينضح بماء فيغسل وصف هذا الفرس بانه ادرك ثورا ونعجة
تابعا اي لم يعرق عرقا مفرطا يغسل جسده في ادراكهما
وحشيين في مضمار واحد ولم يعرق وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة ومثله
قول ابي الطيب واصرع اي الوحش قفيته به وانزل عنه مثله حين اركب
واما الاغراق فكقول الآخر ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة
حيث مالا فانه ادعى ان جاره لا يميل الى جهة الا وهو يتبعه الكرامة وهو ممتنع عادة
وان كان غير ممتنع عقلا وهما مقبولان واما الغلو فكقول ابي نواس واخفت
اهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق والمقبول منه اصناف احدها

ما ادخل عليه ما يقربه الى الصحة نحو لفظة يكاد في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو
لم تمسسه نار وفي قول الشاعر يصف فرسا ويكاد يخرج سرعة عن ظله
لو كان يرغب في فراق رفيق والثاني ما تضمن نوعا حسنا من التخييل كقول
ابي الطيب عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغي عنقا عليه لامكنا
اي حوافر الجياد فوق رؤس الجياد
وقد يجمع القاضي الارجاني بينهما في قوله يصف الليل بالطول يخيل لي ان سمر
الشهب في الدجى وشدت باهدابي اليهن اجفاني والثالث ما اخرج
مخرج الهزل والخلاعة كقول الآخر اسكر بالامس ان عزمت على الشرب غدا
ان ذا من العجب **ومنه المذهب الكلامي** وهو ان يورد المتكلم
حجة لما يدعيه على طريق اهل الكلام كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي والاعادة اهون
عليه من البدء والاهون من البدء ادخل في الامكان من البدء فالاعادة ادخل
في الامكان من البدء وهو المطلوب وقوله تعالى فلما افل قال لا احب الآفلين اي
القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي وقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي انتم
تعذبون والبنون لا يعذبون فلستم بنين له ومنه قول النابغة يعتذر الى
النعمان حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب لئن
كنت قد بلغت عني جناية لمبلغك الواشي اغش واكذب ولكنني كنت
امرأ لي جانب من الارض فيه مستراد ومذهب ملوك واخوان اذا ما مدحتهم

مطلب

أحكّم في أموالهم وأقرّب * كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم * فلم ترهم في مدحهم لك
أذنبوا * يقول انت أحسنت إلى قوم فمدحوك وأنا أحسنت إلى قوم فمدحتهم
فكما أن مدح أولئك لك لا يعد ذنبا فكذلك مدحي لمن أحسن إلي لا يعد ذنبا ومنه
حسن التعليل وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي
وهو أربعة أقسام لأن الوصف إما ثابت قصد بيان علته أو غير ثابت أريد إثباته
والأول إما أن لا يظهر له في العادة علة أو يظهر له علة غير المذكورة والثاني إما
ممكن أو غير ممكن أما الأول فكقول أبي الطيب * لم يحك نائلك السحاب وإنما حمّت
به فصبيبها الرحضاء * فإن نزول المطر لا يظهر له في العادة علة وكقول أبي تمام *
لا تنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي * علل عدم إصابة الغنى
الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالي كالطود العظيم من جهة أن الكريم
اتصف بعلو القدر كالمكان العالي والغنى لحاجة الخلق إليه كالسيل ومن لطيف هذا
الضرب قول أبي هلال العسكري * زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من
قفاه لسانه * وقول ابن نباتة في صفة فرس * وأدهم يستمد الليل منه * وتطلع
بين عينيه الثريا * سرى خلف الصباح يطير مشيا * ويطوي خلفه الأفلاك طيا *
فلما خاف وشك الفوت منه * تشبث بالقوائم والمحيا * وأما الثاني فكقول أبي
الطيب * ما به قتل أعاديه ولكن * يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب * فإن قتل الملوك
أعداءهم في العادة لإرادة هلاكهم وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم حتى يصفو

لهم ملكهم من منازعيهم لا لما ادعاه من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه
ومحبته أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعاديه لما علم أنه لما
غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من
قتلاهم وهذا مبالغة في وصفه بالجود ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة
على وجه تخييلي أي تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم
فإذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعاديه وفيه نوع
آخر من المدح وهو أنه ليس ممن يسرف في القتل طاعة للغيظ و
الحنق وكقول أبي طالب المأموني في بعض الوزراء * مغرم
بالثناء صب بكسب المجد يهتز للسماح ارتياحا لا يذوق الإغفاء
إلا رجاء أن يرى طيف مستميح رواحا * أو كان تقييده بالرواح ليشير
إلى أن العفاة إنما يحضرون في صدر النهار على عادة الملوك
فإذا كان الرواح قلّوا فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم
وأصله من نحو قول الآخر * وإني لأستغشي وما بي نعسة * لعل خيالا
منك يلقى خياليا * وهذا فيه بعد أن يكون نحو هذا الضرب إلا
أنه لا يبلغ في الغرابة والبعد عن العادة ذلك المبلغ فإنه قد يتصور
أن يريد المغرم المتيم إذا بعد عهده بحبيبه أن يراه في المنام فيريد
النوم لذلك خاصة ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز * قالوا

اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم في النصل شاهد عجب ۞ وقول الآخر
أتتني تؤنبني بالبكا ۞ فأهلا بها وبتأنيبها ۞ تقول وفي قولها حشمة
أتبكي بعين تراني بها ۞ فقلت إذا استحسنت غيركم ۞ أمرت الدموع
بتأديبها ۞ وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض
الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب
لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب ۞ وأما
الثالث فكقول مسلم بن الوليد ۞ يا واشيا حسنت فينا إساءته
نجى حذارك إنساني من الغرق ۞ فإن استحسان إساءة الواشي ممكن
لكن لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه وهو أن حذاره من الواشي
منعه من البكاء فسلم إنسان عينه من الغرق في الدموع وما حصل ذلك
فهو حسن ۞ وأما الرابع فكمعنى بيت فارسي ترجمته ۞ لو لم تكن نية
الجوزاء خدمته ۞ لما رأيت عليها عقد منتطق ۞ فإن نية الجوزاء خدمته
ممتنعة ۞ ومما يلحق بالتعليل وليس به لبناء الأمر فيه على الشك نحو قول
أبي تمام ۞ ربى شفعت ريح الصبا لرياضها ۞ إلى المزن حتى جادها وهو
هامع ۞ كأن السحاب الغر غيبن تحتها ۞ حبيبا فما ترقا لهن مدامع ۞
وقول أبي الطيب ۞ لم يحل العزاء برحلتي فكأنما أتبعته الأنفاس للتشييع

علة تصعيد الأنفاس في العادة هي التحسر والتأسف لا ما جوزه من أن
يكون إياه والمعنى لم يحل عني العزاء بارتحالي عنك أي بعده
أو بسببه فكأنه لما كان الصدر محل الصبر وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضا
صار العزاء والأنفس الصعداء كأنهما نزيلان فلما رحل ذلك كان حقا
على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة ۞ ومنه التفريع وهو أن يثبت
لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر كقول الكميت ۞ أحلامكم لسقام
الجهل شافية ۞ كما دماؤكم تشفي من الكلب ۞ فرع من وصفهم بشفاء
أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب ۞ ومنه
تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو ضربان أفضلهما أن يستثنى
من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقول النابغة
الذبياني ۞ ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب ۞
أي إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب فأثبت
شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال فهو في المعنى تعليق
بالمحال كقولهم حتى يبيض القار فالتأكيد فيه من وجهين أحدهما أنه كدعوى
الشيء ببينة والثاني أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا فإذا نطق
المتكلم بإلا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج
مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا وهذا ذم فإذا أتت بعدها صفة

مدح تأكيد المدح بكونه مدحا على مدح وكان فيه نوع من الخلابة والثاني أن
يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى
له كقوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأصل الاستثناء
في هذا الضرب أن يكون منقطعا لكنه باق على حاله لم يقدر متصلا فلا يفيد التأكيد
إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين ولهذا قلنا الأول أفضل ومنه قول
النابغة الجعدي فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقي من المال باقيا
وأما قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما فيحتمل
الوجهين وأما قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما فيحتملهما ويحتمل وجها
ثالثا وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلا لأن معنى السلام هو الدعاء
بالسلامة وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من قبيل
اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الإكرام ومن تأكيد المدح بما يشبه
الذم ضرب ثالث وهو أن يأتي الاستثناء فيه مفرغا كقوله تعالى وما تنقم منا
إلا أن آمنا بآيات ربنا أي وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها
وهو الإيمان بآيات الله ونحوه قوله قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن
آمنا بالله وما أنزل إلينا فإن الاستفهام فيه للإنكار واعلم أن الاستدراك
في هذا الباب يجري مجرى الاستثناء كما في قول أبي الفضل بديع الزمان الهمداني
هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرغام لكنه الوبل ومنه تأكيد

الذم بما يشبه المدح وهو ضربان أحدهما أن يستثنى من صفة مدح
منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كقولك فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء
إلى من أحسن إليه وثانيهما أن يثبت للشيء صفة ذم ويعقب بأداة استثناء يليها
صفة ذم أخرى له كقولك فلان فاسق إلا أنه جاهل وتحقيق القول فيهما على قياس
ما تقدم ومنه الاستتباع وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح
بشيء آخر كقول أبي الطيب نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا
بأنك خالد فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث
لو ورث أعمارهم لخلد في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح
الدنيا ونظامها حيث جعل الدنيا مهنأة بخلوده قال علي بن عيسى الربعي
وفيه وجهان آخران من المدح أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال والثاني
أنه لم يكن ظالما في قتل أحد من مقتوليه لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا و
أهلها فهم مسرورون ببقائه ومنه الإدماج وهو أن يضمن كلام
سيق لمعنى معنى آخر فهو أعم من الاستتباع ومثاله قول أبي الطيب أقلب
فيه أجفاني كأني أعد بها على الدهر الذنوبا فإنه ضمن وصف الليل بالطول
الشكاية من الدهر وقول ابن المعتز في الخيري قد نفض العاشقون ما
صنع الهجر بألوانهم على ورقه فإن الغرض وصف الخيري بالصفرة فأدمج
الغزل في الوصف وفيه وجه آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين أعني

الايجاز والاطناب اما الايجاز ففي جهة الادماج واما الاطناب فلان اصل
المعنى انه اصغر اللفظ زايد عليه لفايدة ومنه قول ابن نباتة ولا بد لي من
جهلة في وصاله فمن لي بخل اودع الحلم عنده فانه ضمن الغزل الفخر بكونه حليما
الكنه بالاستفهام مخرج الانكار وشكوى الزمان لتغير الاخوان حتى لم يبق
فيهم من يصلح لهذا الشان ونبه بذلك على انه لم يعزم على مفارقة حلمه جملة ابدا
ولكن اذا كان يريد الوصل هذا المحبوب المسلم للجهل اللائق في الحلم عزم على
انه ان وجد من يصلح لان يودعه حلمه اودعه اياه فان الودايع تستعاد
قيل ومنه قول الآخر يعني بعض الوقت الخالية ستوفي ابى دهرنا اسعافنا
في نفوسنا واسعفنا فيمن نحب ونكرم فقلت له نعماك فيهم اتمها ودع
امرنا ان المهم المقدم فانه ادمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال
الاحوال في التهنئة مدمجة في الشكوى اصاب **ومنه التوجيه**
وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول من قال لاعور يسمى عمرا
خاط لي عمرو قبا ليت عينيه سوا وعليه قوله تعالى واسمع غير مسمع
قال الزمخشري غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو
قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت
دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت
دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا

يوافقك

يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب
ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان
فلانا اذا سبه وكذلك قوله راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا
ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا
وكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام
محتمل يعنون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاحترام ثم قال
فان قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا
وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه
بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز الا ينطقوا بذلك
ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به قال السكاكي ومنه متشابهات
القرآن باعتبار **ومنه الهزل الذي يراد به الجد** وترجمته تغني
عن تفسيره ومثاله قول الشاعر اذا ما تميمي اتاك مفاخرا فقل عد عن ذا
كيف اكلك للضب ومنه قول امرئ القيس وقد علمت سلمى وان كان بعلها
بان الفتى يهذي وليس بفعال **ومنه تجاهل العارف** وهو كما
سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالتوبيخ في قول الخارجية
أيا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف والمبالغة

المدح في قول البحتري ٭ ألمع برق سرى أم ضوء مصباح ٭ أم ابتسامتها
بالمنظر الضاحي ٭ أو في الذم في قول زهير ٭ وما أدري وسوف إخال أدري
أقوم آل حصن أم نساء ٭ أو التدله في الحب في قول الحسين بن عبد الله الغزي
٭ بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر ٭ وقول ذي
الرمة ٭ أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أم سالم ٭
والتحقير في قوله تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الكفار هل ندلكم
على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد كأنهم لم يكونوا يعرفون
منه إلا أنه رجل ما والتعريض في قوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين
وفي مجيء هذا اللفظ على الإبهام نكتة فائدة أخرى وهي أنه يبعث المشركين على
الفكر في حال أنفسهم وحال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإذا أفكروا في ما هم
عليه من إغارات بعضهم على بعض وسبي ذراريهم واستباحة أموالهم وقطع
الأرحام وإتيان الفروج الحرام وقتل النفس التي حرم الله قتلها وشرب الخمر
التي تذهب العقول وتحسين ارتكاب الفواحش وفكروا في ما النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون عليه من صلة الأرحام واجتناب الآثام والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر وإطعام المساكين وبر الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى علموا
أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على الهدى وأنهم على الضلال فبعثهم ذلك على
الإسلام وهذه فائدة عظيمة **ومنه القول بالموجب** وهو ضربان

أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت
في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم
له أو انتفائه عنه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها
الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فإنهم كنوا بالأعز عن فريقهم و
بالأذل عن فريق المؤمنين وأثبتوا للأعز الإخراج فأثبت الله
تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض
لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم والثاني حمل
لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه كقوله ٭ قلت
ثقلت إذ أتيت مرارا ٭ قال ثقلت كاهلي بالأيادي ٭ قلت طولت قال
لا بل تطولت وأبرمت قال حبل ودادي ٭ والاستشهاد بقوله ثقلت و
أبرمت دون قوله تطولت ومنه قول القاضي الأرجاني ٭ غالطتني إذ
كست جسمي الضنا كسوة أعرت من اللحم العظاما ٭ ثم قالت أنت عندي في
الهوى مثل عيني صدقت لكن سقاما ٭ وكذا قول ابن دويدة المغربي
من أبيات يخاطب بها رجلا أودع بعض القضاة مالا فادعى القاضي ضياعه
إن قال قد ضاعت فيصدق أنها ٭ ضاعت ولكن منك يعني لو تعي ٭ أو قال قد وقعت
فيصدق أنها ٭ وقعت ولكن منه أحسن موقع ٭ وقريب من هذا القول قول الآخر
وإخوان حسبتهم دروعا ٭ فكانوها ولكن للأعادي ٭ وخلتهم سهاما صائبات

فكلامها ولكن تخفو ادى ٭ وقال الباقى صنعت منا بلوت ٭ لقد صدقوا ولكن
من بعد وادى ٭ والمراد البيتان الاولان وفى كل حسن ان تجعل نحوهما ضربا ثالثا

ومنه الاطراد وهو ان تاتى باسماء الممدوح او غيره وآبائه على ترتيب
الولادة من غير تكلف فى السبك حتى تكون الاسماء فى تحدرها كالماء الجارى
فى اطراده وسهولة انسجامه كقول الشاعر ٭ ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم
بعتيبة بن الحارث بن شهاب ٭ وقول دريد بن الصمة ٭ قتلنا بعبد الله خير
لداته ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب ٭ وفيه التعرض للمقتول به ولشرف
المقتول قيل لما سمعه عبد الملك بن مروان قال لولا القافية لبلغ به آدم و
منه قول النبى صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم

واما اللفظى فمنه

الجناس بين اللفظين وهو تشابههما فى اللفظ والتام
منه ان يتفقا فى انواع الحروف واعدادها وهيئاتها وترتيبها فان كانا
من نوع واحد كاسمين سمى مماثلا كقوله تع ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقول الشاعر ٭ حدق الآجال آجال و
الهوى للمرء قتال ٭ الاول جمع اجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش
والثانى جمع أجل والمراد به منتهى الاعمار وقول ابى تمام ٭ اذا الخيل
جابت قسطل الحرب صدعوا صدور العوالى فى صدور

الكتائب وان كانا من نوعين كاسم وفعل سمى مستوفى كقول ابى تمام ايضا
ما مات من كرم الزمان فانه يحيى لدى يحيى بن عبد الله ٭ وفى قول
الآخر ٭ وسميته يحيى ليحيى فلم يكن الى رد امر الله فيه سبيل ٭ و
التام ايضا ان كان احد لفظيه مركبا سمى جناس التركيب ثم ان كان المركب
منها من كلمة وبعض كلمة سمى مرفوا كقول الحريرى ٭ ولا تله عن تذكار
ذنبك وابكه بدمع يضاهى الوبل حال مصابه ٭ ومثل لعينيك الحمام
ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه ٭ والا فان اتفقا فى الخط سمى
متشابها كقول ابى الفتح البستى ٭ اذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته
ذاهبة ٭ وان اختلفا سمى مفروقا كقول ابى الفتح ايضا ٭ كلكم قد اخذ الجام
ولا جام لنا ما الذى ضر مدير الجام لو جاملنا ٭ وقول الآخر ٭ لا تعرضن
على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبل فى تهذيبها ٭ فمتى عرضت الشعر غير
مهذب ٭ عدوه منك وساوسا تهذى بها ٭ ووجه حسن هذا
القسم على التام حسن الافادة مع ان الصورة صورة الاعادة وان
اختلفا فى هيئات الحروف فقط سمى محرفا ثم الاختلاف قد يكون فى الحركة فقط
كالبرد والبرد ونحو قولهم جبة البرد جنة البرد وعليه قوله تعالى ولقد
ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وقد يكون بالحركة والسكون كقولهم
الجاهل اما مفرط او مفرط والحرف المشدد فى هذا الباب فى حكم المخفف

نظرا الى الصورة فاعلم وقد يكون في الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك
الشرك وقول ابي العلاء المعري والحسن يظهر في شيئين رونقه بيت
من الشعر او بيت من الشعر وان اختلفا في اعداد الحروف فتطرقا ناقصا
ويكون ذلك على وجهين احدهما ان يختلفا بزيادة حرف واحد في الاول كقوله
تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق او في الوسط كقولهم
جدي جهدي او في الآخر كقول ابي تمام يمدون من ايد عواص عواصم
تصول باسياف قواض قواضب وقول البحتري لئن صدفت عنا
فربت انفس صواد الى تلك الوجوه الصوادف ومنه ما كتب به بعض
ملوك العرب الى صاحب له يدعوه الى مجلس انس له ايها الصاحب الذي فارقت
عينه ونفسه منه السنى والسناء نحن في المجلس الذي يهب الراحة والمسمع
النغم والغناء نتعاطى التي تنسي من اللذة والرقة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا قد اعدا لك الحيا والحباء وتجانس هذا
القسم اعني الثالث مطرفا ووجه حسنه انك تتوهم قبل ان يرد عليك
آخر الكلمة كالميم من عواصم انها هي التي مضت وانما اتى بها للتاكيد حتى
اذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم وفي
هذا حصول الفائدة بعد ان خالطك اليأس منها الوجه الثاني ان يختلفا
بزيادة اكثر من حرف واحد كقول الخنساء إن البكاء هو الشفا من الجوى

بين الجوانح وتجانس هذا الضرب مذيلا وان اختلفا في انواع الحروف
اشترط ان لا يقع الاختلاف باكثر من حرف ثم الحرفان المختلفان ان كانا
متقاربين سمي التجانس مضارعا ويكون اما في الاول كقول الحريري بيني
وبين كني ليل دامس وطريق طامس واما في الوسط كقوله تعالى وهم ينهون
عنه وينأون عنه وقول بعضهم الهنا ابا اهداف البلايا واما في
الآخر كقول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة
وان كانا غير متقاربين سمي لاحقا ويكون ايضا اما في الاول كقوله تعالى ويل
لكل همزة لمزة وقول بعضهم رب وضيء غير وضي وقول الحريري الا اعطي
زمام ليلي خزامى واما في الوسط كقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقوله وانه على ذلك لشهيد وانه لحب
الخير لشديد واما في الآخر كقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن وقول
البحتري هل لما فات من تلاق تلاف ام لشاك من الصبابة شاف و
ان اختلفا في ترتيب الحروف سمي تجانس القلب وهو ضربان قلب الكل كقولهم
حسامه فتح لاوليائه حتف لاعدائه وقلب البعض كما جاء في الخبر اللهم
استر عوراتنا وآمن روعاتنا وقول بعضهم رحم الله امرأ امسك ما
بين فكيه واطلق ما بين كفيه وعليه قول ابي الطيب ممنعة منعمة
رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا واذا وقع احد المتجانسين

من جناس القلب في أول البيت والأخرى في آخره سمي مقلوباً مجنّحاً وإذا ولي
أحد المتجانسين الآخر سمي مزدوجاً ومكرراً ومردداً كقوله تعالى وجئتك
من سبإ بنبإ يقين وما جاء في الخبر المؤمنون هيّنون ليّنون وقولهم
من طلب شيئاً وجدّ وجد وقولهم من قرع باباً ولجّ ولج وقولهم النبيذ بغير النغم
غمّ وبغير الدسم سمّ وقوله يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصول بأسياف
قواضٍ قواضب واعلم أنه يلحق بالجناس شيئان أحدهما أن يجمع اللفظين
الاشتقاق كقوله تعالى فأقم وجهك للدين القيّم وقوله فروحٌ وريحانٌ و
قول النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقول الشافعي رحمه
الله وقد سئل عن النبيذ أجمع أهل الحرمين على تحريمه وقول أبي تمام
فيا دمع أنجدني على ساكني نجد وقول البحتري يعشى عن المجد الغبي
ولن ترى في سؤدد أرباً لغير أريب وقول [illegible] فتصبح [illegible]
الدهر بإنشاء ما يلاحظك مونق ويسبك وانق والثاني أن يجمعهما المشابهة
وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به كقوله تعالى اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم
بالحياة الدنيا من الآخرة وقوله تعالى قال إني لعملكم من القالين وقوله و
جنى الجنتين دان وقول البحتري وإذا ما رياح جودك هبّت صار
قول العذول فيها هباء ومنه ردّ العجز على الصدر وهو في النثر
أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة

والأخرى آخرها كقوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقولهم
الحيلة ترك الحيلة وقولهم سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل وكقوله تعالى
استغفروا ربكم إنه كان غفاراً وكقوله تعالى قال إني لعملكم من القالين
وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو
حشوه أو آخره أو صدر الثاني فالأول كقوله سريع إلى ابن العم يلطم وجهه
وليس إلى داعي الندى بسريع ونحوه قول الآخر سكران سكر هوى
وسكر مدامة أنّى يفيق فتى به سكران والثاني كقول الحماسي تمتع من شميم
عرار نجد فما بعد العشية من عرار ونحوه قول أبي تمام ولم يحفظ
مضاع المجد شيء من الأشياء كالمال المضاع والثالث كقوله أيضاً
ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً فما زلت بالبيض القواضب مغرما
والرابع كقول الحماسي وإن لم يكن إلا معرّج ساعة قليلاً فإني نافع لي
قليلها والخامس كقول القاضي الأرجاني دعاني من ملامكما سفاهاً
فداعي الشوق قبلكما دعاني وقول الآخر سل سبيلاً إلى راحة النفس
براح كأنها سلسبيل وقول الآخر وإذا البلابل أفصحت بلغاتها
فانف البلابل باحتساء بلابل ذوائب سود كالعناقيد أرسلت
فمن أجلها منا النفوس ذوائب والسادس كقول الآخر وإذا
البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل والسابع

كقول الحريري فشنف بايات المثاني ومفتون برنات المثاني و

الثامن كقول القاضي الارجاني امللهم ثم تاملتهم فلاح لي ان ليس فيهم

فلاح والتاسع كقول البحتري ضرائب ابدعتها في السماح فلسنا نرى

لك فيها ضريبا والعاشر كقول امرئ القيس اذا المرء لم يخزن عليه لسانه

فليس على شيء سواه بخزان وقول ابي العلاء المعري لو اختصرتم من

الاحسان زرتكم والعذب يهجر للافراط في الخصر والحادي عشر كقوله

الاخوف البعيد فما وعيدك ضائري اطنين اجنحة الذباب يضير

والثاني عشر كقول ابي تمام وقد كانت البيض القواضب في الوغى بواتر

وهي الآن من بعده بتر ومنه السجع وهو تواطؤ الفاصلتين

من النثر على حرف واحد وهذا معنى قول السكاكي الاسجاع في النثر كالقوافي

في الشعر وهو بلا شبهة اضرب مطرف ومتواز وترصيع لان الفاصلتين ان

اختلفتا في الوزن فهو السجع المطرف كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا

وقد خلقكم اطوارا والا فان كان ما في احدى القرينتين من الالفاظ او اكثر

ما فيها مثل ما يقابله من الاخرى في الوزن والتقفية فهو الترصيع كقول

الحريري فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه

وكقول ابي الفضل الهمداني ان بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا و

قول ابي الفتح البستي ليكن اقدامك توكلا واحجامك تاملا والا فهو

السجع المتوازي كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة وكقول

دعاء النبي صلعم اللهم اني ادرأ بك في نحورهم واعوذ بك من شرورهم

وشرط حسن السجع اختلاف قرينتيه في المعنى كما مر لا كقول ابن عباد

في مهزوم مثل طاروا واقبلن بظهورهم صدورهم وبأصلابهم

نحورهم وقيل احسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى في سدر

مخضود وطلح منضود وظل ممدود ثم ما طالت قرينته الثانية

كقوله والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى او الثالثة كقوله خذوه

فغلوه ثم الجحيم صلوه وقول ابي الفضل الميكالي له الامر المطاع و

الشرف اليفاع والعرض المصون والمال المضاع وقد اجتمعا في قوله

والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات و

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ولا يحسن ان تولي قرينة قرينة اقصر

منها كثيرا لان السجع اذا استوفى امده من الاولى لطولها ثم جاءت الثانية

اقصر منها كثيرا يكون كالشيء المبتور ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء الى

غاية فيعثر دونها والذوق يشهد بذلك ويقضي بصحته ثم السجع اما

قصير كقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا او طويل كقوله اذ

يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر

ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في

اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا الى الله ترجع الامور او متوسط كقوله اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا

اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ومن لطيف السجع قول البديع الهمذاني

من كتابه الى ابن فريغون كتابي اطال الله بقاء الامير وانا سالم لله فقد سمعت خبره

والليث وانا في الفه فقد تصورت خلقه الملك العادل ان لم الكن

لقيته فقد لقيت صيته ومن راى من السيف اثره فقد راى اكثره واعلم

ان فواصل الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها

لان الغرض ان يزاوج بينها ولا يتم ذلك في كل صورة الا بالوقف الا ترى

انك لو وصلت قولهم ما ابعد ما فات وما اقرب ما هو آت لم يكن

بد من اجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الاعراب فيفوت الغرض

من السجع واذا رايتهم يخرجون الكلم عن اوضاعها للازدواج كما في قولهم

اني لآتيه بالغدايا والعشايا اي بالغدوات فما ظنك بهم في ذلك وقيل

انه لا يقال في القرآن اسجاع وانما يقال فواصل وقيل السجع غير مختص بالنثر

ومثاله من الشعر قول ابي تمام تجلى به رشدي واثرت به يدي وفاض

به ثمدي واورى به زندي وكذا قول الخنساء حامي الحقيقة محمود

الخليقة مهدي الطريقة نفاع وضرار وكذا قول الآخر ومكارم

اوليتها متبرعا وجرائم القيتها متورعا وهو خال من التكلف

التكلف هذا القائل لا يشترط التقفية في العروض والضرب كقوله وتسمى

من اصله قول ومنه نوع يسمى بالتشطير وهو ان يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لاختها

ما يسمى التشطير وهو ان يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لاختها

كقول ابي تمام تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتغب في الله مرتقب و

منه ما يسمى التصريع وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب كقول ابي فراس

باطراف المثقفة العوالي تفردنا باوساط المعالي وهو مما استحسن في ان

الكنه التصريع في البيت الاول منه ولذلك قد خالفت العروض الضرب في

الوزن جاز ان تجعل موازنة له اذا كان البيت مصرعا كقول امرئ القيس

الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي اتى

بعروض الطويل مفاعيلن وذلك لا يصح اذا لم يكن البيت مصرعا ولهذا

حملوا ابا الطيب في قوله تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره

ظرف **ومنه الموازنة** وهي ان تكون الفاصلتان متساويتين في

الوزن دون التقفية كقوله تعالى ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة

فان كان ما في احدى القرينتين من الالفاظ او اكثرها فيها مثل ما يقابله

من الاخرى في الوزن خص باسم المماثلة كقوله تعالى واتيناهما الكتاب المستبين

وهديناهما الصراط المستقيم وقول ابي تمام مها الوحش الا ان هاتا اوانس

قنا الخط الا ان تلك ذوابل وقول البحتري فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا

١٤٧

أقدمْ ما لم يُجنبك جهرًا ومنه القلب كقولك ارض خضراء وقول عماد
الدين الكاتب للقاضي الفاضل سِرْ فلا كبا بك الفرس وجواب القاضي دام
علا العماد وقول القاضي الارجاني مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم وفي التنزيل كلٌّ في
فلك وفيه وربك فكبر ومنه التشريع وهو بناء البيت على قافيتين
يصح المعنى على الوقوف على كل واحد منهما كقول الحريري يا خاطب الدنيا
الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار الابيات ومنه لزوم ما
لا يلزم وهو ان يجيء قبل حرف الروي او ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم
في مذهب السجع كقوله تعالى فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم
لا يقصرون وقوله فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وقول
الشاعر سأشكر عمرًا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت رأى خلتي
من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت وقول
الآخر يقولون في البستان للعين لذة وفي الخمر والماء
الذي غير آسن اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها ففي وجه من تهوى
جميع المحاسن وقد يكون ذلك في غير الفاصلتين ايضا كقول الحريري
وما اشتار العسل من اختار الكسل واصل الحسن في جميع ذلك كما في القسم
اللفظي كما قال الشيخ عبد القاهر هو ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني فان

المعاني اذا أُرسلت على سجيتها وتُركت وما تريد طلبت لانفسها
الالفاظ ولم تكتس الا ما يليق بها فان كان خلاف ذلك كان كما قال ابو
الطيب اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضائها فالحسن عنك
مغيب وقد يقع في كلام بعض المتاخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه
بامور ترجع الى ما له اسم في البديع على ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين
ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من اقسام البديع في بيت فلا ضير ان يقع ما
عناه في عمياء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء هذا ما تيسر باذن
الله تعالى جمعه وتحريره من اصول الفن الثالث وبقيت اشياء يذكرها فيه
بعض المصنفين منها ما يتعين اهماله لعدم دخوله في فن البلاغة نحو ما يرجع
في التحسين الى الخط دون اللفظ مع انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين
متماثلتين في الخط كحروف منقوطة او غير منقوطة ونحو ما لا اثر له في
التحسين كما سمي الترديد والتعديد ونحو ما يوجد في كتب بعض المتاخرين
مما هو داخل فيما ذكرناه كما سماه الايضاح فانه في الحقيقة راجع الى
الاطناب او خلط فيه كما سماه حسن البيان ومنها ما لا باس بذكره لاشتماله
على فائدة وهو شيئان احدهما القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها و
الثاني القول في الابتداء والتخلص والانتهاء فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما
الكتاب الفصل الاول اعلم ان اتفاق القائلين ان كان في الغرض

على العموم كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء فلا يعد سرقة
ولا استعانة ولا اخذا ونحوها لان هذه امور متقررة في النفوس متصورة للعقول
يشترك فيها الفصيح والاعجم والشاعر والمفحم وان كان في وجه الدلالة على
الغرض وينقسم الى اقسام كثيرة منها التشبيه بما يوجد الصفة فيه على الوجه
البليغ كما سبق ومنها هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة
كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر كقوله
كأن دنانيرا على قسماتهم وان كان قد شف الوجوه لقاء وكذا وصف
الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم ووصف البخيل
بالعبوس مع قلة البشاشة واتساع اليد ومساعدة الدهر فان كان مما يشترك
الناس في معرفته لاستقراره في العقول والعادات كتشبيه الفتاة الحسنة
الوجه بالشمس والبدر والجواد بالغيث والبحر والبليد البطيء بالحجر والحمار
والشجاع الماضي بالسيف والنار فالاتفاق فيه كالاتفاق في عموم الغرض وان
كان مما لا ينال الا بفكر ولا يصل اليه كل احد فهذا الذي يجوز ان يدعى فيه
الاختصاص [illegible] السبق وان يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل و
ان احدهما فيه اكمل من الآخر وان الثاني زاد على الاول او نقص عنه وهو ضربان
احدهما ما كان في اصله خاصيا غريبا والثاني ما كان في اصله عاميا مبتذلا
لكن تصرف فيه بما اخرجه من كونه ظاهرا ساذجا الى خلافه وذلك وقد سبق ذكر

امثلتها

امثلتها في التشبيه والاستعارة اذا عرفت هذا فنقول الاخذ والسرقة
نوعان ظاهر وغير ظاهر اما الظاهر فهو ان يؤخذ المعنى كله اما مع اللفظ
كله او بعضه واما وحده فان كان المأخوذ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم
مردود لانه سرقة محضة ويسمى نسخا وانتحالا كما حكي ان عبد الله بن الزبير
دخل على معاوية وانشده اذا انت لم تنصف اخاك وجدته على طرف
الهجران ان كان يعقل ويركب حد السيف من ان تضيمه اذا لم يكن عن شفرة
السيف مزحل فقال له معاوية لقد شعرت بعدي يا ابا بكر ولم يفارق
عبد الله المجلس حتى دخل معن بن اوس المزني فانشد كلمته التي اولها
لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية اول حتى اتى عليها وفيها
ما انشده عبد الله فاقبل معوية على عبد الله وقال الم تخبرني انهما لك
فقال المعنى لي واللفظ له وبعد فهو اخي من الرضاعة وانا احق بشعره وقريب
لاوسي لتوضيحه فضمنتها هذا البيت اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا
اصبت حليما او اصابك جاهل وقد روي للابيرد الرياحي فتى يشتري
حسن الثناء بماله اذا السنة الشهباء اعوز قطرها ولابي نواس فتى
يشتري حسن الثناء بماله ويعلم ان الدائرات تدور وقد روي لبعض
المتقدمين يمدح معبدا اجاد طويس والسريجي بعده وما قصبات
السبق الا لمعبد ولابي تمام محاسن اصناف المغنين جمة وما قصبات السبق

الا المفيد وحكى صاحب الاغاني عن اصوات معبد لهفي على فتية ذل الزمان
لهم فما يصيبهم الا بما شاؤوا ونحو شعر ابي نواس دارت على فتية ذل
الزمان لهم فما يصيبهم الا بما شاؤوا ونحو هذا المعنى ما كان التغيير فيه بابدال
كلمة او اكثر بما يرادفها كقول امرئ القيس وقوفا بها صحبي على مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجمل وقول طرفة وقوفا بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجلد وكقول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه و
ما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وقول
الفرزدق وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت
تعرف وكقول حاتم ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس
خيمها وقول الاعور ومن يبتدع خلقا سوى خلق نفسه يدعه ويغلبه
على النفس خيمها وان كان مع تغيير لنظمه او كان الماخوذ بعض اللفظ سمي اغارة
ومسخا فان كان الثاني ابلغ منه الاول لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك
او الاختصار او الايضاح او زيادة معنى فهو ممدوح مقبول كقول بشار
من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج وقول
سلم الخاسر من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور فبيت سلم اجود
سبكا واخصر وكقول الاخر خلقنا لهم في كل عين وحاجب بسمر القنا
والبيض عينا وحاجبا وقول ابن نباتة بعده خلقنا باطراف القنا

وظهورهم عيونا لها وقع السيوف حواجب فبيت ابن نباتة ابلغ
لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم ومن الناس من
جعلهما متساويين وان كان الثاني دون الاول في البلاغة فهو مذموم
مردود كقول ابي تمام هيهات لا ياتي الزمان بمثله ان الزمان
بمثله لبخيل وقول ابي الطيب اعدى الزمان سخاؤه فسخا به
ولقد يكون به الزمان بخيلا فان مصراع ابي تمام احسن سبكا من
مصراع ابي الطيب لان ابا الطيب اراد ان يقول ولقد كان الزمان
به بخيلا فعدل عن الماضي الى المضارع للوزن فان قلت المعنى ان
الزمان لا يسمح بهلاكه قلت السخاء بالشيء هو بذله للغير فاذا كان
الزمان قد سخا به فقد بذله فلم يبق في تصرفه حتى يسمح بهلاكه او يبخل
به وان كان مثله فالخطب فيه اهون وصاحب الثاني ابعد من المذمة
والفضل لصاحب الاول كقول بشار يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا وقول ابن الشحنة
الموصلي واني امرؤ احببتكم لمكارم سمعت بها والاذن
كالعين تعشق وكذا قول القاضي الارجاني لم يبكني الا حديث
فراقكم لما اسر به الي مودعي هو ذلك الدر الذي اودعتم في مسمعي
القيته من مدمعي وقول الزمخشري وقايله ما هذه الدرر التي

تساقطها عيناك سمطين سمطين فقلت هي الدنيا التي في حشابها

او مضمراً أذنى تساقط من عيني وكذا اصول ابى تمام لو حار مرتاد

المنية لم يجد الا الفراق على النفوس دليلا وقول ابى الطيب لو

لا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى ارواحنا سبلا و

اعلم ان من هذا الضرب ما هو قبيح جدا وهو ما يدل على السرقة باتفاق

الوزن والقافية ايضا كقول ابى تمام مقيم الظن عندك والاماني

وان قلقت ركابي في البلاد ولا سافرت في الآفاق الا ومن جدواك

راحلتي وزادي وقول ابى الطيب واني عنك بعد غد لغاد وقلبي عن

فنائك غير غاد محبك حيثما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنت من

البلاد وان كان المأخوذ المعنى وحده سمي الماما وسلخا وهو ثلثة

اقسام كذلك اولها كقول البحتري تصفحيا ان تراك باوجرائي

الذنب عاصيها فليم مطيعها وقول ابى الطيب وجرم جره سفهاء

من قوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وكقول الآخر ولست بنظار

الى جانب الغناء اذا كانت العلياء في جانب الفقر وقول ابى تمام بعده

يصد عن الدنيا اذا عن سودد ولو برزت في زي عذراء ناهد

فبيت ابى تمام اخصر وابلغ لان قوله ولو برزت في زي عذراء ناهد زيادة

حسنة وكقول ابى تمام هو الصنع ان يعجل فخير وان يرث فللريث في

بعض

بعض المواضع انفع وقول ابى الطيب ومن الخير بطؤ سيبك

عني أسرع السحب في المسير الجهام فبيت ابى الطيب ابلغ

لاشتماله على زيادة بيان فتأمله كقول بعض العرب ويجهما

اطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر وقول بشار واذا

أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل وكقول الاشجع

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام فاذا

تنبه رعته واذا هدى سلت عليه سيوفك الاحلام وقول

ابى الطيب يرى في النوم رمحك في كلاه ويخشى ان يراه في السهاد فقد

بذكر السهاد ولانه اراد اليقظة ليطابق بها النوم فاخطأ اذ ليس كل يقظة

سهادا وانما السهاد امتناع الكرى في الليل اما المستيقظ بالنهار فلا يسمى

ساهدا وكقول البحتري واذا تألق في الندي كلامه المصقول خلت

لسانه من عضبه وقول ابى الطيب كأن ألسنهم في النطق قد جعلت

على رماحهم في الطعن خرصانا فان ابا الطيب فاته ما افاده البحتري

بلفظي تألق والمصقول من الاستعارة التخييلية وكقول الخنساء و

ما بلغ المهدون للناس مدحة وان اطنبوا الا الذي فيك افضل وقول

اشجع وما ترك المداح فيك مقالة ولا قال الا دون ما فيك قايل فان

بيت الخنساء احسن من بيت اشجع لما في مصراعه الثاني من التعقيد و

بنفديه ولا آوال فابل الادون ما فيك وثالثها كقول الاعرابي ولم
يك اكثر الفتيان مالا ولكن كان ارحبهم ذراعا وقول اشجع وليس
باوسعهم في الغنى ولكن معروفه اوسع وكذا قول عكوك بن النطاح كانك
عند الكر في حومة الوغى تفر من الصف الذي من ورائكا وقول ابي
الطيب فكانه والطعن من قدامه متخوف من خلفه ان يطعنا وكذا قول
الآخر يدكما بالله مات والصبر في جهة المواطن كلها الا عليك فانه
مذموم وقول ابي تمام بعده وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فاصبح
يدعى حازما حين يجزع واما غير الظاهر فهو ان يتشابه معنى
الاول ومعنى الثاني كقول الطرماح بن حكيم الطائي لقد زادني حبا
لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل وقول ابي الطيب واذا اتتك
مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل فان ذم الناقص ابا الطيب كبغض
من هو غير طائل الطرماح وشهادة ذم الناقص ابا الطيب كزيادة حب الطرماح
لنفسه وكذا قول ابي العلاء المعري في مرثية وما كلفة البدر المنير
قديمة ولكنها في وجهه اثر اللدم وقول الغزي واني واهوى الذي
اهوى له البدر ساجدا الست ترى في وجهه اثر الترب واوضح من ذلك
جرير فلا يمنعك من ارب لحاهم سواء ذو العمامة والخمار وقول ابي
الطيب ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب ولا يغرك

من البيتين المتشابهين ان يكون احدهما نسيبا والآخر مديحا او
هجاء او افتخارا او غير ذلك فان الشاعر الحاذق اذا عمد الى المعنى
المختلس لينقله نحيل في اخفائه فغير لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه
وقافيته **ومنه النقل** وهو ان ينقل معنى الاول الى غير محله كقول
البحتري سلبوا واشرقت الدماء عليهم محمرة فكانهم لم يسلبوا
نقله ابو الطيب الى السيف فقال يبس النجيع عليه وهو مجرد من
غمده فكانما هو مغمد ومنه ان يكون معنى الثاني اشمل من معنى الاول
كقول جرير اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقول ابي نواس وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
ومنه القلب وهو ان يكون معنى الثاني نقيض معنى الاول سمي بذلك لقلب
المعنى الى نقيضه كقول ابي الشيص اجد الملامة في هواك لذيذة حبا
لذكرك فليلمني اللوم وقول ابي الطيب أأحبه واحب فيه ملامة
ان الملامة فيه من اعدائه وكذا قول ابي الطيب ايضا والجراحات
عنده نغمات سبقت قبل سيبه بسؤال فانه ناقض به قول ابي تمام
ونغمة معتف جدواه احلى على اذنيه من نغم السماع وقد تبعه الحصري
فقال تشوقه ان يطرب للسؤال كانما غناه مالك طي او معبد ومنه
ان يوخذ بعض المعنى ويضاف اليه زيادة تحسنه كقول الافوه الاودي

وترى الطير على آثارنا رأي عين ثقة أن ستمار وقول أبي تمام وقد
ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل أقامت مع
الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل فإن الأفوه أتى بقوله رأي
عين قربها لأنه إذا بعدت تخيلت ولم تر وإنما تكون قربها توقعا
للفريسة وهذا يؤكد المعنى المقصود ثم قال ثقة أن ستمار فجعلها واثقة
بالميرة وأما أبو تمام فلم يلم بشيء من ذلك لكن زاد على الأفوه بقوله إلا أنها
لم تقاتل ثم بقوله في الدماء نواهل ثم بإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش
وبذلك يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل وهذه الزيادات حسنت قوله
إن كان قد ترك بعض ما أتى به الأفوه وهذه الأنواع ونحوها أكثرها مقبولة
ومنها ما أخرجه حسن التصرف من قبيل الاتباع إلى حيز الإبداع
والابتداع وكل ما كان أشد خفاء كان أقرب إلى القبول هذا كله إذا علم أن
الثاني أخذ من الأول وهذا لا يعلم إلا بأن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين
نظم قوله أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه لجواز أن يكون الاتفاق من
قبيل توارد الخواطر أي مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ
والسرقة كما حكي عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه مفيد ومتلاف إذا
ما أتيته تهلل واهتز اهتزاز المهند فقيل له أين يذهب بك هذا
للحطيئة فقال الآن علمت أني شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه ولهذا

لا ينبغي لأحد أن يحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال وإلا فالذي ينبغي
أن يقال قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا فيغتنم بذلك فضيلة
الصدق ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى غيره **وما
يتصل بهذا الفن** القول في الاقتباس والتضمين والعقد و
الحل والتلميح أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث
لا على أنه منه كقول الحريري فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب
وقوله أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله وقول ابن نباتة
الخطيب فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون
ما لكم لا تشفقون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون
وقوله أيضا من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة هنالك يرفع الحجاب ويوضع
الكتاب ويجمع من وجب له الثواب وحق عليه العقاب فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقول
القاضي الفاضل وقد ذكر الإفرنج وغضبوا فادهم الله غضبا وأوقد لهم
نار الحرب جعلهم الله لها حطبا وقول الحماسي إذا رمت عنها سلوة
قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر سيبقى لها في مضمر القلب
والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر وقول أبي الفضل بديع الزمان
الهمذاني لآل فريغون في المكرمات يد أولا واعتذار أخيرا

اذا ما تلالت بمقام رأيت نعيما وملكا كبيرا وكقول الابيوردي و
قصايد مثل الرياض اضعتها في باخل ضاعت به الاحساب فاذا تنشدها
الرواة وابصروا الممدوح قالوا ساحر كذاب وقول الاخر لا تعاشر
معشرا ضلوا الهدى فسواء اقبلوا او ادبروا بدت البغضاء من افواههم
والذى تخفى منها اكبر وقوله قلت ان الغانيات خلقة سوء فاتقوا الله
يا اولى الالباب واذا ما سألتموهن شيئا فاسألوهن من وراء حجاب
وقول الآخر ان كنت ازمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل وان
تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل وكقول الحريري وكتمان الفقر
زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فان قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة
لفظ الحديث وقوله قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فان
قوله شاهت الوجوه لفظ الحديث فانه روي انه لما اشتدت الحرب يوم حنين
اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى بها في وجوه المشركين وقال
شاهت الوجوه اي قبحت واللكع قيل هو اللئيم وقال ابو عبيد هو العبد
وكقول ابن عباد قال لي ان رقيبي سيئ الخلق فداره قلت دعني وجهك
الجنة حفت بالمكاره اقتبس من لفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات والاقتباس منه ما لم ينقل فيه المقتبس عن معناه
الاصلي الى معنى آخر كما تقدم ومنه ما هو بخلاف ذلك كقول ابن الرومي لئن

اخطأت في مدحك ما اخطأت في منعي لقد انزلت حاجاتي بواد غير
ذي زرع ولا بأس بتغيير يسير لاجل الوزن او غيره كقول بعض المغاربة
عند وفاة بعض اصحابه قد كان ما خفت ان يكونا انا الى الله راجعونا و
قول عمر الخيام سبقت العالمين الى المعالي بصائب فكرة وعلو همة
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليال للضلالة مدلهمة يريد الجاحدون ليطفئوه و
يابى الله الا ان يتمه وكقول القاضي منصور الهروي الازدي فلو كانت
الاخلاق تحوى وراثة ولو كانت الاراء لا تتشعب لاصبح كل الناس
قد ضمهم هوى كما ان كل الناس قد ضمهم اب ولكنها الاقدار كل ميسر
لما هو مخلوق له ومقرب اقتبس من لفظ الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق
له **واما التضمين** فهو ان يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع
التنبيه عليه ان لم يكن مشهورا عند البلغاء كقول بعض المتاخرين يعني
وان كان مشهورا فلا حاجة الى التنبيه
هو ابن التلميذ الطبيب النصراني كانت بلهنية الشبيبة سكرة فصحوت
واستبدلت سيرة مجمل وقعدت انتظر الفناء كراكب عرف المحل
فبات دون المنزل البيت الثاني لمسلم بن الوليد الانصاري وقول عبد
القاهر بن طاهر التميمي اذا ضاق صدري وخفت العدى تمثلت بيتا بحالي
يليق فبالله ابلغ ما ارتجي وبالله ادفع ما لا اطيق وقول ابن العميد
وصاحب كنت مغبوطا بصحبته دهرا فغادرني فردا بلا سكن

هبت لريح اقبال خطاب بها نحو السرور والجأني الى الحزن كأنه
كان مطويا على احن ولم يكن في ضروب الشعر انشدني ان الكرام
اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن البيت الاخير
لابي تمام وكقول الحريري على اني سانشد عند بيعي اضاعوني واي
فتى اضاعوا المصراع الاخير هو للعرجي وقيل لامية بن ابي الصلت
وتمام البيت ليوم كريهة وسداد ثغر ولا حاجة الى تعديده
لتمام المعنى بدونه ومثله قول الآخر قد قلت لما اطلعت وجناته
حول الشقيق الغض روضة آس اعذاره الساري العجول ترفق ما في
وقوفك ساعة من باس المصراع الاخير لابي تمام وكقول الآخر كنا
معا امس في بؤس نكابده والقلب والعين منا في قذى واذى
والآن اقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسني ان الكرام اذا اشارة
الى بيت ابي تمام ولا بد من تقدير الباقي منه لان المعنى لا يتم بدونه وقد
علم بهذا ان تضمين ما دون البيت ضربان واحسن وجوه التضمين
التضمين ان يزيد المضمن في الفرع عليه في الاصل بنكتة كالتورية و
التشبيه في قول صاحب التحبير اذا الوهم ابدى لي لماها وثغرها تذكرت
ما بين العذيب وبارق وتذكرني من قفا ومدامعي مجرى عوالينا
ومجرى السوابق المصراعان الاخيران لابي الطيب ولا يضر في التغيير

اليسير لوزن او غيره كقول بعض المتأخرين في يهودي به داء
الثعلب اقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وانكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه البيت لسحيم
بن وثيل واصله انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني
وربما يسمى تضمين البيت فما زاد استعانة وتضمين المصراع فما دونه
تارة ايداعا وتارة رفوا **واما العقد** فهو ان ينظم نثر
لا على طريق الاقتباس اما عقد القرآن فكقول الشاعر انلني بالذي
استقرضت خطا واشهد معشرا قد شاهدوه فان الله خلاق البرايا
عنت لجلال هيبته الوجوه يقول اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
واما عقد الحديث فكما روي للشافعي رضي الله عنه عمدة الخير عندنا كلمات
اربع قالهن خير البرية اتق المشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك
واعملن بنية عقد قوله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما
امور مشتبهات وقوله ازهد في الدنيا يحبك الله وقوله من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقوله انما الاعمال بالنيات واما عقد غيرهما
فكقول ابي العتاهية ما بال من اوله نطفة وجيفة آخره يفخر عقد
قول علي كرم الله وجهه وما لابن آدم والفخر وانما اوله نطفة وآخره
جيفة وقوله ايضا كفى حزنا بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك عن يديا

يبنى على الاقلام لا على الاسل حل قول ابى الطيب ايضا اعلى الممالك ما
يبنى على الاسل وكقول بعض كتاب العصر في وصف السيف اورثه عشق
الرقاب نحولا فبكى والدمع مطر تزيد به الخدود محولا حل قول
ابى الطيب في الخد ان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا

واما التلميح فهو ان يشار الى قصة او شعر من غير ذكره فالاول
كقول ابن المعتز اترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت
الزوال علموا انني مقيم وقلبي راحل فيهم امام الجمال مثل صاع العزيز
في ارحل القوم ولا يعلمون ما في الرحال وقول ابى تمام لحقنا باخراهم و
قد حوم الهوى قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع فردت علينا الشمس
والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع نضا ضوءها صبغ الدجنة
وانطوى لبهجتها ثوب السماء المجزع فوالله ما ادرى احلام نائم المت
بنا ام كان في الركب يوشع اشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليه
السلام واستيقافه الشمس فانه روى انه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت
الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له
قتالهم فيه فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم والثاني كقول الحريري
واني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته واعددت له الاهب قبل
موافاته اشار الى قول ابن سكرة جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبعة

وكانت في حياتك لي عظات وانت اليوم اوعظ منك حيا فقيل عقد
قول بعض الحكماء في الاسكندر لما مات كان الملك امس انطق منه اليوم
وهو اليوم اوعظ منه امس وقيل هو قول الموبذ لما مات قباذ الملك
وقول الآخر يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء
اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله عقد
قول ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وقول الآخر
البس جديدك اني لابس خلقي ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا عقد
المثل لا جديد لمن لا خلق له قالته عائشة رضي الله عنها وقد وهبت
مالا كثيرا ثم امرت بثوب لها ان يرقع يضرب في الحث على استصلاح
المال واما الحل فهو ان ينثر نظم وشرط كونه مقبولا شيئان احدهما
ان يكون سبكه مختارا لا يتقاصر عن سبك اصله والثاني ان يكون
حسن الموقع مستقرا في محله غير قلق وذلك كقول بعض المغاربة
فانه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده
ويصدق توهمه الذي يعتاده حل قول ابى الطيب اذا ساء فعل المرء
ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم وكقول صاحب الوشي
المرقوم في حل المنظوم يصف قلم كاتب فلا تحظى يده ولا الا تخرت
على الدول وغنيت غنيت به عن الحيل والجدل وقال الشاعر الى ان كنت

اذا انقطع عن حاجاتنا حبسنا كتي وكليتي وكانوني وكاس طلا بعد الكباب

وكش ناعم وكبشا وقوله ايضا بتنا بليلة نابغية او ما به الى قول

النابغة فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع

وقول غيره لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي ارق واحفى منك في ساعة

الكرب اشار الى البيت المشهور المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير

من الرمضاء بالنار ومن التلميح ضرب يشبه اللغز كما روى ان تميميا قال

لشريك النميري ما في الجوارح في الدنيا احب الي من البازي فقال اذا

كان بصيد القطا اشار التميمي الى قول جرير انا البازي المطل على نمير

اتيح من السماء لها انصبابا واشار شريك الى قول الطرماح تميم بطرق

اللوم اهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت **الفصل**

الثاني ينبغي للمتكلم ان يتأنق في ثلثة مواضع من كلامه حتى تكون

اعذب لفظا واحسن سبكا واصح معنى **الاول** الابتداء لانه اول ما

يقرع السمع فان كان كما ذكرنا اقبل السامع على الكلام فوعى جميعه وان

كان بخلاف ذلك اعرض عنه ورفضه وان كان الباقي في غاية الحسن في

الابتداءات المختارة قول امرئ القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقول النابغة الجعدي كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء

الكواكب وقول ابي الطيب اتلتني من زمنه أتعتب نثلي ارق عليك

ما تحسبت وقوله اريتك ام ماء الغمامة ام خمر بفي برود وهو في كبدي

جمر وقوله فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يممت خير ميمم

وقوله اتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في الماقي وقول

الآخر وقال الواحدي نقول لصاحبه اتظنها لكثرة ما ترى الدمع

الآخر رنتوا الجمال فعل للعاذل الجاني لا عاصم اليوم من مورد اجفاني

وينبغي ان يجتنب في المديح ما يتطير به فانه قد يتفاءل به الممدوح او بعض

الحاضرين كما روى ان ذا الرمة انشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية

ما بال عينك منها الماء ينسكب قال هشام بل عينك وقال ابن مقاتل

الضرير انشد الداعي العلوي قصيدته التي اولها موعد احبابك بالفرقة

وهو الذي حنك الزنج بالبصرة وخربها وقاتله بنو العباس

غد فقال له الداعي موعد احبابك يا اعمى ولك المثل السوء وروى ايضا انه دخل عليه

في يوم مهرجان وانشده لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعي ويوم

المهرجان وقال اعمى بهندي هذا يوم المهرجان وقيل بطحه وضربه خمسين

عصا وقال اصلاح ادبه ابلغ في ثوابه وقيل لما بنى المعتصم بالله قصره

بالميدان وجلس فيه انشد اسحق الموصلي يا دار غيرك البلى ومحاك

يا ليت شعري ما الذي ابلاك فتطير المعتصم بهذا الابتداء فامر بهدم

القصر ومن اراد ذكر الديار والاطلال في مديح فليقل مثل قول القطامي

انا محيوك فاسلم ايها الطلل او مثل قول اشجع السلمي قصر عليه تحية

وسلام خلعت عليه جمالها الايام واحسن الابتداء آت ما ناسب المقصود

ومنه براعة الاستهلال كقول ابي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية
وكان اهل التنجيم زعموا انها لا تفتح في ذلك الوقت السيف اصدق انباء
من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب بيض الصفائح لا سود الصحائف
في متونهن جلاء الشك والريب وقول ابي محمد الخازن يهنئ ابن عباد
بمولود لبنته بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد في الافق
العلى صعدا وقول الآخر ابشر فقد جاء ما تريد اباد اعداءك الحسيد
وكقول ابي الفرج الساوي يرثي بعض الملوك من آل بويه ويهنئ ابنه فخر الدولة
هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي وقول ابي الطيب
يرثي ام سيف الدولة نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات وما ينجين من خبب الليالي **الثاني**
التخلص وهو الانتقال مما شبب الكلام به من تشبيب او غيره الى
المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما لان السامع يكون مترقبا للانتقال من
التشبيب الى المقصود كيف يكون فاذا كان حسنا متلائم الطرفين
حرك من نشاط السامع واعان على اصغائه الى ما بعده وان كان بخلاف ذلك كان
الامر بالعكس فمن التخلصات المختارة قول ابي تمام يقول في قومس قومي
وقد اخذت منا السرى وخطا المهرية القود امطلع الشمس تبغي ان تؤم
بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود وقول مسلم بن الوليد اجدك

ما تدرين

ما تدرين ان رب ليلة كان دجاها من قرونك تنشر سهرت بها حتى تجلت
بغرة كغرة يحيى حين يذكر جعفر وقول ابي الطيب يمدح المغيث العجلي
مرت بنا بين تربيها فقلت لها من اين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجل اذا
انتسبا وقوله ايضا خليلي اني لا ارى غير شاعر فكم منهم الدعوى
ومني القصائد فلا تعجبا ان السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم
واحد وقد ينتقل من الفن الذي شبب الكلام به الى ما لا يلائمه ويسمى ذلك
الاقتضاب وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين كقول ابي تمام
لو رأى الله ان في الشيب خيرا جاورته الابرار في الخلد شيبا كل يوم تبدي
صروف الليالي خلقا من ابي سعيد غريبا ومن الاقتضاب ما يقرب الى
التخلص كقول القائل بعد حمد الله اما بعد قيل هو فصل الخطاب وكقوله
تعالى هذا وان للطاغين لشر مآب اي الامر هذا او هذا كما ذكر وقوله
هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب ومنه قول الكاتب هذا باب
الثالث الانتهاء لانه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس فان
كان مختارا كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله من النقص وان كان غير
مختار كان بخلاف ذلك وربما انسى محاسن ما قبله فمن الانتهاءات المرضية
قول ابي نواس فبقيت للعلم الذي تهدي له وتقاعست عن يومك الايام

وقوله واني جدير اذ بلغتك بالمنى وانت بما املت منك جدير فان

تولني منك الجميل فاهله والا فاني عاذر وشكور وقول ابي تمام

في خاتمة قصيدة فتح عمورية ان كان بين صروف الدهر من رحم موصولة

او ذمام غير منقضب فبين ايامك اللاتي نصرت بها وبين ايام

بدر اقرب النسب ابقت بني الاصفر الممراض كاسمهم صفر الوجوه وجلت

اوجه العرب واحسن الانتهاء آية ما آذن بانتهاء الكلام كقول الآخر

بقيت بقاء الدهر يا كهف اهله وهذا دعاء للبرية شامل وقوله

بلاحظت لك الهيجاء شرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا وجميع فواتح

السور وخواتمها واردة على احسن وجوه البلاغة واكملها يظهر ذلك

بالتامل فيها مع التذكر لما تقدم من الاصول

وقع الفراغ من هذه التعليقة على يد الضعيف العبد

الراجي الى رحمة ربه اللطيف احمد اغورلو

عفا الله عنه ولوالديه يوم التلاقي

اواخر في الجمادى الاول سنة لز خ

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بابن الصدر